الموعود

مجلة تخصصية تعنى بالمهدوية

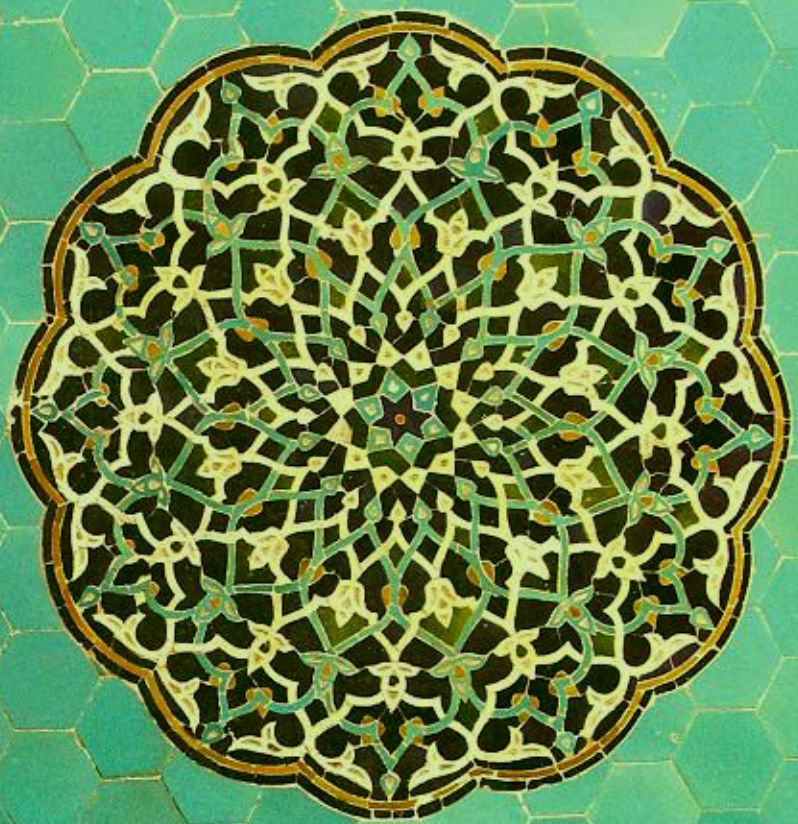

&

الموعود

مجلة تخصصية تعني بالمهدوية

العدد السابع

شعبان المعظم 1433 هـ. ق

تصدر عن:
مؤسسة المستقبل المشرق

المشرف العام:
مسعود بورسيدآقايي

مدير التحرير:
رضي موسوي الجيلاني

الهيئة الاستشارية:
آيةالله سامي البدري، الدكتور جاسم حسين، الدكتور تيجاني السماوي، الدكتور نسيم الخوري، الدكتور ادريس هاني، الدكتور ابوالعزائم، الدكتور محمد عبده، الدكتور احمد هاشمي، الدكتور محمد صابر جعفري، الدكتور فرامرز سهرابي، الدكتور مسعود بورسيدآقايي،
الدكتور رضي موسوي الجيلاني

مدير الترجمة:
مرتضى احمدي

تصميم والكرافيك:
ابوالفضل رنجبران، علي قنبري

فهرس المندرجات

الاستراتجيات الفنونية للتمهيد للظهور البهي للإمام صاحب الأمر4 5
محسن وهيب عبد

الإمام المهدي4: الكتاب الناطف في الادب 29
الدكتور أحمد الهاشمي

الخطاب النهضوي للإعلام المهدوي 50
نورة لعروسي

مكانة عقيدة المهدوية في فكر المفكرين المسلمين في عصر الحداثة 71
الدكتور رضي موسوي الجيلاني

دور مسألة الانتظار في تشكيل النظام السياسي للجمهورية الإسلامية 96
الدكتور جواد جعفري

الميزات الثقافية للمجتمع والدولة الممهدة 108
الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح

الحكومة المهدوية 123
الدكتور خليل خلف بشير العامري

ولاية الفقيه والأبعاد الفلسفية والسياسية للتمهيد 147
الدكتور عبداللاوي محمد

الاستراتيجيات الفنونية للتمهيد للظهور البهي للإمام صاحب الأمر4

محسن وهيب عبد

مقدمة

انطلاقا من إيماننا كمسلمين بحقيقة كمال العقيدة المنزلة على رسولنا الكريم المصطفى محمد6، المفترض أن يعتقده كل مسلم، ولعدم وجود مسوغ شرعي بأي حال من الأحوال ولأي كان أن يدعي انه يستطيع أن يأتي من عنده بما يكمل به العقيدة بأي مجال وعلى أي صعيد، بما في ذلك مناهج واستراتجيات التمهيد لظهور الإمام المهدي7 إلا من خلال العقيدة ذاتها وبما توجه وتنهج وتحدد وتقرر.

تشريعات مطلف التمهيد وشرعياته

فان كانت هناك نية لوضع إستراتجية للتمهيد للظهور البهي لإمام الزمان عجل الله فرجه الشريف في أي مجال وعلى أي صعيد فلابد ان تكون مستنبطة من الشريعة الإسلامية ذاتها وفق المصدرين الموصى بهما من قبل باني الشريعة6[1]؛ وهما الكتاب والعترة وطبقا للأصول الشرعية والمناهج المنطقية والمرتكزات العقلية.

1. قال رسول الله6: «إني يوشك أن ادعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الارض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما) (انظر صحيح مسلم ج2 ص238، وسنن الترمذي ج2 ص307، ومسند أحمد بن حنبل ج3 ص14، 17، 59، ومستدرك الصحيحين ج3 ص109، وحلية الأولياء ج1 ص355). وقال6: (إنما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، وإنما أهل بيتي فيكم مثل باب حطة بني إسرائيل، من دخله غفر له) (مستدرك الصحيحين ج2 ص343 وفي ج3 ص150 وكنز العمال ج6 ص216 وحلية الأولياء ج4 ص306 والخطيب البغدادي في تاريخه ج12 ص19 والصواعق المحرقة ص75).

ولذا فان أي إستراتجية غير مستوفية لهذه الشروط تعتبر بدعة نحذر المسلمين منها أيا كانت الغاية منها، لان أي عمل يصدر عن الإنسان إنما لابد له على دربي الحسن والسوء حيز مسئول عنه يوم القيامة إلا أن يكون مستوفيا لاجتهاد في موضعه وعلى منهجه ومعياره، أو لتقليد على أصوله العقلية المثبتة والمقررة.

1- استباق التربية الفنية والسياسية خطوة قبل الإستراتجية في التمهيد الفنوني للظهور البهي للإمام المهدي7

التربية السياسية: هي إعداد الفرد المسلم ليكون مواطناً صالحاً في المجتمع المسلم، يعرف واجباته فيؤديها من تلقاء نفسه، طمعاً في ثواب الله عز وجل، قبل المطالبة بحقوقه، كما يعرف حقوقه فيسعى إلى اكتسابها بالطرق المشروعة، وخير منهاج لتربية المسلم على معرفة الحقوق والواجبات نجده في نظام الملة المتجسد بنظام ولاية الفقيه أو نظام التقليد والاجتهاد في مدرسة أهل البيت:.

فالإسلام عقيدة كاملة، لان فيها استجابة لكل حاجات الإنسان فردا ومجتمعا، وفيه إجابة على كل تساؤلات الإنسان، عن وجوده وكونه ومآله ومستقبل وجوده.

وفي رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين7؛ منهج تربوي سياسي شامل، لا ادري لماذا يهمله المربون؟ خصوصا الذي يتمتعون بحرية فكرية ويحترمون عقولهم، فضلا عن كونهم يعتقدون بصدق وعلمية نظام الملة وبعد أن رفع الله تعالى عنا الحيف فلا عذر! كما في إيران والعراق؟

اما التربية الفنية؛ فهي إعداد الفرد المسلم ليكون مبدعا في التعبير عن عقيدته بغير اللغة من وسائل التعبير الشائعة في الفنون او التي يبتدعها لتصل بكلمته وجهاده إلى كل المجتمع الإنساني مهما تكن لغاتهم.

أن التربية الفنية والسياسية، ركن أساس من أركان التربية الإسلامية، لأن التربية الإسلامية تشمل الإعداد الروحي للفرد للنهوض برسالته وبناء مجتمع متكامل في السعي لمواجهة الحياة والفوز برضا الله تعالى، والذي هو حتما صلاح النفوس وجمالها، فالإسلام دين للفرد وللمجتمع.

فالتربية الفنية والسياسية؛ تعد المواطنين لممارسة الشئون العامة في ميدان الحياة، عن طريق الوعي والمشاركة، وعن طريق إعدادهم لتحمل المسؤولية بذوق عال، وتمكينهم من القيام بواجباتهم بذوق عال أيضا، والتمسك بحقوقهم، وتبدأ التربية السياسية والفنية في مرحلة مبكرة من العمر، وتستمر خلال سنوات العمر كله.

ولا بد أن تنهل جميع المؤسسات التربوية في المجتمع من تلك الرسالة المقدسة، لأنها تستقريء تماما حقوق كل الفئات، والحق بالنسبة لك لابد ان يكون واجبا لآخر، وبهذا تنهض تربية اجتماعية فنية وسياسية في مجاميع الإفراد، كي يقوم المجتمع المسلم وينهض محصننا.

فمما ابتلي به المسلمون خوفهم من السياسة، واحتقارهم للفن، وابتعاد علماء المسلمين عنهما، بعد أن شوّه (مكيافيللي) مفهوم السياسة بكل أساليب الخبث والخداع والمكر، واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان، وشوه الفن بتدنيسه بكل أساليب الرخص والسقوط، ولابتذال والإباحية لأنه في الغالب يحكي الحقيقة الغالبة لحياة الغرب الماجنة.

وبعد أن سبقت إلى السياسة الأحزاب التي تسمي نفسها إسلامية، بقراءة خاطئة للدين لأنها جانبت نظام الملة في طاعة الثقلين العاصمين، ولذا فهي في واقعها أحزاب مدعية للدين ولكنها ترقيع للعلمنة ليقبلها الناس. , وهو ما نراه جليا اليوم في الأحزاب والتنظيمات التي تدعي الإسلام مع الادعاء لتبعيتها لأهل بيت النبوة:.

فالسياسة كعلم وكحرفة؛ مع الأسف سبق للتنظير اليها ولاحترفها العلمانيون والملحدون وأعداء المسلمين، وكانت لهم ميزة شرفتهم ورفعتهم للتحكّم ولحيازة المال والسلطان والجاه، فقد وضعوا قواعدها وأصول لعبتها وصاروا هم المحكمين فيها ..وعليه فكل من يدخل حلبتها لابد ان يخضع لهم شاء أم أبى، وهذا مما يأنف منه المسلم الذي يرى في كل ما يصدر عنه يجب ان يكون بقصد القربى الى الله تعالى.

وهكذا الفن؛ مع الأسف أول من احترفه الراقصات والراقصون والرخيصات والرخيصون في الغالب من فروعه، وصار عمل كل من ناهض الآداب والأعراف الإسلامية بل هو مروق على الأخلاق العامة والذوق.

ولهذا السبب صار اعتبار السياسة؛ نوع من العهر يأنف كل ذي لب من الاقتراب منها، لان كل من يشتغل بها لابد ان يخضع لقواعد لعبتها التي يحكمها الغربيون، وصار أصحاب الخلق الرفيع ينظرون إلى السياسة على أنها لعبة مكيافيللي، لعبة المكر والمخادعة، وقد مقتها الناس وصاروا ينظرون إلى البلدان التي خربتها الصراعات السياسية، على أنها تبوء بلعنة إباحة الأحزاب السياسية فيها، وصاروا يظنون أن كل بلد سوف يشجع العمل السياسي سوف يحصل له ما حصل لتلك البلدان التي خربها السياسيون.

وكذلك صار الناس ينظرون للفنون على أنها مهنة غير شريفة، نعم لأنها قرينة للفظة-(Artist) كما يعلمها الغالب منا، أو أنها مهنة الإساءة إلى الدين لأنها فعلا في غالبها موجهة لإفساد الذوق العام.

وهذا مجانب للصواب، لأنه:

أولا. لقد حصل في تلك البلدان ما حصل؛ لأن المجتمع يجهل السياسة الإسلامية أولا، ويحتقر الفن لأنه ليس بمعناه الأصيل.

وثانيا. لم يربَ مجتمعنا الإسلامي تربية فنية عقائدية، ولا تربية سياسية تنهل من كمال العقيدة الإسلامية، وما يتطلبه نظام الملة من طاعة المعصومين فيما يوصون، وفيما يعلمون، كما في رسائل الإمام علي7 إلى عماله وولاته، خصوصا تلك التي أرسلها الى حضرة القائد مالك الاشتر رضوان الله عليه، او على رسالة الحقوق للإمام زين العابدين علي السلام، ولا غيرها من مناهج التربية السياسية التي تعد المواطن المسلم كي يقدم واجباته نحو المجتمع بقصد طاعة لله عز وجل وطمعاً في ثوابه، كما انه يعرف حقوقه وحقوق غيره من خلال دراسته لتلك الحقوق من منبعها الشرعي، وانه يؤمن بأنه مطالب أمام الله تعالى، وأمام الآخرين بها ان ادعى الإسلام، او اتخذه ذريعة للحكم.

فالعمل السياسي في الإسلام ليس مغالبة، وليس فوزا بالمناصب ولا تشريفا لمن يفوز، بل هو تكليف شرعي يبوء به المكلف بمسؤولياته أمام الله تعالى الذي لا يغفل عن الظالمين ويضاعف بالإحسان اجر المحسنين أولا، وهو أيضا مسئول أمام الشعب ومراقبة قيادته ثانيا، ثم ان المؤمن يعتبر الوطن رمز إيمانه، وهو في ذلك إنما يعتبر بالتاريخ من خلال آيات يراها وأخرى يتلوها آناء الليل وإطراف النهار.

ولذا فنحن بحاجة ماسة ان نستوعب تربية أئمتنا السياسية والفنية كما وكيفا، لأنها تعضد الفن بمعناه الأصيل وتوجهه لإسنادها.

الفن والفنون في آليات التمهيد

ان أفضل وسيلة لنشر ثقافة التمهيد هو الفنون بكل إشكالها لان:

1. لان الفن وسيلة محببة إلى النفوس لأنها وسيلة تعبير عالمية تعبر الأفاق والقارات بسهولة خصوصا بعد هذا التطور الهائل في وسائل الاتصال.

نعم تتواصل الأمم التفاهم باللغات لكن التواصل باللغة يبقى محدود جدا بالنسبة للفنون والأسباب واضحة ومعروفة أهمها تعدد اللغات بما لا يحصى، وضعفها عن الأداء في التعبير إلا عند الخاصة من أبناء اللغة ذاتها، ومنها ضياع المعاني في الألفاظ.

2. ان الخطاب اللغوي يخص الخاصة جدا ولا يتعدى كما يتعدى العمل الفنوني خصوصا الدرامي الى كل شعوب الارض او كما تتعدى تعبيرات اللوحة التشكيلية الى العالم كله... الخ.

ولذا لابد من وجود مؤسسات ثقافية وفنية متخصصة باستراتجيات واليات الفنون من اجل التمهيد وفق ما تراه الشريعة.

ويجب ان لا يطلب من تلك المؤسسة ان تكون الوحيدة بمهام التمهيد بل

يجب ان تأخذ دور القائد فيه لتوجه جميع المؤسسات الفنونية باتجاه التمهيد وسنوضح في مباني البحث التالية؛ الكيف والكم لتلك القيادة، لان التمهيد من صميم مهامنا العبادية في الحياة الدنيا.. ومن اجل ذلك لابد لنا من معرفة ما يلي:

2. انتروبولوجيا العقائد السماوية في خدمة التمهيد الفنوني للظهور البهي للإمام المهدي4

تستخدم مؤسسات الانتروبولوجيا الثقافية اليوم على نطاق واسع في خدمة أهداف الظالمين، لأنهم يلتقطون ظواهر شاذة لتوجيهها لصالح ايديولجياتهم السياسية؛ كما تنشط في ذلك اليوم التوجهات الغربية من خلال ما يكتبه فرانسيس فوكوياما في نهاية التاريخ وما يطرحه صموئيل هنتغتون في صدام الحضارات وما يتبعهم فيه الأذناب من مدعي الثقافة الإسلامية الليبرالية.

ان الدراسات الانتروبولوجية يجب ان تتوجه الى الظواهر الإنسانية الكبرى هي السبيل او المرآة التي يتوحد فيها العقل البشري ويبرز منها وبها المعيار التصحيحي المفقود حيث تنعكس عنها مميزات النفس الإنسانية بكل صورها.

ولكن ما هي تلك الظواهر؟ و لماذا يتوحد عليها العقل البشري وكيف؟

ان من ابرز تلك الظواهر الكبرى في تاريخ الإنسانية هي ظاهرة إرسال الرسل وإنزال الكتب وقيام المعجزات على أيدي الأنبياء ولأنها تتميز بما يلي:

1. لأن تلك الظواهر ثابتة وإنها مشتركة بين كل الناس على سطح هذا الكوكب في المشارق و المغارب.

2. ولكونها ظواهر موحدة في ماهية ووجهة الصراع التي تحدثه بين الناس.

3. ولكونها محددة الأهداف الإنسانية متجسدة؛ في:

أ.بغض الظلم وعداوة الظالمين: فبغض الظلم مهما كان مصدره، جوهر الدعوة لتوحيد الله، وعداوة الظالمين شعار المجاهدين في سبيل نشر دين الله تعالى.

ب. في إبراز الفضائل والقيم عن طريق بيان سجايا المتصارعين: في هذه الظاهرة التي تحكيها قصص المتصارعين حيث منتهى النبل والسخاء والكرم وكمال الفضائل كلها من جانب المعصوم، يقابلها منتهى اللؤم مع بقية كامل الرذائل من جانب المستكبرين الظالمين.

ملكنا فكان العدل منا سجية فلما حكمتم سال بالدم ابطح

وحسبنا هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

وهذا ما يجب ان يلتقطه الفنان من سير المعصومين في فنونه لان فيه تمهيد للإجهاز على الظلم والظالمين في نفس الوقت تمهيد لنشر الفضائل والقيم.

ولأن كل النفوس الإنسانية السوية تسعى لغايات سامية موحدة تتمثل في طلب العدل والحق وفي الحرية والسيادة والرحمة والعلم الجمال المضموني في الفضائل والسعي للكمال فيها والغايات السامية الأخرى لوجود الإنسان.

4. ولأنها تتوحد في معاني رسالة مجسدة في مصاديق قيادية تاريخية معروفة من كل الشعوب على سطع الكوكب يمجدها الناس في كل مكان وزمان، امتازت في رفض الظلم وعداوة الظالمين وبسط العدل وعدم استغلال الإنسان لأخيه الإنسان.

5. ولا أحد ينكر أن كل ما عند الإنسانية من قيم فاضلة هي بتأثير تلك الظواهر الرسالية الكونية .

عليه وبإزاء هذه الحقائق؛ يكون على الإنسانية المعذبة ان تتوحد على شعار عداوة الظلم ومحاربة الظالمين، وإبراز صراع السجايا ويكون للفن والفنون جزء من مهمة تحقيق هذا الشعار والتعبير عنه.

والظاهرة الكونية الوحيدة الكبرى في تاريخ البشر هي ظاهر إرسال الرسل والأنبياء تترا إلى الناس منذ عرفوا الوجود على سطح الأرض، فلم يخلو منهم زمان ولا مكان.. وبما لا يسع منكر أن ينكر تلك الظاهرة حتى الملحد..لذا فان توجه الفنون لمهام عداوة الظلم ومحاربة الظالمين سيكون جوهر مهام التمهيد بل من أهم العبادات المقربة لله في كل أصقاع الارض.

ولكي يصح العمل في هذه الإستراتجية هذه؛ نحتاج لدراسة هذه الظاهرة دراسة كونية انتروبولوجية مجردة لمعرفة الحقائق الإنسانية المهمة والعامية من اجل تحقيق وإبراز بما يرى في ان العقيدة هي علم:

علم يجد الإنسان فيه إجابة على تساؤلاته الكونية وفيه الاستجابة إلى حاجاته الوجودية، فتنعقد عليه نفسه دون العلوم ليصير ضابطا في اختيار أفعاله وما يصدر عنه. ولان ما يصدر عن الإنسان يصير بالتالي عنوانا لعقيدته.

ذلك لان الميزة الخاصة في الإنسان هي قدرته على خيار فعله في حين ان المخلوقات الأخرى إنما تتحرك بالغريزة او الناموس.

والأنبياء والرسل يتميزون على الناس بقدرتهم على خيار الفعل الحسن وعدم إتيان الظلم فهم عليهم السلام و في كل الأديان معروفون بالفضيلة، ويدعون الناس الى التوحيد بمعناه الكوني، ويزرعون القيم الخلقية حيث ما حلوا ويحذرون الناس من الظلم ويتخذون بغض الظلم وعداوة الظالمين وإبراز السجايا الحسنة؛ عنوانا لدعوتهم إلى دين الله، ويتخذون من الفقراء تلاميذ أخلة فيصنعون منهم قادة ودعاة لدين الله.

تلك الحقائق التاريخية الانتروبولوجية عن ظاهرة الأنبياء والرسل الذين يتوحدون على عدم إتيانهم للظلم؛ ويتميزون بالسجايا الحسنة مما يعني تمتعهم بالعصمة جميعا مما يدعونا لان نرى فيهم: نمطا أرقى للخلق عموما وللإنسان

خصوصا.

وعليه فان طرح الموضوع هنا - موضوع المهدي الإنسان المعصوم - سيكون معنى لامتداد ظاهرة إرسال الرسل وبنفس الشعار: عداوة الظلم ومحاربة الظالمين وإبراز الفضائل ونشر القيم، سيكون من قبلنا يأتي كأطروحة كونية، باعتبار العصمة ظاهرة كونية من اكبر الظواهر التي عاشها الناس في تاريخ وجودهم على الأرض من خلال رسل الله إليهم تترا، وسنركز بالفنون والفن على كون الإمام المهدي7 مع المسيح وموسى والأنبياء معيارا ضابطا في صحة اعتقادات البشر ودونها ليس إلا الخطل والخواء والتيه والضلال وهو جوهر التمهيد.

فليست العصمة مسلّمة شيعية طائفية تخصهم وحدهم، بل هي حقيقة انتروبولوجية يجب أن يعلمها الجميع، والفن أفضل لغة للتعبير عنها عالميا لأنها تعبر الحدود بدون عقبات.

وهذه من أهم مهام التمهيد وسيكون للفنون الباع الأطول في هذا الانجاز إن تم.. وله اليد الطولى في هذا الأداء إن قام عاجلا او آجلا.

فالمهدي7 بامتداد الرسل عليهم السلام مثلهم؛ يمتلك ملكة مفعّلة لسلامة الفطرة الإنسانية والاتساق مع النسق الكوني في خيار الأفعال، وعدم الانحراف عنه، فتجتمع بها عنده كل السجايا الإنسانية الحسنة والفضائل دون تكلف، فيأنف بها ومعها عن كل ظلم وقبح، وهو ما يتطابق مع التزامه خيارات الله تعالى في مشيئته، لحفظ وجوده وحياته و عقله، وبذلك يتحقق له معاني الولاية التكوينية (إني جاعل في الأرض خليفة) لماذا؟

لان الولاية التكوينية؛ هي حتمية جعل الله تعالى الخلافة للإنسان على الأرض، فإذا تحققت العصمة بمعناها انف الذكر، تحققت الخلافة، بما في معنى الخلافة من الصلاحيات التي تُمنح للخليفة، والمعاني الأخرى لخيار الله الأفضل لخلق الناس، وان حصل الانحراف عن حتم الجعل لم يُعرف طعم الولاية وجمالها وجاذبيتها، وقد يتنكر لها آخرون، وهي لا تكون إلا مهمة الفن.

هذا كلام لابد ان يجسد فنيا من خلال قصص المعصومين عليهم السلام التي يجب أن تتحول إلى سيناريوهات ثم إلى دراما..او إلى صور ذهنية ثم إلى لوحات تعبر القارات.

بمعنى أن العصمة في المعصوم هي لطف الله و خياره للإنسان أصاب الفطرة السليمة منهم، فتجوهر وانتشر إلى ما حوله، فصار قادرا ومؤهلا لمحاربة الظالمين دون غيره، فنحلة محاربة الظالمين ليس مهمة كل مدعي كما يجب ان يبينه الفن، وتظهره الفنون.

فالعصمة ليست جلبابا يلبسه الآدمي ليكون معصوماً، ولتكون له به

صلاحيات المعصوم ومهامه على الأرض، أو هي كما عند الملوك؛ تاجاً يصنعه أحد ليلبسه غيره لتكون له مهام وصلاحيات الملك.. او كما يدعيه المستكبرين والمستعمرين عن حقوق الإنسان.

و لأن مهمة المهدي7 في حرب الظالمين وعداوة الظلم؛ وإبراز الفضائل، هي لطف الله تعالى بالعباد، فهي دأب المتصدي في التمسك بحبل الله المتين وصراطه المستقيم، ولذا فهي دائمة باقية مستمرة، فلطف الله فيض لا ينقطع حيث يكون منهجه.

وهذا ما يتجلى في قوله تعالى (لا ينال عهدي الظالمين) جوابا لإبراهيم7 في سؤاله عمن يعقبه في مهام الإمامة من ذريته.

وهذا تحكيه قصص سير المعصومين، أنبياء ورسلاً وأئمةً، التي يجب ان تجسده الفنون في أعمال درامية، او أي شكل من إشكال الفن الأخرى.. وكما تجسدت في قصة مقتل الحسين7 حيث يقول يوم كربلاء:

تركت الخلق طرا في هواك وايتمت العيال لكي أراك

فان قطعتني في الحب أربا لما مال الفؤاد إلى سواك

فالمهدي4 مضمون حسن رباني ساع، فهو أسوة حسنة، لذا فواجب الفن إبراز جوانب الجمال والكمال والحسن الساعي في شخص الإمام4 ومضامين رسالته.

وعلينا بهذا ان نطرح المهدي7 من خلال الفنون في الجوانب التالية:

1. كأمل منشود لكل المستضعفين والمظلومين والمحرومين المنتظرين.
2. ومنقذ موجود لإنقاذ القيم ونشر الفضائل التي تحتضر في عالم يسيطر عليه السباع المتوحشين في صورة بشر.
3. ووعد موعود من قبل الله تعالى ووعد الله تعالى لا يخلف، فهو حتم لازم للإنسانية المعذبة تحت شعار الأنبياء وهو: بغض الظلم ومحاربة الظالمين ايا كانوا بما فيهم النفس، وسعي دائم لإبراز الفضائل والسجايا الإنسانية الحسنة.

3. مجلس الفنون الأعلى للتمهيد الفنوني للظهور البهي للإمام المهدي4

يؤسس مجلس أعلى للفنون الممهدة؛ على أساس من الإستراتجية الشرعية التي تجسد شعار؛ بغض الظلم ايا كان مصدره مع عداوة الظالمين؛ تناط بالمجلس وطبقا لتعريفه الأعمال الآتية:

أ. إعداد وتنفيذ برنامج انتروبولوجي جاد يستند إلى ظاهرة إرسال رسل الله تعالى تترا والمهدي7 غايتهم، وكلهم يجسدون شعار عداوة الظلم وبغض

الظالمين ومجابهة الشرك باعتباره ظلم عظيم.. فـ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.[1]

ب. إعداد وتنفيذ برامج الخصوصية الثقافية لدعوة الرسل عليهم السلام في وجوه الفنون المختلفة. بالتعريف بسيرهم من خلال الفنون المختلفة خصوصا الدراما.

ت. إعداد برنامج لتحصين الأمة ثقافيا من الاستلاب الثقافي والغزو المعادي للهوية الإسلامية؛ بالتعريف بسير أعداء الأنبياء والأئمة وأتباعهم من خلال الفنون المختلفة خصوصا الدراما.

ث. إعداد وتنفيذ آلية للتوثيق الثقافي بمواده المختلفة تحضيرا لإنشاء جهاز إعلامي ثقافي بما فيه فضائية التمهيد المتميزة الخاصة لعرض انجازات المجلس للبشرية جمعاء.

ج. إعداد وتنفيذ برنامج ومناهج آلية وفنية للقيام بدورات لأعداد وتدريب فنيين وفنانين وإعلاميين ثقافيين تناط بهم مهام حمل رسالة التمهيد بالفن.

ح. إعداد وتنفيذ برنامج للتعاون مع كل الهيئات والمنظمات ذات الطابع الفنوني داخل وخارج إيران لتحقيق أهداف المجلس.

خ. إعداد وتنفيذ برامج لكل النشاطات الفنونية الممكنة التي يقرها المجلس نفسه او التي تطلب منه ضمن إمكانياته واختصاصه وفي حدود التخصيص المالي والسقف الزمكاني.

د. تتم كل نشاطات المجلس عبر الاكتتاب لتخفيف التكاليف المالية وللسيطرة على كل الساحة الثقافية سيطرة موجهة وشرعية.

- شعار المجلس:

لا يتحقق التمهيد في الأمة، إلا من خلال بغض الظلم أي كان مصدره ومحاربة الظالمين.

فلابد من التعريف بالظلم والظالمين العالمين.

4. من هم الظالمون ونوو السجايا السيئة في التاريخ؟

(التعريف بالظالين؛ لرصدهم ومتابعة خططهم ورسم الاستراتجيات الفنونية للمواجهة)

الظالمون على سطح الارض وعبر التاريخ هم صنف واحد، ومن كل أصناف البشر؛ يرفعون شعارا واحدا هو شعار إبليس نفسه: (انا خير منه) وهذا ما يجب ان يجسده الفنانون الممهدون في كل أعمالهم.

فلابد من بيان كيف ان المترفين والمستكبرين وأعداء النبيين والمرسلين وأعوان الشياطين يرفعون هذا الشعار؟

ذلك ما نجيب عليه الان وعلى الفنانين ان يسجلوه معيارا ضابطا في صحة

1. لقمان: 13.

عملهم التمهيدي:

الظلم: كل فعل شاذ عن خيارات النسق الكوني الفطري والبديهي، فهو ظاهر قوة قاسية غاشمة تتجسد من خلال فعل الإنسان فقط - دون بقية المخلوقات - فترعب وتخوف وتروع الآمنين في أفراده ومجتمعاته، ولذا فان الظلم يمارس من قبل كل نفر غلظ طبعه وقسيّ قلبه، وكلما كان الطبع أقسى كان الظلم أقوى وتأثيره في الرعب والتخويف اكبر.

وكأن الظالمين كلهم قد اتفقوا في الشرق والغرب على تجسيد شعار إبليس في عداوته للإنسان: (أنا خير منه).. فلا يأتي الظلم الذي يعم، إلا ممن يرفعون هذا الشعار.[1]

---

1. مثال للفن الممهد سلعة (الإرهاب)

يمكن للفنان والاديب والسياسي ذو اللب ان يرى في عالمنا اليوم كيف يسوّق الظالمون (الإرهاب) ومع انه صناعتهم وطبعهم الا انهم يمتنعون مطلقا ان يعطوه تعريفا في منظمتهم الدولية حيث يسيطرون عليها.

لقد وجد تجار الظلم العالميون الكبار جدا: في الإرهاب أفضل سلعة مروجة لبضاعتهم، بل ولاستراتيجياتهم العملاقة لابتلاع العالم كله، بما تعنيه تلك الإستراتيجية، في تجسيد شعار إبليس (أنا خير منه): من النبذ والإقصاء، واستغلال الاخر، والتلاعب بالعقول.

فمن خلال سلعة الإرهاب التي هم أهلها وأصلها تمرر الخطط الطويلة الامد، كي يظهروا بمظهر السادة العظماء العلماء المنقذين للبشرية، من البشرية ذاتها!

ومع أنهم يفسدون في الأرض ولا يصلحون ... فلا يجرؤ احد أن يشير إليهم بإصبع الاتهام، مما يضفي الشرعية على الاستغلال والنهب والتحكم بمصائر الناس، لانهم يظهرون من خلال تنبيههم لمحاربة الإرهاب، حرصا شديدا على مصالح الناس! فهم يخوضون حربا ضروسا من اجل البشرية المعذبة! ضد أوغاد ذوي عقيدة تجعل معتقديها يعيثون في الأرض فسادا!

وان ضمان استمرار الغلبة للنخبة (الذين يرون أنهم خير من البشر الاخرين)، وللإبقاء على سيطرتهم وانسياب مصالحهم عبر العالم، يتكفله إعلان الحرب على الإرهاب.

إذن فالإرهاب: سلعة مهمة جدا، تمتلك عنها أخيرا الذهن التجاري للنخبة من الظلمة الكبار من أرباب المصالح المتحكمة في العالم وأسياد المال، فقد حشدوا الجهود والتوجهات الفكرية والثقافية والسياسية... للترويج لهذه السلعة، وإيجاد أسواق ضخمة وزبائن دائمين.

وليس من المصادفات أن يقع اختيارهم لزبون دائم في الوهابيين والنواصب من الجماعات الإسلامية المتطرفة، ليكون لهم بها عالمنا الإسلامي، سوقا لسلعهم، وميدانا لحربهم، ليحققوا بذلك هدفين استراتيجيين من أهدافهم الظالمة:

الاول: تحقيق سوق ساخنة لسلعة الإرهاب في الوسط الإسلامي، لتكون أرضا دار حرب، وليتعموا هم بالاستقرار والامان الاجتماعي، و بما يحققه هذا الهدف الخبيث من سيكولوجية عدم الاستقرار المفصية للإحباط في مجتمعاتنا الإسلامية، المستلبة أصلا بالدونية للغرب.

والثاني: تحقيق هدف استراتيجي في الطعن بالإسلام الحق، باعتباره الصمانة الوحيدة على سطح هذا الكوكب، التي تحارب إبليس في شعاره أنف الذكر ضد الادميين، وتمنح الإنسان بكل أعراقه وأجناسه حريته، وتساوي بين أبنائه، وتحقق بصدق سيادته، فالله تعالى يقول في كتابه الكريم:

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

فلا يوجد فكر علمي عملي صادق في الساحة العالمية اليوم، يحمي ويصون كرامة الإنسان ويمنع استغلاله من قبل ثلة الظالمين إلا الإسلام: لانه الوحيد الذي يسفه شعار إبليس (أنا خير منه)، الذي في الواقع هو مضمون أيدلوجية الإرهاب والإرهابيين، من كل صنف وبعد البشرية بالمهدي الموعود الذي سيملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، وهنا تكون مهمة الفن بيان هذه الخصوصية للاسلام.

فالإسلام كدين وكعقيدة: يواجه كيد شياطين الجن والانس، من أرباب المصالح الفاسدة، وأسياد المال: بثقافة الفطرة الجاذبة وبين العدل والرحمة والطاعة والتقوى والقيم الإنسانية الراقية والعقيدة المهدوية.

فما يقوم التكفيريون بتناغم، بل ويقع ضمن النسق التنفيذي لإستراتيجية تجار تسويف الظلم في العالم، ولائهم يحققون هذه الأهداف نيابة عن أولئك التجار بدقة (علموا أم لم يعلموا)، فلا يستطيع أي مسلم حريص على دينه واعيا لقيمه، ومدركا لمراميه السامية، أن يقبل اعتبار ما يقوم به أولئك الادعياء: هو الإسلام الحق، وان يقبل: أن تلك الافعال المشينة، باعتبارها خيارات المحسنΨ لعباده المحسنين، يقتربون بها منه!

إن مظاهر الظلم المتجلية في القتل الجماعي الذي يقوم به أولئك الادعياء، من خلال تفجير وسائل المواصلات والمساجد والحسينيات والكنائس والمدارس ورياض الاطفال والملاعب... هو عمل غاية في الاجرام والهمجية.

وان ذبح الاطفال والنساء والشيوخ، الذي يفخر به التكفيريون: عمل محرم بإجماع الشرائع السماوية والأرضية.

وان التمثيل بجثث الضحايا الذي يمارسه بشغف ثلة الادعياء: من قطع الرؤوس وسمل الاعين، وتقطيع الاعضاء، والذي يعرضونه عبر شاشات التلفزيون..انه محرم حتى على الكلب العقور.

وان ما يبحونه من معاصي لانفسهم كوسيلة لتحقيق غاياتهم الوضيعة... كلها تؤكد بما لا يدع مجالا للشك بان الادعياء التكفيريين، هم جنود مجندون - شاءوا أم أبوا – يرفعون شعارات جنود إبليس في الغرب والشرق: (أنا خير منه) وكل تحركاتهم تأتي لتنفيذ أهداف السادة الكبار: تجار الإرهاب، فما هم إلا زبائن للشيطان بالحث والتأثير كما يقول الفيزيائيون، أو هم أصحاب ردود الفعالية السطحية كما يقول المتكلمون.

فعلى صعيد الواقع: يقدم التكفيريون خدمات جليلة للظالمين والمستكبرين الكبار والصهاينة من أعداء الإسلام: تتمثل في ما يلي:

1. إن وجودهم بين المسلمين فتنة، يروجون للبغضاء والعداوة بين أبناء الأمة الواحدة بفتاوى التكفير وإباحة دم المسلمين والجهاد ضدهم: كما أفتى زعيم تنظيم التكفيريين في بلاد الرافدين، بقتل الشيعة.. بل وأفتى أمراء آخرون من تنظيمات التكفيريين في بلدان أخرى بقتل السنة أيضا، كما حصل و يحصل في الجزائر وباكستان وأفغانستان، والسعودية وبلدان إسلامية أخرى.

2. إنهم بأعمالهم المشينة هذه يمنحون الظالمين من أعداء الإسلام الذريعة ليضيقوا على المسلمين في المواطن غير الإسلامية، بما يجعلهم موضع ريبة وشك واحتقار.

فلو كنت في دولة مثل الدانيمارك أو النرويج لرأيت كيف تسخر وسائل الاعلام من النبي محمد6، فتصوره6 وكأنه إرهابي؛ عمامته كقنبلة، وهو منتهى الظلم، وعندما اشتكى المسلمون على ما يجري من احتقار لنبيهم، سخر منهم المسئولون هناك: وقالوا لهم: هذه هي ديمقراطيتنا فمن قبل: قبل، ومن لم يقبل فعليه أن يخرج من بلدنا.

وهذا من المعابير المزدوجة التي تنم عن ظلم عظيم وكراهية دفينة لاعلى معاني العدل والعصمة، فهي التي تذكي الإرهاب، فلو تعرض احد لمقدسات اليهود، لحوكم وجرم بمعاداة السامية.

ومع هذا فأن ما يقوم به جماعات التكفيريين، تعتبر من مبررات السب الذي بدى ممن يدعي الحرية كذبا وزورا وظلما، وقد قال الله تعالى:

Γوَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ...Φ.

إن أعمال التكفيريين ضد الغربيين المبرمج والمغرك استغله الظالمون ليوظفوه ضد عدل الإسلام ولتشويهه لصالحهم ولمصالحهم.

3. من خلال ما يقوم به النواصب الظالمون من أعمال إرهابية مخيفة ومنفرة لكل البشر: إنما فوضوا أعداء الإسلام الظالمين لغزو البلاد الإسلامية، باسم حرب الإرهاب في عقر داره كما يقول من شن الحرب على الإرهاب.

4. أعمال الادعياء المشينة الممقوتة جدا: تعطي صورة مشوهة للإسلام، في حين تمنح الظالمين المجرمين الكبار، ومروجي الفساد والمتلاعبين بمقدرات الإنسانية: صورة الضحية وتجعل منهم أسيادا ظرفاء وحكاما عدولا، يريدون الاقتصاص من الفكر الذي ابرز هؤلاء القتلة، ويسعون لبسط السلام في المعمورة!

5. إن للأعمال التي يندى لها جبين كل إنسان ذي لب، والتي يقوم بها الادعياء التكفيريون: أثرا عكسياً، و بشكل مباشر على نشاطات الدعوة للإسلام في العالم... وفي ذلك خدمة كبرى لاعداء الإسلام، يقدمها الادعياء للشيطان عدو الإنسانية.

ان للفن كلمته الفصل المنقولة عبر العالم في التمهيد لدولة العدل من خلال تجسيد الأعمال الظالمة سواء لاهل الظلم او للادعياء بعد ان تنجح في بيان ماهيتهم وبيان معابيرهم المزدوجة.

للفنان المسلم أيضا أن يتوجه لمعاني الظلم الفاضح التي يجدها العالم في المعايير المزدوجة على كل صعيد يدعي الغربيون أنهم بلغوا فيه إنسانيتهم: ولنأخذ على سبيل الحصر أمثلة على ذلك:

أولاً. الحرية الشخصية

وهو ما يتشدق به الغربيون، ويعتبرونها عنوان حضارتهم، يجد المسلم أو المسلمة خصوصا أنها محض هراء، فالمسلمة لاحق لها إن ترتدي لباس اقره دينها لها، وإنها إن لبست ما يناسب عقيدتها تعاقب بالطرد من الوظيفة أو الجامعة أو من المدرسة، وعلى المنصف إن يرى مقدار ما تنطوي عليه نفس المسلمة المتعففة أو أبوها أو زوجها أو أخوها أو المسلم المراقب: من اضطهاد وهم يرون إن الحرية مباحة للأخريات بالتهتك أو وهن يمارسن الرذيلة علنا في الحدائق العامة الغربية.

إن الحرية الشخصية في الغرب لها اتجاه واحد فقط، هو الذي يتوافق مع المركزية الغربية ولا يتعارض مع التوجهات الصهيونية: وهو بهذا يخدم طرفاً آخر في أيدلوجية الإرهاب، وهو ما يستفيد منه المجرمون في غسل العقول البسيطة وتوجيهها إلى الاستشهاد لرفع الاضطهاد عن المسلمين، والانتقام من واضعي المعايير المزدوجة لؤلئك الأشرار - كما يظن - والذي يستفيد منه الحاقدون في الطعن بالدين واعتباره ممارسة إرهابية يدعو لها الدين الإسلامي.

ثانياً. الحرية الفكرية

وهي من عناوين حضارة الغرب: هي كذلك يجدها المسلم محض هراء، وهو يرى إن الأوربي الأصيل (روجيه غارودي) يقدم للمحاكمة ويهان، لأنه ألف كتابا عن الأساطير الصهيونية، بل إن الناشر للكتاب يغرم ويصادر الكتاب من الأسواق..في حين إن الذي يشتم نبي المسلمين في كتابه (آيات شيطانية): الهندي سليمان رشدي: تصرف الملايين على حمايته في أوربا ويطبع كتابه بكل لغات العالم.

وهذا مما يترك أثرا بالغا جدا في لب كل مسلم لأنه إجراء لا يشك في عدوانيته وخبثه، إلا من لا لب له ولا ضمير، حتى وان لم يكن مسلما، فكيف سيكون من يريد إن يوظف كل شيء لمآربه.

ثالثا. الديموقراطية

فازت بالانتخابات التركية الديمقراطية النائبة (مروة قاوقجي) التركية في

البرلمان التركي، إلا أنها كانت محتشمة اللباس و تضع قطعة قماش فوق رأسها لتغطية شعرها، كما تعتقد بالإسلام.. والآن فإنكم جميعا تعلمون مصيرها!! فقد أوصلتها الديمقراطية الغربية إلى الطرد من البلاد، وإسقاط الجنسية التركية عنها، عام 1999 م، بعد فوزها عن حزب الفضيلة بحجة أنها محجبة![1]، إنها منتهى القسوة التي لا نجد مثيلها إلا عند التكفيريين.

من هذا المثال أرجو إن يلتفت المنصف إلى مقدار الاضطهاد الذي تنطوي عليه نفوس المسلمين الذين يعلمون أو ربما أعلمهم آخرون: إن النساء في اسطنبول يعرضن عاريات من خلف الزجاج في (الفترينات): من اجل الرذيلة، وعليهن أرقام يستدل بها الزبائن، ربما في هذا عار يجعل التكفيريين يفخرون بقتل الأطفال في العراق، والجزائر... دون التعرض لهذه الأسواق!!

رابعا. القرارات الدولية

عشرات القرارات التي صدرت من الجمعية العامة للأمم المتحدة، ومجلس الأمن لا ينفذ منها إلا ما صدر ضد دول بذاتها، بينما ما يصدر ضد إسرائيل فانه يبقى حبرا على ورق ولا يجرؤ أحد إن يقول لماذا؟

ثم كل ما تقوم به إسرائيل من ذبح للفلسطينيين وتدمير وتشريد وهدم بيوت ومزارع وردم الآبار: مباح إلا إن يقوم فلسطيني بما يدل على انه معارضة على ذلك الفعل فانه إرهاب.

إن أي منصف يرى في ذلك اضطهاداً أيما اضطهاد: فهناك شعب يشرد بالكامل، ودولة تخرج على كل القوانين الدولية تحت رعاية غربية كاملة وعمياء..انه عار يكلل الحضارة الغربية ومسوغ لعدم استقرار العالم القائم على الظلم.

لكن الغريب إن هذا الظلم والذي يقع على الفلسطينيين مما لا يشغل اهتمام تنظيم التكفيريين، ولا تستغله في تجنيد الانتحاريين ضد إسرائيل!!

1. المنار، العدد: 76، شوال 1424 هـ، بقلم إيمان الوزير.

(ما يجب على الفنانين المهدين بيانه)

اولا. ظلم البيض وسوء سجاياهم الإنسانية:

لقد سعت المركزية الغربية الظالمة، إلى محاولة تصدير نموذجها الحضاري الظالم والذي يشهد الآن فضيحة لم يشهد لها التاريخ مثيلا، تمثل في نهضة الفقراء الذي ابتدأ في فرنسا، وأمريكا من الأعراق المهاجرة وفي ما يسمى بالربيع العربي حيث سياسة النبذ والإقصاء والإهمال، فكيف يمكن لها أن تصدره بعد اليوم إلي مختلف بقاع العالم؟! خصوصا وان هناك ممهدون سينهضون بمهام كشف الظلم ومحاربته.

وقد تجسد أسلوب التصدير المقيت هذا تاريخيا، بإشكال واضحة لا لبس فيها، منها:

1. فيما عرف بغزو أمريكا، عندما أسس المهاجرون الهاربون من نير الكنيسة البروتستانتية مدينتهم الفاضلة على جثث الهنود الحمر والازاتيك، وبسواعد الأفارقة السود.. هذا مايجب على الفنانون الممهدون بيانه.

إن ممارسات السيد الأبيض في الإبادة الجماعية للهنود الحمر والازاتيك، وسوء سجاياه الإنسانية معهم والاستغلال البشع للأفارقة السود في مناجم الفحم والذهب، والنظر إلى الإسلام كعقيدة دموية وللمسلمين كبدو متوحشين ... والمعاملة المباشرة التي تجسد تلك النظرة: ولد حقدا دفينا تغلغل في نفوس هذه الشعوب.

وبهذا الصدد يقول الغذامي في كتابه: (رحلة إلى جمهورية النظرية: مقاربات لقراءة وجه أمريكا) عن حال السيد الأبيض مع الأرقاء السود هناك:

(إن كل مواطن حرٌّ كان يستمتع بعمل أربعة أرقاء في المتوسط، ولم يكن هؤلاء الأرقاء يستخدمون في الخدمة المنزلية وحدها، بل كان منهم الزراع والرعاة، ولكن استخدامهم الأكثر شيوعا، كان في مجال الحرف والصناعات اليدوية واستخراج المعادن).[1]

أما (فرنسيس فوكوياما) - الأمريكي من أصل ياباني لذي ينظّر ويمهد لسيادة الرجل الأبيض - فقد جعل من إبادة الهنود الحمر والازاتيك الجماعية واستغلالهم، هدية كبرى قدمها السيد الأبيض لهم، فنراه يقول:

1. الغذامي: عبد الله محمد "رحلة إلى جمهورية النظرية: مقاربات لقراءة وجه أمريكا الثقافي" مركز الإنماء الحضاري، دمشق، ط1 (1998م)، ص74.

(إن أمريكا هي آخر بلد يمكن إن يكون فيه للاعتبارات العائلية والعرفية أية أهمية، وهي لم تقم - كما يدعي البعض - على أشلاء أهلها الأصليين من الهنود الحمر والازاتيك الذين كانوا يذبحون أطفالهم قرابين للآلهة).[1]

(الإنسان الأبيض الذي فضلته الطبيعة واختارته ليكون حامل مشعل الحضارة والتقدم: هو المنطق الذي يبرئ الغربيين والمستغلين الاستعماريين من تهمة الإرهاب ولو أبادوا البشرية كلها).[2]

ويقول المستشرق (كارا دو فو) - الذي يبرر للفرنسيين قتل الجزائريين أبان الثورة الجزائرية:

(إن البدوي في أفريقيا هو الهندي الأحمر، و يجب تهيئة المصير نفسه الذي آل إليه الهندي الأحمر على أيد الرواد البيض لأمريكا، ويجب إن يختفي البدوي من على وجه الأرض)[3]

وعن (برنا رد لويس)، (ودانيال باييس)، ينقل، حسن الأمراني أيضا قولهم:

(إن الشعب العربي لا يبدو إن يكون إذن كالهنود الحمر، وان حضارة الغرب وحدها جديرة بان تسود).[4]

هذه النصوص تؤكد ما ذهبنا إليه من إن هناك تيارا قويا في السياسات الغربية، هو الأصل الباطن لما نرى من معايير مزدوجة وسلوك عدواني من قبل الرجل الأبيض، هو الذي أسهم إن لم يكن هو الذي هيأ الأرضية لردود الفعل القوية الانفعالية التي يشهدها العالم اليوم، والذي يميزها إرهاب دموي فظيع.

ان على الممهدين بالفن يصنعوا إعمالا فنية وان ينبهوا العالم من خلالها الى الظلم الأمريكي الفاحش، فمنذ مائتي سنة تقريبا والأمريكان يبيدون الشعوب الأصلية (حوالي الملايين من الأشخاص)، ويحتلون نصف المكسيك - منطقة جزر الكاريبي ومنطقة أمريكا الوسطى - ويحتلون هاييتي والفلبين مسببين مقتل مائة آلف فلبيني![5]

وهي اليوم وامس تحاول أن تهيمن على العلاقات الدولية من خلال التهويل

---

1. فوكوياما؛ فرنسيس؛ "نهاية التاريخ و الإنسان الاخير" ترجمة: فؤاد شاهين، وآخرين، مركز الإنماء القومي، بيروت (1993م)، ص8.
2. محفوظ؛ محمد "نقد المشروع الحضاري الغربي وتحديات العولمة" مجلة الكلمة، عدد: 194، السنة 5، منتدى الكلمة للدراسات والابحاث، بيروت (1998م)، ص56 (بتصرف).
3. الامراني؛ حسن "المتنبي في دراسات المستشرقين"، ص341، وجاء نص مقارب في مجلة الكلمة؛ العدد: 4، السنة 11، ص82.
4. نفس المصدر.
5. حب الله؛ غادة، وعاضة؛ رباب، "الإرهاب سلاح ذو حدين" مقالات تهم الإنسان والمجتمع، معهد السيدة الزهراء عليها السلام العالي للشريعة والدراسات الإسلامية، ط1، 1425هـ، ص260.

بوجود عدو شرير يهدد الأمن ولاستقرار الدولي.[1]

فتلوح على الرأي العام العالمي بشبح الإرهاب لتنفيذ مخططاتها. علما إنها تدعم علنا دول دكتاتورية أو حتى أنظمة إرهابية فتقدم لها الأسلحة لقمع شعوبهم.[2]

وعندما أعلنت الأوساط الغربية الحكومية المستكبرة عن حربها ضد الإرهاب! على أساس انه غدة سرطانية يجب استئصالها من جذورها، كانت الحكومة الأمريكية بإدارة الرئيس الأمريكي آنذاك ومستشاره (الاكسندر هيغ): قد أنشأت منذ عشرين سنة شبكة إرهابية دولية ذات نطاق واسع، لا مثيل له يهدف لمحاربة أعداء الولايات المتحدة المتخلفين حضاريا![3]

وقد نفذت هذه الشبكة عددا لا يحصى من الجرائم في مختلف أنحاء العالم منها ما جرى في أمريكا الوسطى وبالخصوص ما جرى في نيكاراغوا.

فقضية نيكاراغوا قضية خاصة يجب على الفانين ان يظهروها على الحقيقة الظالمة التي جرت فيها؛ قضية نيكاراغوا سابقة دولية في إرهاب الدولة لا جدال فيها حتى في قانونهم الذي وضعوه في القانون الدولي: لأنه لأول مرة يصدر عن المحكمة الدولية حكما لا رجوع عنه تدان فيه دولة بعملية إرهابية والقضية أفضع بكثير من اعتداءات 11 أيلول: ذلك إن الحرب التي خاضها الرئيس (رونالد ريغان) ضد نيكاراغوا أسفرت عن وقوع عما يقل عن (57000) ضحية منهم (21000) قتيلا وسببت دمارا وخرابا يعادل قنبلة هيروشيما.[4]

فالأوربيون: أعطوا لأنفسهم ظلما حق التحكم في البشرية؛ لأنهم بيض البشرة، أو لأنهم ولدوا في أوربا! .. وهذا الخط - خصوصا - له أصوله الأيدلوجية الضاربة في التاريخ[5]، ابتدأ من (ابيقور) مرورا بـ (نيتشة) والى

---

1. (استرانجيا: تتغير هوية هذا العدو حسب المصالح الامريكية، كما هي الحال مع صدام حسين، حيث انقلب بين عشية وضحاها من صديق يحارب نيابة عنها، إلى عدو خطير، سرعان ما تخلصت منه).
2. من أين حصل صدام حسين على الأسلحة الكيمياوية التي أباد بها شعبه في مدينة حلبجة والتي تحاكمه اليوم عليها؟
3. E –Bradford: (At war in Nicaragua; The Rangan doctrine and politics of nostalgia of nostalgia), New Yourk.1987.
4. Toefolo; Cabestrero, (Blood Of Innocent: Victims of the contras War in Nicaragua), Orbis Bood-1985.
5. يقول المؤرخ البريطاني الشهير (أرنو لد توينبي): "إن دراسة الجنس أو العرق كعامل منتج للحضارة؛ تفترض وجود علاقة بين الصفات النفسية، وبين طائفة من المظاهر الطبيعية. ويعتبر اللون هو الصفة البدنية التي يعول عليها الأوربيون - أكثر من غيره - في الدفاع عن نظريات العرق الابيض المتفوق، وان أكثر النظريات العنصرية شيوعا هي التي تضع في المقام الأول السلالة ذات البشرة البيضاء والشعر الاصفر والعيون الشهباء، ويدعوها البعض بـ (الإنسان النوردي) أي الإنسان الشمالي، ويدعوه الفيلسوف الالماني (نيتشة) بالوحش الاشقر.

ونيتشه هذا يمثل اكبر المفكرين الغربيين الذين مجدوا القوة، وتقوم فلسفته على "إدارة القوة"، والسعي لإنجاب الإنسان الأعلى، واخذ هذه الفكرة "هتلر" وبنى عليها نظرية تفوق العرق الجرماني؛ والتي

(هيجل) الذي ادعى إن صيرورة الفلسفة: غربية، هو ذاته غايتها، وصيرورة الدين في المسيحية، حيث الأوربيين يمثلوه.

وصار لهذا الخط اليوم مدرسة، وقادة، وثقافة انتروبولوجية، تكتسح العالم بما أوتيت من إمكانيات إعلامية هائلة.

ثانيا. ظلم الصهاينة وسوء أخلاقهم (شعب الله المختار!!!)

ومثل ما نرى من ظلم السيد الأبيض، فان هناك من هو أعتى منه إرهابا، يدلس عليه السادة البيض أمعاناً في احتقار الإنسان لأخيه الإنسان، لمصالح غير مشروعة مشتركة بين سادة البياض وسادة الاختيار وتحت نفس الشعار الظالم وسوء الخلق؛ (انا خير منه)!!!

فالصهاينة ادعوا الأفضلية على البشر، بما لا أحد يستطيع إن ينازعهم إياها..لأنها منحت لهم بتفويض الهي كما تصفهم الكتب المنزلة من الله - كما يدعون - فهم شعب الله المختار!!!.وهم الصهاينة.

ولذلك فهم يتكبرون ويستعلون على الاغيار والاغيار:هي المقابل العربي للفظ العبري (جوييم): وهي تشير إلى الأمم غير اليهودية، وقد تحول هذا الاستعلاء والتكبر إلى عدوانية واضحة في التلمود: الذي يدعو دعوة صريحة إلى قتل الغريب حتى ولو كان من أحسن الناس خلقا.[1]

والغريب: الذي ليس له تفسير واضح: هو أن في سيادة الصهاينة امتياز في احتقار الأوربيين على مسمع ومرأى، بل وحماية من الأوربيين أنفسهم!!

ففي 1907م انشأ اليهود في فلسطين أول قوة إرهابية، باسم منظمة الحرس اليهودي - هاشومير -، وقد اشرف عليها حزب بوعالي صهيون.[2]

وكان شعار المنظمة: (سقط يهودا بالدم والنار، وسيبعث بالدم والنار)، وقد أنشأها الإرهابي الكبير (دافيد بن غوريون).

وفي عام 1919م انقلبت (الهاشومير) إلى منظمة (ألها غانا): التي ارتكبت مجزرة دير ياسين الرهيبة والمشهورة بالتعاون مع منظمة (الارغون) في التاسع من نيسان عام 1948م.

ولقد وصف أحد قادة الارغون هذه المذبحة بقوله: (لقد قمنا بعملية تنظيف)[3]

نرتب عليها جنون القوة وهاجس السيطرة الشاملة، وقهر الشعوب الاخرى واستعبادها، فأفرزت تلك الحروب التي دمرت أوربا وغيرها؟.

«نقلا عن: المقدادي فؤاد كاظم: "الإرهاب بين ثقافتين"، مجلة رسالة الثقلين، العدد: 42ص6».

1. المسيري: عبد الوهاب، "الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى الانتفاضة"، دار الشروق القاهرة-2001م، ط1، ص20.

2. صلاح زكي: "نظرية الأمن الإسرائيلي"، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ط1، 1978م، ص34.

3. جوناثان: ديمبلي وودونالد: ماك كولين، "الفلسطينيون" الدار العربية للموسوعات، بيروت (ب. ت)، ص85.

آما الوصف الدقيق للمذبحة فقد جاء على يد رئيس بعثة الصليب الأحمر الدولي آنذاك (جاك دي رينييه)[1]، حيث قال:

(بعض مقاتلي الارغون قطعوا أوصال ضحاياهم بالخناجر قبل إن يقتلوهم).[2]

كما إن سلطات السيد الأبيض البريطاني سجلت بدورها تفاصيل الإرهاب الصهيوني بدقة متناهية, على يد مفتش الشرطة العام، (ريتشارد كالتنغ) الذي قام بالتحقيق بالحادث فقال:

(نزعت أساور وحلقات النساء، من أذرعهن وأصابعهن بوحشية متناهية وقطعت، أجزاء من آذانهن لانتزاع الأقراط منها).[3]

ثم يتباهى الإرهابي (مناحيم بيغن) بإرهابه فيقول عن دير ياسين المذبحة الكبرى في التاريخ:

(تملّك العرب هلع لا حدود له، بعد سماعهم القصص عن مذبحة الارغون، وبدءوا بالهروب للنجاة بأنفسهم، وسرعان ما تطور هذا الهروب إلى فرار جماعي جامح لا يمكن السيطرة عليه) [4]

وهكذا كانت مذابح (كفر قاسم، وكفر برعم) نسخا طبق الأصل لمذبحة لدير ياسين، وكأن عيني السيد الأبيض في غشاوة من هذا الإرهاب، بل الذي حصل انه قدم للإرهابيين اليهود وساما: بان واسى اليهود بمذابح هتلر ومحرقته، وصارت في بلاد الغرب معادة السامية التي تعني معاداة إسرائيل جريمة يعاقب عليها القانون وذلك تغطية لإرهاب اليهود.

أليس ذلك هو الظلم الذي حاربه الأنبياء عليهم السلام والذي سيحاربه المهدي7 في وجود الناس عموما وفي المسلمين خصوصا؟!

والصهاينة امعانا منهم في الظلم؛ هم أول من ادخل أسلوب الرسائل والطرود الملغومة، وأسلوب التخريب الاقتصادي في العمل الإرهابي: منها تلك الرسائل التي بعثوا بها إلى بعض المسئولين البريطانيين في الثلاثينات من القرن الماضي، واغتيالهم مسئولين بريطانيين آخرين خارج فلسطين، بسبب موقفهم المعارض للحركة الصهيونية، وكذلك نسف خط أنابيب النفط قرب حيفا في صيف 1929م.

وقد بلغ الأمر بالصهاينة إلى أن يستخدموا الإرهاب حتى ضد اليهود الذين لا يؤمنون بها، إذا ما كان ذلك يساعد على تحقيق أهدافها في إجبارهم على الهجرة إلى فلسطين.. فقد نسف الصهاينة السفينتين باتريا في العام 1940م..

---

1. نفس المصدر.
2. نفس المصدر.
3. نفس المصدر، ص86.
4. نفس المصدر.

والباخرة ستروما عام 1942م، واغراقهما بمن عليهما من ركاب يهود..وتعاون الصهاينة مع النازية في مذابح اليهود في أوربا إبان الحرب العالمية الثانية لإجبارهم على الهجرة إلى فلسطين.1

وفي عام 1946م قامت منظمة إرهابية صهيونية بتفجير فندق الملك داود في القدس، حيث كان مركز سلطات الانتداب البريطاني، وكان المبرر لهذه العملية وما شابهها من عمليات مرعبة قامت بها المنظمة الصهيونية الإرهابية المعروفة (ارغون)، هو رفع الروح المعنوية الصدامية لدى اليهود، كما قال مناحيم بيغن زعيم المنظمة.

وفي عام 1948 اغتال الصهاينة مبعوث الأمم المتحدة إلى فلسطين الكونت السويدي (برنادوت)، لأنهم خافوا من نتائج منتظرة لمهمته في المشكلة الفلسطينية.

إن قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة المرقم (2279) لسنة (1975)، باعتبار الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية والتمييز العنصري، يعتبر فلتة قدرية تدل على ارتباط الإرهاب بانحراف الفطرة واحتكار السيادة الذي أذهل النخبة المتنفذة في العالم، فعملوا ليل نهار حتى استطاعوا جعل الأمم المتحدة تتراجع عن هذا القرار لاحقا.

ولقد أصدر ثلاثة من عناصر الموساد السابقين كتابا عام 1978 يقولون فيه:

(إن الإرهاب يشكل مركز الصدارة في أعمال وكالة المخابرات الإسرائيلية ـ الموساد).

ولم يقتصر الصهاينة ـ قبل وبعد تأسيس كيانهم الغاصب ـ على أسلوب نسف المنازل وإلقاء المتفجرات على الأسواق وقتل الأطفال والنساء..وهم الذين ابتكروا المذابح الجماعية كما في حدث ذلك في دير ياسين في فلسطين، ومذبحة صبرا وشاتيلا في جنوب لبنان، إلى مذبحة قانا في 18نيسان 1996م.

يستطيع الفنانون الممهدون ان يجدوا في كتاب المنتقمون للكاتب الإسرائيلي (بار زوهار): تفاصيل للأساليب الإرهابية الصهيونية التي قامت بها عصاباتها في ألمانية الغربية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية: كتسميم المياه والخبز، واصطياد العلماء الألمان وملاحقتهم وقتل الكثير منهم.[2]

إن مثل هذا الظلم الذي جرى ويجرى على الإنسانية: كان بمثابة البذور التي زرعها السادة البيض، والسادة المختارون من قبل الرب! ليعم الظلم الارض.

وفي غياب العلم بالثقافة المهدوية وبالمهدي المدخر لإزالة الظلم والظالمين

1. الموسوعة العربية المصدر نفسه، ص962.
2. الموسوعة الفلسطينية المصدر نفسه، ص191.

بين غالبية بني البشر؛ صار حديث السيد الأبيض الآن عن الإرهاب، وبغضه للأساليب الآخرين، سببا كبيرا، لنهوض الآخر كسيد في الجانب الآخر: لأنه جعل السيادة قرينة الإرهاب عمليا: فلماذا لا يكون الآخرون أسيادا بنفس القرينة؟؟.

وكما أن السيد الأبيض، والسيد المختار!: سوغ لأتباعه القسوة والظلم وحماهم، فما المانع من أن يسلك الآخرون المغصوب حقهم، والذين هم ضحيا الإرهاب الذي لم يبقي لهم من الدنيا ما يتقّوم معه العيش: أن ينتحروا، ويزلزلوا الأرض تحت أقدام المترفين؟

إن على العالم أن يصدق مثلا: إن الفلسطينيين: جاءوا من كوكب آخر، واحتلوا فلسطين: ولذا فان قلتهم وتشريدهم ومصادرة كل حقوقهم، ضرورة لأمن أهل الأرض الأصليين الذين هم اليهود! وعلى كل من لا يصدق هذا الكلام، وزر الإرهاب ووزر ممارسة الإرهاب.

إن هكذا عدالة تستبيح ـ فعلا ـ السلام على الأرض.

وان هكذا منطق يعاكس حتميات الطبيعة.. ويفترض أن لا يكون: أن لكل فعل رد فعل. وان هكذا عالم يضيع فيه الأنصاف بعيد عن معاني العقيدة المهدوية، علينا ان لا نستغرب أن يكون بيئة خصبة للظلم والظالمين.

وان رئيس السادة البيض: وبكل صفاقة يسعى إلى إرغام المسلمين على الخلاعة والسفاح المحرم.. وغيرها من معاني الحرية عندهم: وعليهم ان ان يؤمنوا ان هذا فاتحة خير للقضاء على الإرهاب. فلو تمعن أحد المسلمين في أقوال جورج بوش مثلا: لشعر بخيبة أمل كبيرة، من عالم يقوده مثل هؤلاء الظلمة الفاسقون والذين يحتكرون السيادة باعتبارهم خير من البشر، كسيدهم ابليس.

إليك نص واحد مما يقوله زعيم المتحضرين البيض (جورج بوش):

قال جورج بوش في خطاب له أمام الكونغرس الأمريكي في يوم 29 كانون الثاني 2002م، ما نصه:

(لن نتوقف حتى يصبح كل عربي ومسلم مجرد من السلاح ... ونعتبر جميع المنظمات الدولية التي تعترض كل هدف يتعلق بالمصلحة الأمريكية الإسرائيلية يجب حلها فورا..سنقوم نحن شعوب العالم من الجنس الأبيض المتحضر، بفرض معتقداتنا على عالم جائع لأموالنا ورسالتنا، ولن يخضع الرجال بعد الآن لشرط إطلاق اللحى، ولن تخضع النساء لشرط تغطية وجوههن وأجسادهن، ومن الآن فصاعدا يحق للعالم تناول الخمر والتدخين، وممارسة الجنس السوي والشذوذ الجنسي، بما في ذلك سفاح القربى، واللواط والخيانة الزوجية، والسلب والقتل، وقيادة السيارات بسرعة جنونية، ومشاهدة الأفلام والأشرطة الخلاعية، داخل فنادقهم، أو غرف نومهم، وبالنسبة لشركاتنا

التي تنتج مثل هذه المنتجات، فيحق لها الوصول بدون عقبات للدول المتخلفة، التي منعت تلك الحريات عن شعوبها).[1]

ثالثا. ظلم أمراء المؤمنين النواصب

إن الزرع السيئ الذي رأينا نماذج له في السادة البيض، وفي أبناء الشعب المختار من قبل الرب! انبت شجر سيئ، أثمر في منطقتنا الإسلامية والعربية: أدعياء للسلف (الصالح)! وإنهم هم أسياد العالم - بنفس أيدلوجية الإرهاب - فأميرهم هو أمير المؤمنين، وكل ما دونهم كفار حتى وان شهدوا الشهادتين وصلوا وصاموا وحجوا وزكوا!!

إن ما يحصل اليوم من توجهات مدروسة لجعل الإرهاب تهمة يلصقها الغرب بالإسلام- دين السلام- يتم تمريرها من خلال عملاء مجندين له (علموا ذلك أو لم يعلموا)، وان كان البعض: لا يشك بان الكبار في تنظيمات المتشددين التكفيريين مثلا عملاء مأجورون، وان الصغار جهلة مغرر بهم: غسلت عقولهم.. كيف؟ ولماذا؟

أن امتياز السيادة هذا، الذي تدعيه ثلة من البيض وأبناء الرب، الآخرين، ليكون الآخرون من البشر دون تلك الثلة في كل الامتيازات الإنسانية، أو آدني درجة؛ فيه ظلم عظيم و فيه تعسف كبير، حيث افرز معايير كثيرة للحكم في قضايا الأمم، مما أدى إلى عالم مليء بالظلم، فدفع بدوره كثيرين للتمرد على الأدعياء للسيادة على البشر، ولكن مع الأسف، صاروا أدعياء مثلهم.

أدعياء لأنهم سلكوا فعل المنحرفين، حين أرادوا أن يكونوا أيضا أسيادا بنفس الميزة المنحرفة للسيادة السائدة اليوم، فيرهبون أو يرعبون المدعين، و ليشعرونهم بحقيقة حجمهم.

تلك إذن هي المعادلة التي تعيشها البشرية اليوم.

وهكذا فان الجميع على خط واحد من الانحراف: و أن المتمردين ليسوا بأفضل من المدعين. إذ هم بالظلم سواء، أسلوبا وجوهرا.

فالحقيقة هي: إن الإنسان أحب السيادة والحرية وسعى إليها: لسنة تكوينية في نفسه وفطرته التي فطره الله عليها، أو لنقل: أن الله خلقه لها، ولكنها انحرفت بانحراف الفطرة، ليرضى الإنسان بمعاني قشور السيادة: ليكون سيدا بالمعنى المنحرف للسيادة.

ان الانبياء ومن هم على خطهم وحدهم المفوضون بالسيادة ليس بشعار انا خير منه بل بالعصمة التي استشعار العجز عن الكمال الذي لا يمتلكه إلا الرب

1. نقلا عن صحيفة الخليج العدد (8300) ص/17.

جل في علاه.

ولأن النزوع إلى السيادة سنة تكوينية في نفس كل إنسان، ذلك إنها جعل الله وأرادته في خلق الإنسان.. فليس السيد: إلا ذاك الذي يملك نفسه، فهو حر مختار لفعله وما يصدر عنه، وطبقا لهذا فكل إنسان له قدر من السيادة بقدر طاعته لهذا الجعل الإلهي.

بدأ الإرهاب منذ أن تفرد البعض بالسيادة، ونزع هذا الحق من الآخرين، وفرض وصايته عليهم، فلا خيار لهم إلا خياراته، ولا امتياز معنوي أو مادي إلا له.

قال الله تعالى يصف هذا الحال منذ الوهلة الأولى:

Γوَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَΦ.[1]

وهكذا فان التفاضل بين البشر، إذا تم من خلال معيار علمي[2] فان الإنسان يترفع من إن يكون ظالما سفّاحاً قاتلا قاسيا.

وهذا المعيار العلمي للتفاضل بين الناس لا يوفره إلا الإسلام كعقيدة تتمكن من النفوس، وهذا المعيار هو التقوى.

والتقوى تعني التزام الإنسان (الخليفة) الطاعة الصادقة لله المستخلف: وتتجسد في تفضيل الإنسان خيار الله في الفعل على خيار نفسه، مما يمنح الإنسان قدرا من الحرية والسيادة بقدر تقواه، في حين أن مدعي السيادة بغير التقوى: يبقى في دائرة العبودية لنزوة نفسية في خيار فعله القاصر لذاته القاصرة، فلا ينطلق إلى قدرات السيادة الحقيقية التي يحققها مصداق جعل الله للإنسان خليفة في الأرض.. وهو لا يتحقق اليوم الا في المهدي المنتظر7

إن الاعتبار بمعيار غير علمي للتفاضل بين الناس، أوجد بيئات ظلم، خصبة للتناحر والإرهاب والعنف بين بني البشر.

وعلى هذا المقياس: يبدو إن الشرف والقرف اللذان يصادفان الناس اليوم،

---

1. المائدة: 27.

2. المعيار العلمي؛ هو الاعتبار بثابت قياسي في نوع الاشياء أو جنسها، يصدق معه التفاضل بينها. ولذا فعندما يجعل المولىΨ التقوى معيارا للتفاضل بين الناس في قوله:

"يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم أن الله عليم خبير" [سورة الحجرات]، إنما بذلك جعلΨ؛ معيارا علميا للتفاضل بين خلقه، فمعيار التقوى، معيار يتوحد فيه الناس، لانه يعتمد مرتكز ثابت واحد بين الناس وهو المرتكز العقلي، الذي يتوحد فيه البشر في خيار الفعل الصادر عنهم، من خلال الحكم العقلي الذي يسبق الفعل.

إن بديهية سعي العقل لبلوغ الأفضل والاكمل، وتقوى الإنسان وحرصه على تجاوز العجز وبلوغ الافضل يلزوم خيارات الكمال المطلق، فهي المعيار العلمي للتفاضل بين الناس.

فخيارات الكمال لفعل الإنسان الصادر عنه؛ هي الأفضل، والمتقي، هو الذي يتقي الوقوع في القصور.. فالمتقي هو الذي لا يخرج بفعله عن حدود خيارات الله تعالى؛ خيارات الكمال المطلق المفضي حتما إلى تمام الحرية والسيادة.

هما سنة شيطانية، لأن معيار التفاضل بين الناس اليوم: هو معيار إبليس، وليس من التكوين الرحماني في شئ، لأن السيادة تقوم عندهم: إما على المال، أو الجاه، أو القوة القاسية، أو على العرق أو النسب أو الدين أو اللون، وليس على معيار التقوى، و سلامة الفطرة التي فطر الله الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

قال تعالى: Γفَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَΦ.[1]

الناس في عالمنا لا يتعاملون على أساس إن كل الناس لآدم وآدم من تراب.. ولا على أساس إن أكرمهم عند الله اتقاهم.

وإلا لماذا يدعي مثلا: رئيس الولايات المتحدة (جورج بوش): انه هبة الله إلى الأرض لينقذها، وفي الجانب المعاكس وكردة فعل: يدعي آخرون إنهم أسلاف المقدسين، وانه أمير المؤمنين، وان كل ماعداهم كافر، وان الجنة شرعت لمن ينتحر منهم لإحباط مخططات الطرف الآخر!

هكذا توظف هذه الترهات لتصرف عليها المليارات، ويموت بسببها الآلاف تحت اسم حرب الإرهاب والإرهاب المقدس المضاد.

وهذا هو التعسف والظلم الذي تدفع اليوم البشرية كلها ثمنه غاليا، ولا ندري إلى أين يمكن إن يصل بنا الأسياد! من الفريقين.

ولا باس إن يكون السيد: سيدا كما يشاء، ولكن ليكن منصفا: في استعمال ميزان واحد ومعيار واحد في تعامله مع الناس، وذلك لترتفع ذريعة خصمه الذي في الجانب الآخر.

لا باس أن يكون الإنسان سيدا في أي جانب من جوانب الأرض، إذا اخذ بفضائل الأخلاق كسيد محترم ليخلق معادلة إنصاف وليجبر خصمه في الجانب المضاد إن يرتفع إلى مستواه، أو أن يبوء بسخط المجتمع الإنساني.. وهي مهمة الفن.

ولا باس أن يكون الإنسان سيدا كما يشاء، ولكن ليصدق مع الناس، كما هو المفترض بالسادة المحترمين إن يصدقوا.

فلماذا الكيد إذا؟

ولماذا المكر إذا؟

ولماذا هذا العبث بمقدرات الإنسانية؟

والى متى سيستمر ذلك؟

إن هناك مسوغات تصب لصالح الأدعياء التكفيريين، الذين توفرت لهم بيئة صالحة لجمع المال، ولتجنيد البسطاء وتحويلهم إلى انتحاريين، يستفيدون منهم

1. الروم: 30.

في تنفيذ مخططاتهم الجهنمية المرهبة, من تلك المسوغات ما يقوم به الغربيون من أعمال مشينة اتجاه المسلمين تتمثل بمعايير مزدوجة أولا، وبأعمال شريرة لا مبرر لها ثانيا، بل ومن منعهم من ممارسة واجباتهم الدينية، كما فعلوا في منع الحجاب عن الفتيات المسلمات في المدارس والجامعات والدوائر الحكومية.

الإمام المهدي4: الكتاب الناطق في الادب

الدكتور أحمد الهاشمي

فنون المعرفة الإنسانية كثيرة. اللغة تستخدم لتطوير ونقل هذه الفنون من جيل إلى جيل بين المهتمين بها من بني البشر. قبيل ظهور الإسلام، وصلت اللغة العربية إلى أوج تطورها في شبه جزيرة العرب. المعلقات السبع على جدار الكعبة سجلت إهتمام العرب بإستخدام الكلام البليغ لنقل تصوراتهم عن الحياة والفرد والمجتمع. وعندما أوحى الله القرآن إلى النبي محمد بلسان قومه، إنبهر أرباب الشعر بسحر بيانه. لذا سجل القرآن تحديه الخالد إلى أساطين اللغة العربية بأن يأتوا بسورة تماثل سوره. وبقى القرآن معجزة الرسول الخالدة، دون أن يقدر الإنس والجن على الرد عليه ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. فأصبح هذا الكتاب الإلهي ذكرا، ليذكر الإنسان الذي فيه نزعة النسيان إلى ما فيه صلاحه في الدارين. هذا مايهم إصلاح الفرد. أما مايهم إصلاح المجتمع، فشمل القرآن بين دفتيه دستورا متكاملا للحياة. فقال مثلا: ولكم في القصاص حياة ياأولي الألباب. خسرت البشرية الكثير بتعطيل أحكام هذا الكتاب، وغاب ترجمانه عن أنظار البسطاء من بني البشر. ونحن نعيش إرهاصات ظهور منجي البشرية، حري بنا أن نعرف الناطق بالكتاب بإستخدام روعة بيان اللغة التي جاءت فيه. ستبحث الورقة هذه عن أجمل ماقاله أرباب البيان بلغة العرب بشأن المهدي المنتظر.

المقدمة

يسعى القرآن إلى تهذيب النفس الإنسانية للنهوض بها إلى أن تشتاق إلى لقاء الله. أحكام الإسلام سواء التي تعني الفرد أو الأسرة أو المجتمع كلها تصب إلى إقامة القسط في هذه الدنيا. وحتى يوم القيامة أراده الله أن يكون باعثا لتخويف

الأفراد الذين يظلموا أنفسهم أو يظلموا الآخرين بالكف عن الظلم في هذه النشأة على أمل أن تشملهم رحمة الله الرحيم بالنشأة الأخرى. الله الرحمن شملت رحمته كل مخلوقاته في هذه الدنيا. والكتاب الصامت الذي هو جمع ما أنزله الله على قلب محمد ص فيه الكثير من المعاجز. ومن أكبر معاجزه أن ظاهره أنيق وباطنه عميق، كما صرح وصي رسول رب العالمين. المعنى الظاهر للقرآن يمكن الوصول إليه عن طريق إكتساب العلوم المربوطه. أما المعنى الباطن الذي يريده الله فلا يمكن لأحد الوصول إليه إلا بإتباع الذين طهَّرهم الله من الرجس لكي يكونوا أهلا لحمل أمانة لم تقبلها السموات ولا الجبال الشامخات من الله. الامام المهدي4 هو كتاب الله الناطق الذي يشير إليه كتابه الصامت، كما سنرى في هذا البحث الموجز. ومادة بحثنا ستكون مجموعة من الكلمات التي نزلت كوحي على محمد6 أو جائت كهدي من الرسول وآله الأطهار ومن إقتدى بهداهم. الله نسأل أن يبصرنا في ديننا ويعرفنا أكثر بإمام زماننا لكي نكون في زمرة المتقين الذين يؤمنون بالغيب والمهتدين إلى الصراط المستقيم.

بناء الفرد

في سورة الأحقاف، الأية 15. ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

وفي سورة النمل، الأية 19. ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾.

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغاً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾.[1]

عمد القرآن الكريم على جعل الإنسان رقيبا على نفسه. وجاء هذا بعد تبيين طريق الرشد الذي يسلكه المؤمن بالله عن طريق الغي الذي يسلكه الكافر. آية الكرسي في القرآن صرحت بأن الله هو ولي الذين آمنوا، وأما الذين إتخذوا من دون الله أولياء مثلهم كمثل الذي يسكن في بيت عنكبوتي. وفي تراث أئمة أهل بيت النبي محمد ص والذين هم بمجموعهم عدل القرآن التأكيد الكثير على محاسبة النفس. ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم مرة، .. تصريح معروف للإمام موسى الكاظم ع، الذي إستُشهد في سجن هارون اللارشيد سنة 183 ه. أما علمائنا الأعلام فأدلوا دلوهم في هذا المضمار. السيد رضي الدين

1. الانبياء: 105 - 106.

علي بن موسى بن طاووس الحلي، المتوفى سنة 664 ه ألف كتابا عنوانه محاسبة النفس.[1] وهو كتاب سلس يشتمل على آيات قرآنية وأحاديث متنوعة في مجال محاسبة النفس وتطهير صحائف الأعمال من الآثام. وللكتاب هذا عنوان آخر "محاسبة الملائكة الكرام آخر كل يوم من الذنوب والآثام" وقد إعتمده جمع من أصحاب الجوامع الحديثية كالشيخ الحر العاملي في "تفاصيل وسائل الشيعه" وشيخ الإسلام العلامه المجلسي في سفره "بحار الأنوار وخاتمة المحثين الشيخ النوري في "مستدرك الوسائل."

والمتمعن في الكتاب الصامت يعرف أن الصلاح والتقوى اللذان يكسبهما الفرد لا تفيدانه في حياته فحسب بل وحتى بعد مماته. كان النداء التأريخي الخفي لزكريا: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[2]... فوهبه الله يحيى، إبنة خالة السيد المسيح ع، الذي جز العتاة من بني إسرائيل رأسه وهو متخفي منهم في جذع شجرة. وهكذا فعل من يدعوا الإنتساب إلى أمة محمد ص بسبط رسول الله ـ الإمام الحسين بن علي حينما قُطع رأسه ليُرسل من كربلاء إلى دمشق حيث قُدِّم رأس النبي يحيى إلى (ملك) جبار عتيد.

القرآن يخبرنا أيضا كيف أن الله سخر إثنين من أولياءه (الخضر وموسى) لكي يبنوا جداراً للحفاظ على كنز يتيمين كان أبوهما صالحا. أما الروايات فتذكر أن ذلك الفرد الصالح لم يكن والد اليتيمين، بل كان جدهم السابع و في رواية السبعين.

إذا كانت طهارة النطفة ضرورية لخلق الولد الصالح، فإن لطهارة رحم الأم دوره المميز أيضا. لا تنسى دعاء إمرأة عمران: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً﴾[3]، وكيف أن الله تقبل منها ذلك النذر وأنبت إبنتها مريم نباتاً حسناً لتكون بعدئذ وعاءا لنفخ روح الله السيد المسيح فيها. وتذكَّر أيضا إذا كانت مريم سيدة نساء زمانها، فإن فاطمة بنت محمد ص عرّفت بسيدة نساء العالمين. ضيق المجال هنا لا يسمح للتحليق في سماء الحوراء الإنسيه. هناك سر إستودعه الله في فاطمة وقد يكون السر ذلك هو ما أشارت إليه الرواية المروية في شأن الحديث القدسي المروي عن لسان جابر الأنصاري عن رسول الله6 عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك،

---

1. الكتاب قد طبع على الحجرفي إيران سنة 1390 ه. وبناء على تحقيق بن خالتنا السيد الجلالي يمكن الرجوع إلى النسخ الاصلية التالية: 1. نسخة كتبت سنة 964 ه. في مكتبة آية الله المرعشي العامة في قم. ضمن مجموعة برقم 442. 2. نسخة كتبت سنة 1001 ه. في مكتبة الإمام الرضا7 في مشهد. رقم . 3488
http://www.rafed.net/books/turathona/17/013.html (accessed on March 15, 2012).

2. الانبياء: 89.

3. آل عمران: 35.

ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما)، أي انه العلة الغائية لخلقكما كما يظهر من الحديث هذا هو وجود فاطمة3. لذا أصبحت فاطمة (الزهراء) أم أبيها محورا لما نزل به الأمين جبرائيل7 في الأيام الأخيرة من حياة الرسول6 والأيام الخمس والسبعون العصيبة التي تلت إستشهاده مسموما.

من هذه الإشارات يقدر الباحث أن يدرك كنه معنى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[1]، عندما يصف الله صنعه لحبيبه وسيد الأنام محمد ص. أسفي على الجهلة من القوم الذين يصرفوا الكثير من الوقت في البحث حول عصمة النبي وآله الأطهار، وهم يقرءوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. ويبدو أن المسامع قد صكت عن قول النبي الأكرم6: «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» [2]

لا شك أن الأئمة بعد الرسول6 إثنى عشر وكلهم من قريش. و(الإمام) الصالح يدخل في ولاية الله بنص القرآن. لا تعجب من قول النبي6 أن التاسع من ولد الحسين هو المهدي، سمّي رسول الله6، وبقية الله في الآخرين. وكن على إستعداد لظهور أبا صالح محمد بن الحسن العسكري. إعرف أن معيار الإيمان والصلاح يوجزه القرآن في سبع كلمات: ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.[3]

إذا كانت المؤاخاة في الله تقرّب الصالحين من بعضهم البعض، فكيف هو تقيمك من جعل الرسول6 عليا7 أخاً له حينما هاجر من مكة إلى يثرب، مبيناً: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. فشدَّ الله أزر محمدا بعلي، كما أشدد أزر موسى بهارون. وإذا صرف الإمام علي7 (باب مدينة علم الرسول) ليلة بأكملها يحدث إبن عباس (حبر الأمه) عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم في السبع المثاني، فعليك أن تعرف من هو نقطة بائها. الأصول الإيمانية جميعها من توحيد وعدل ونبوة وإمامة ومعاد أختزنت في فاتحة الكتاب. وقارئ القران لا يمكنه درك المعنى الحقيقي للتوحيد بدون البدء من نقطة الباء ـ وهو الإمام العارف بالتأويل. وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا. فالعلم الكسبي له أهله والعلم اللدني له أهله، فأفهم.

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[4]. إتفق علماء المسلمين أن أمين وحي الله جبرئيل7 نزل على النبي6 وهو تحت الكساء

1. شعراء: 219.

2. http://almuada.4umer.com/t3929-topic (accessed on 15 March 2012)..

3. هود: 86.

4. واقعه: 77 – 79.

اليماني مع أصحاب الكساء، ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]. فهل آن الأوان أن يعرف المسلمون جيدا إمام زمانهم هذا، والذي هو سليل الصلب الشامخ لخامس أصحاب الكساء الإمام الحسين7؟

الاسرة الصالحة

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾.[2]

وهكذا كانت سنة الله في هذه النشأة: بنو أدم يخلقون جيلا بعد جيل متسلسلين ﴿مِن سُلَالَةٍ مِن طِينٍ﴾[3] بين الأصلاب والأرحام. والله يخرج الطيب من الخبيث ويخرج الخبيث من الطيب، كما أنه ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾[4]. ولم يقبل الله شفاعة شيخ الانبياء نوح7 لولده، قائلا له: إنه عمل غير صالح... فلا تكن من الجاهلين..

المرأة هي العمود الأساس للأسرة. بصلاحها يصلح النبت.

... ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾[5] ... ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾.[6]

على الباحثين المسلمين أن لا يمروا مرور الكرام على الأمثال القرأنية: في جانب الصلاح: مريم وأمها - إمرأة عمران، وفي جانب الطلاح: إمرأة نوح وإمرأة لوط.

كما أن الله أخرج إبن نوح من أهله، كذلك أسقط إمرأته من كونها أهلا له. والمعيار القرآني هو طاعة المرأة لبعلها في حضوره وغيابه. وما كان خروج أحد أزواج النبي ص من بيتها الذي أمرها الله أن تقر فيه وعدم روجوعها إليه وخاصة بعد نباح كلاب ماء الحوأب عليها سوى عصيانا متعمدا لله ولرسوله. لبث النبي نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، ولم يلبث النبي محمد سوى ثلاثة وعشرين سنة بعد مبعثه الشريف. فما بال المسلمين الذين يأخذون نصف دينهم من واحدة من أزواجه؟ فهل دلهم القرآن على ذلك؟

الكتاب الصامت يتطلب إماما ناطقا ليستنطقه. هذا الكتاب نزل ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[7] ...الباحث الحصيف يجد أن الله وضع شرطا على النبي إبراهيم الذي أراد أن تكون الإمامة في ذريته:

---

1. احزاب: 33.
2. اعراف: 172.
3. مؤمنون: 12.
4. زمر: 5.
5. نوح: 17.
6. بقره: 223.
7. نور: 36.

Γلا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمِينَΦ.[1]

الأسرة الصالحة لا تتبع إلا الإمام الصالح بن الصالح ولا تتبع إماما (أو خليفة) ظالما لنفسه أو الذي يملأ ظلمه كتب التاريخ ليأتي المتنطعون ووعاظ السلاطين للتغطية على تلك المظالم بعدئذ. إبنِ أيها المسلم أسرتك على حب أهل بيت الرسول6 والأئمة الهادين المهديين من بعده.

المجتمع الصالح

ولقد أرسلنارسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط

تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين

الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور

لم تتحقق المدينة الفاضلة التي دعا اليها أفلاطون في حياة البشر لحد الآن. بالرغم من مجيء الرسل و الرسالات، وجدت البشرية نفسها في أتون حروب لتحقيق منافع دنيوية زائلة، و مثقلة بقيود المظالم الاجتماعية المفروضة من قبل الطبقات الحاكمة. وحتى الديمقراطية في القرن الحادي و العشرين كشفت عن عورتها. فأصبح من الجلي أن 1% من المجتمع الرأسمالي يحكمون 99% منه، مستفيدين من الإعلام كسلطة رابعة في المجتمع. أما نفاق ما يسمى بالمجتمع الدولي والمؤسسات المفرزة عنه تجاه ما يسمى في هذه الأيام بالربيع العربي فتحدث عنه بلا حرج..

ولحين كتابة هذه السطور بقت القدس أسيرة بيد العتاة من بني إسرائيل (ممثلة بالصهيونية العالمية)، بعد أن أججوا نيران الحروب في لبنان والعراق في العقود الماضية، و ليبيا والسودان وسوريا في السنين الأخيرة. و هناك كلام للهجوم على المنشآت النووية الايرانية المستخدمة للأغراض السلمية.

لقد بلغ السيل الزبى. والإستقلالات الأخيرة لصحفي قناة الجزيرة القطرية كشفت عن زيف ما يسمى بالاعلام العربي.

وقبل سنة عندما مدحت كلينتون (وزيرة الخارجية الأمريكية) هذه القناة لأدائها دورا فاعلا في تنفيذ سياسة «الفوضى المسيطرة» لتحقيق «الربيع العربي»، تحقق أن هذه القناة ما هي إلا امتداد للإعلام الغربي.

وفي غياب منظمة الدول الإسلامية الـ (57) و الجامعة العربية، أصبح حلف الشمال الأطلسي الوحش الكاسر للأنظمة التي لا تركب في فلك أمريكا

1. بقره: 124.

ومن يحركها.

المجتمعات في المعسكر الشرقي (إن بقي هناك أي معسكر) ليست بأحسن حالا من المجتمعات في المعسكر الغربي.

وكما تنبأ النبي محمد6: أصبح المسلمون في الوقت الحاضر على كثرة عددهم (المتجاوز 1,6 بليون) عرضة لهجوم الوحوش الكواسر من كل الأطراف على فريستها. ولكن تحقق الوعد الإلهي بظهور منجي البشرية ليملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا يبقى هدفا مقدسا لكل الصالحين من بني البشر.

إرهاصات رجوع المسيح وصلاته خلف الإمام المهدي في الأرض المقدسة بعد تحريرها من الدنس لاحت في الآفاق. فلتتلاحم سواعد المجاهدين الحقيقين من المسلمين مع سواعد المسيحيين المنتظرين لرجوع السيد المسيح7 لتحقيق حكم الله في الأرض:

المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام.

بالوقت الذي عرف فيه المجتمع الإنساني والإسلامي الدجال والسفياني، على منتظري الظهور المقدس العمل على تعريف رايات اليماني والخرساني. فإن الغد المشرق لناظره قريب. بذل السيد محمد رضا الجلالي جهدا محمودا في إستقصاء أحاديث الرسول6 حول المهدي في مسند أحمد فوجدها قد تجاوزت المئة [1]. فعلى المسلمين أينما تواجدوا على ظهر هذا الكوكب أن يثقفوا أنفسهم في علم آخر الزمان ليكونوا في مأمن من فتنة الدجال. القراءة السطحية لسورة الكهف في عصر يوم الجمعة لا يمكنها توفير ذلك، فالتدبر في قراءة القران أمر ضروري في فهم التفسير وللتأويل أهله الذين نص عليهم القرآن نفسه. لذا أهبُّ بالمسلمين جميعا إلى الرجوع إلى كتاب الله والأخذ بالهدي النبوي في خصوص عترته الطاهره والتي لاتنفصل عن الكتاب حتى يردا عليه الحوض قريبا. وكوثر الدنيا قد أطلقت نداءها التأريخي على مسامع الأول: وفي إمامتنا أمان من الفرقة. فهل يتوحد المسلمون تحت راية إبن الطاهره الزهراء الإمام المهدي لتحقيق الحق وإزهاق الباطل؟

الآيات المؤولة بالإمام المهدي4

قال العلامة المحدث السيد هاشم البحراني: في مقدمة تفسير البرهان (ج1، ص7 -8)[2]:...

1. السيد محمد رضا الحسيني الجلالي. المهدي في أحاديث المسلمين. حقيقة ثابتة. اعداد واخراج: مؤسسة دار الحديث العلمية الثقافيةwww.darolhadith.net,1413.

2. الابحاث القرآنية منقولة بتصرف طفيف من المرجع التالي:
http://www.alquran-network.net/ayatmahdi.htm (accessed on 15 March 2012).

"رابعاً: (وأما ما تأويله بعد تنزيله) فالأمور التي حدثت في عصر النبي6 وبعده من غصب آل محمد6 حقهم، وما وعدهم الله من النصرة على أعدائهم، وما أخبر الله به نبيه عليه الصلاة والسلام من أخبار القائم4 وخروجه وأخبار الرجعة والساعة في قوله: ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون وقوله: وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، نزلت في القائم من آل محمد عليه وعلى آبائه الصلاة والسلام ومثله كثير مما تأويله بعد تنزيله."

الآية الأولى: Γ وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ Φ.[1]

إن هذه الآية من جملة الآيات القرآنية المؤولة بالإمام الحجة4 على الظاهر:

إن الله سبحانه وتعالى قد وَعَدَ المؤمنين الصالحين من هذه الأمة بأن يجعلهم المستخلفين لمن كان قبلهم، أي يجعلهم بدل الذين كانوا من قبل في هذه الأرض، والله تعالى يورث المؤمنين الأرض ويجعلهم يتصرفون فيها حيث يشاؤون، ويحكمون فيها بدين الله، بعد إعطائهم القدرة والسلطة وتوفير جميع الإمكانيات، ويجعل الله خوفهم أمناً، ولا يخافون لومة لائم، فلا يخافون أحداً إلا الله، والله من ورائهم محيط، ولا يقدر عليهم أحد من أصحاب القدرة والهيمنة، ويعبدون الله دون تقية أو مجاراة لأحد، ويتجاهرون بالحق الذي سوف يسيطر على أرجاء المعمورة، والله على نصرهم لقدير.

إن البارئ عزّ وجل (لا يخلف الميعاد) فقد وعد المؤمنين الصالحين من هذه الأمة المليئة بالخطيئات والسيئات أن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً وتكون حياتهم طاهرة ومطهرة، هو المعنى الظاهري للآية الشريفة.

وقد أجاد وأفاد أستاذنا العلامة القزويني; قائلاً: "إن هذا الوعد الإلهي - المؤكد بلام القسم ثلاث مرات، وبنون التأكيد ثلاث مرات أيضاً - لم يتحقق إلى يومنا هذا، ومتى كان المؤمنون الصالحون يتمكَّنون من الحكم على الناس وتطبيق الإسلام بكل حرية، وبلا خوف من أحد؟! ومن هم المؤمنون الذين عملوا الصالحات الذين وعَدَهم الله تعالى بهذا الوعد العظيم؟!"

ولو راجعت تاريخ الإسلام والمسلمين منذ طلوع فجر الإسلام، إلى يومنا هذا لعلمت علم اليقين أن وعد الله تعالى لم يتحقق خلال ألف وأربعمائة سنة.

إنني لا أظن أن مسلماً مُنصفاً يقبل ضميره بأن يكون المقصود من الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الأمويون، أو العباسيون، لأن التاريخ المتفق عليه

1. نور: 55.

بين المسلمين - بل وغير المسلمين - يشهد بأن الأمويين والعباسيين ارتكبوا أعظم الجرائم، وأراقوا دماء أولياء الله، وهتكوا حرمات الله، وكانت قصورهم مليئة بأنواع الفجور والمنكرات.[1]

إن الدين الإسلامي ما زال ولا يزال إلى يومنا هذا مهجوراً مجهولاً، وذلك لوجود التيارات المعاكسة، لهذا النهج الصحيح، ولوجود بقايا الأديان السماوية التي حرفوها عن مسارها الحقيقي، فكل الأديان كانت تبشر بالدين الإسلامي، وكل الملل الآن تسعى لكي تنهش هذا الإسلام الموسوم اليوم!! وهل تعلم لماذا؟.

نعم.. لأنهم عرفوا في كتبهم أن هذه الأرض سوف يحكمها رجل من قريش أو رجل مصلح يقيم العدل والعدالة على وجه الكرة الأرضية بتمامها، وعرفوا أيضاً أن الذي يخرج في آخر الزمان، هو من بني هاشم اسمه اسم رسول الله6 وخلقه خلق رسول الله6، فلذلك هم يسعون بما في وسعهم لكي ينهشوا هذا الدين من الداخل ومن الخارج، فنلاحظ بين الآونة والأخرى من ينعق ويتفوه على مذهبنا الحق ويستهزئ بالإمام الغائب4 ويقول أنه أسطورة وحكاية وضعتها الشيعة وعلماؤهم، لكي يسدوا نقصهم!! إذن متى هذا الوعد؟ ومتى يستخلف الله الذين آمنوا في هذه الأرض الواسعة؟ فيكون الجواب وتأويل هذه الآية كما يلي:

1. عن أبي بصير، عن أبي عبد الله7 في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ... يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[2] قال: نزلت في القائم وأصحابه.[3]

2. عن ينابيع المودة، عن علي بن الحسين7 قال: «هذه الآية نزلت في القائم المهدي».[4]

3. وفي تفسير العياشي: إن علي بن الحسين7 قرأ آية: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ قال: «وهم والله محبونا أهل البيت يفعل الله ذلك بهم على يد رجل منا وهو مهدي هذه الأمة». وهو الذي قال رسول الله6: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يأتي رجل من عترتي اسمه اسمي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».[5]

وقال العلامة الطبرسي: فعلى هذا يكون المراد بالذين آمنوا وعملوا الصالحات: النبي وأهل بيته. وتضمنت الآية البشارة لهم بالاستخلاف والتمكين

1. الإمام المهدي4 من المهد إلى الظهور: ص43 - 44.
2. نور: 55.
3. الحجة: ص148.
4. ينابيع المودة: ص425، غيبة الطوسي: ص120.
5. نفس المصدر السابق: ص426.

في البلاد، وارتفاع الخوف عنهم عند قيام المهدي4.

وأضاف قائلاً: وعلى هذا إجماع العترة الطاهرة وإجماعهم حُجَّة، لقول النبي6: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض» وأيضاً فإن التمكن في الأرض على الإطلاق لم يتفق فيما مضى، فهو منتظر لأن الله (عزّ اسمه) لا يخلف وعده.[1]

وخير خاتمة للنقطة الأولى هي كلمات عذبة وعبارات جزلة وردت في قنوت إمام زماننا4، يبشر بإنجاز الوعد الإلهي:

«.. يا من لا يخلف الميعاد، أنجز لي ما وعدتني واجمع لي أصحابي، وصبّرهم وانصرني على أعدائك.. سيدي أنت الذي مننت علي بهذا المقام وتفضلت به علي دون كثير من خلقك، أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تنجز لي ما وعدتني، إنك أنت الصادق، ولا تخلف الميعاد، وأنت على كل شيء قدير».[2]

الآية الثانية: قال تعالى:-ﭽوَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَﭼ.[3]

الظاهر أن المراد بالزبور كتاب داود7 وقد سمي بهذا الاسم في قوله: ﭽوَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًاﭼ[4]، وقيل: المراد به القرآن، وقيل: مطلق الكتب المنزّلة على الأنبياء أو على الأنبياء بعد موسى ولا دليل على شيء من ذلك.

والمراد بالذكر قيل: هو التوراة وقد سماها الله به في موضعين من هذه السورة وهما قوله: ﭽفَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَﭼ[5] وقوله: ﭽوَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَﭼ[6] وقيل: هو القرآن وقد سماه الله ذكراً في مواضع من كلامه.. والمراد من وراثة الأرض انتقال التسلط على منافعها إليهم واستقرار بركات الحياة بها فيهم، وهذه البركات إما دنيوية راجعة إلى الحياة الدنيا، لتمتع الصالح بأمتعتها وزيناتها فيكون مؤدى الآية أن الأرض ستتطهر من الشرك والمعصية ويسكنها مجتمع بشري صالح يعبدون الله ولا يشركون به شيئاً.[7]

وقيل في تفسير الأمثل: وكلمة الأرض تطلق على مجموع الكرة الأرضية، وتشمل كافة أنحاء العالم إلا أن تكون هناك قرينة خاصة في الأمر، وإن كان

---

1. مجمع البيان: ج7، ص152.
2. نهج الدعوات: ص68.
3. انبياء: 105.
4. نساء: 163.
5. انبياء: 7.
6. انبياء: 48.
7. الميزان: ج14، ص329.

البعض قد احتمل أن يكون المراد وراثة كل الأرض في القيامة، إلا أن ظاهر كلمة الأرض تعني أرض هذا العالم عندما تذكر مطلقة.

ولفظ الإرث، يعني انتقال الشيء إلى شخص بدون معاملة وأخذ وعطاء، وقد استعملت هذه الكلمة في القرآن أحياناً بمعنى تسلط وانتصار قوم صالحين على قوم ظالمين، والسيطرة على مواهبهم وإمكانياتهم.. كما في شأن بني إسرائيل:

Γ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَاΦ.[1]

وقد وردت هذه البشارة في الكتب السماوية السابقة، على أن الأرض سوف تستخلف من قبل أناس صالحين يرثونها ويرثون من عليها وهي استحقاق ومكافأة لهم من قبل البارئ عزّ وجل.

البشارة في مزامير داود7

إن البشارة لم يذكرها القرآن الكريم فحسب!! بل ذكرتها جميع الكتب السماوية إشارة لهذا المعنى الدقيق كما لا يخفى، وإليكم بعض النصوص من مزامير داود7:

1. جاء في الجملة 18 من المزمور 37: (إن الله يعلم أيام الصالحين وسيكون ميراثهم أبدياً).

2. جاء في المزمور 37 جملة 27: (لأن المتبركين بالله سيرثون الأرض، وسينقطع أثر من لعنهم..).

إن البارئ عزّ وجلّ قد ذكر حقائق مؤكدة وثابتة على مرّ العصور والدهور سواء في الزبور: Γوَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِΦ[2] أو في غيره من الكتب السماوية، وقد توجت الآية بـ(لقد) و(أن) المستخدمة للتحقيق والتأكيد وقد ذكر المفسرون أن (وراثة الأرض) في هذه الآية لها معنيان:

أولاً: وراثة الأرض الدنيوية من منافع وغيرها.

ثانياً: وراثة الأرض للصالحين الذين يعبدون الله ولا يشركون بعبادته شيئاً وهذا لا يتحقق إلا بالظهور الأقدس، وسوف يحكم الأنصار الغيارى من الشيعة الأوفياء، جميع الأرض ومن عليها ويصبحون حكام الأرض وسنامها.

فيكون تأويل هذه الآية: كما رواه الشيخ الطوسي في تبيانه عن الإمام الباقر7:

إن ذلك وعد الله للمؤمنين بأنهم يرثون جميع الأرض.[3]

---

1. اعراف: 137.
2. انبياء: 105.
3. التبيان: ج7، ص252.

وفي رواية عن أبي جعفر7 قال: قوله عزّ وجل: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[1] هم أصحاب المهدي في آخر الزمان.[2]

وختم المحدث النقطة الثانية بالآتي: أن الأصحاب الذين جاهدوا أنفسهم، وثبتت قلوبهم على الولاء الأكمل، والدين الأمثل، وصبروا على تلكم الفترة الطويلة، وهم كاتمون إيمانهم، ولا تعرف سرائرهم!! فالنتيجة سوف يكافئهم الإمام7 بأحسن مكافأة دنيوية وأخروية، بحيث يجعلهم قادة لحروبه وحكاماً لأرضه التي تفسخت بالعادات السيئة والقوانين الوضعية البائدة التي لا تغني من الحق شيئاً.

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.[3]

قال المحقق السيد محمد كاظم القزويني ; في تفسير هذه الآية: إن الله تعالى أرسل رسوله محمداً6 (بالهدى) من التوحيد وإخلاص العبادة، (ودين الحق) وهو دين الإسلام (ليظهره) الظهور ـ هنا ـ: العلو بالغلبة بكل وضوح، قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾[4] أي يغلبوكم ويظفروا بكم.

فمعنى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[5] أي يعلو ويغلب دين الحق على جميع الأديان، فإن كان هذا الكلام قد تحقق وكانت الإرادة الإلهية قد تنجزت فالمعنى أن الله تعالى قد أدحض وزيّف جميع الأديان الباطلة والملل والشرائع المنحرفة، زيّفها بالقرآن وبالإسلام، وبعبارة أوضح: إن الإسلام قد أبطل ونسخ جميع الأديان، وردّ على كل ملحد أو زنديق وعلى كل من يعبد شيئاً غير الله.

أما إذا أردنا أن نتحدث عن الآية على ضوء التأويل، فإن هذا الهدف الإلهي لم يتحقق بعد، فالمسلمون عددهم أقل من ربع سكان الأرض، والبلاد الإسلامية تحكمها قوانين غير إسلامية، والأديان الباطلة تنبض بالحياة والنشاط، وتتمتع بالحرية، بل تجد المسلمين في بعض البلاد أقلية مستضعفة لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضرّاً، إذن فأين غلبة الحق على الباطل، وأين قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ وفي أي زمان تحقق هذا المعنى؟!!.

لقد ذكرت رواياتنا الشريفة أن هذه الآية الشريفة تتأول بعصر ظهور الإمام صاحب العصر والزمان4 وفي أيام إشراقه ودولته المباركة.

---

1. انبياء: 105.
2. تأويل الآيات: ج1، ص332، ح22، البرهان: ج5، ص257، ح5.
3. توبه: 33.
4. توبه: 28.
5. توبه: 33.

ودونك أخي القارئ الروايات الواردة في تأويل هذه الآية:

أولاً. تفسير البرهان: عن الكافي عن أبي الفضل عن الإمام أبي الحسن الكاظم7، قلت: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)؟ قال7: هو أمر الله ورسوله بالولاية والوصية، والولاية: هي دين الحق. قال: Γليُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِΦ؟ قال7: يظهره على جميع الأديان عند قيام القائم4.[1]

ثانياً. أما ما ذكره شيخنا المجلسي;: فعن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله الصادق7 عن قوله تعالى:.. فقال: والله ما أنزل تأويلها بعد. قلت: جعلت فداك ومتى ينزل؟ قال: حتى يقوم القائم إن شاء الله فإذا خرج القائم لم يبق مشرك.[2]

وبالجملة يتحصل عندنا من خلال هذه الآيات الثلاث التي ذكرناها أن التأويل هو المعنى الباطني للآية القرآنية بعكس التفسير الذي هو المعنى الظاهر للآية، وأن الآيات التي ذكرت قد أولت بإمام زماننا4 جعلنا الله وإياكم من خدّامه وعبيده والذابين عنه والمستشهدين بين يديه الشريفتين.

المهدي4 في شعر أهل البيت: والموالين[3]

علاوة على ما ورد من الأخبار التي جاءت عن النبي6 وأهل بيته الأطهار في الإمام المهدي7، فقد أدلى الشعر العربي بدلوه في تعميق هذه العقيدة في قلوب المؤمنين وإرساءها في ضمائرهم.

لقد كان تقرب الشعراء من أهل البيت عليهم السلام هو الدافع الأول في ذكر الإمام المهدي الذي يعيد لأهل البيت تراثهم ومكانتهم السامية بين الناس، ويذكرهم بمآل الأمر إليهم بعد استيلاء الظلمة والطواغيت على العروش فيحولوا الأرض ظلماً وجوراً، فمدح أهل البيت يتسامى بهذا الموعود الإلهي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، والذي هو من شجرة محمد وآله الطاهرين. كما أن أئمة أهل البيت عليهم السلام لهم النصيب الأوفر من هذه القصائد التي تدل على أن المهدي هو من شجرتهم المباركة كما قال أمير المؤمنين7 في هذه القصيدة[4]:

سقى الله قائمنا صاحب الـ ... قيامة والناس في دأبها

هو المدرك الثأر لي يا ... بل لك فاصبر لأتعابها

1. البرهان، ج4 ص330.
2. البحار، ج51، ص60.
3. القطعات الشعرية أقتبست من هذا المصدر مع الحفاظ على تسلسل الهوامش فيه
4. ينابيع المودة للقندوزي ص439.

لكل دمٍ ألف ألف وما يقصر في قتل أحزابها
هنالك لا ينفع الظالمين قولٌ بعذرٍ وأعتابها

سأل عيسى بن الفتح الإمام الحسن العسكري7: يا سيدي وأنت لك ولد؟ فقال7: والله سيكون لي ولد يملأ الأرض قسطاً وعدلاً وأما الآن فلا، ثم أنشد7[1]:

لعلك يوماً أن تراني كأنما بني حوالي الاسود اللوابد
فإن تميماً قبل أن يلد الحصى أقام زماناً وهو في الناس

وأنشد دعبل الخزاعي قصيدته التائية للإمام الرضا يذكر فيها قائم آل محمد[2]:

فلولا الذي أرجوه في اليوم تقطع قلبئ إثرهم حسراتِ
خروج إمامٍ لا محالة خارجٌ يقوم على اسم الله والبركاتِ
يَميّز فينا كل حقّ وباطل يجزي على النعماء والنقماتِ
فيانفس طيبي ثم يا نفس فغير بعيدٍ كلُ ما هو آت

وقال: قال لي الرضا7: أفلا ألحق هذين البيتين بقصيدتك؟
قلت: بلى يا أبن رسول الله فقال7:

وقبرٌ بطوسٍ يالها من مصيبةٍ ألحت على الاحشاء بالزفراتِ
إلى الحشر حتى يبعث الله يفّرج عنا الهم والكرباتِ

وأنشد السيد الحميري في قصيدته[3]:

وكذا روينا عن وصي ولم يك فيما قال
بأن ولي الأمر يفقد لا ستين كفعل الخائف
ويقسم أموال العقود تضمنه تحت الصفيح
له غيبة لا بد أن سيغيبه فصلى عليه الله من

وقال أيضاً[4]:

1. الفصول المهمة ص270، الدمعة الساكبة 3/ 166 أعيان الشيعة 4ق 3/ 308
2. الفصول المهمة ص233، بحار الانوار 14/13، فرائد السمطين 238/2.
3. رسائل الشيخ المفيد.
4. المصدر السابق.

في عصبةٍ حول مهدي يسير — من بطن مكة ركباناً وما
ليسوا يريدون إلا الله ربهم — نُعم المراد توخاه
حتى يلاقوا بني حربٍ — فيضربوا الهام منهم

وردت بعض الأبيات عن الشيخ محي الدين بن عربي صاحب الفتوحات المكية تنص على قيام الإمام المهدي4:[1]

إذا دار الزمان على — ببسم الله فالمهدي قاما
ويخرج بالحطيم عقيب — إلا فأقرأه من عندي

وأنشد ايضاً[2]:

إلا إن ختم الاولياء شهيد — وعين إمام العالمين فقيد
هو السيد المهدي من آل أحمد — هو الصارم الهندي حين
هو الشمس يجلو كل غمٍ — هو الوابل كل الوسمي حين

الشيخ عبدالرحمن البسطامي والإمام المهدي

للشيخ عبدالرحمن البسطامي صاحب كتاب درة المعارف بعض النظم في الإمام المهدي4:[3]

ويظهر ميم المجد من آل أحمد — ويظهر عدل الله في الناس أولا
كما قد روينا عن أبي الحسن — وفي كنز علم الحرف اضحى

وذكر له أيضا:

ويخرج حرف الميم من بعد — بمكة نحو البيت بالنصر قد
فهذا هو المهدي بالحق ظاهر — سيأتي من الرحمن للحق
ويملأ كل الأرض بالعدل — ويمحو ظلام الشرك والجور
ولايته بالأمن من عند ربه — خليفة خير الرسل من عالم

وأنشد أبن الرومي قائلاً: [4]

1. ينابيع المودة ص416.
2. الإشاعة لاشراط الساعة ص164.
3. كتاب درة المعارف.
4. المصلح المنتظر ص65.

غررتم لأن صدقتم أن حالة ... تدوم لكم والدهر لونان
بجيش تضيق الأرض من ... له زجلٌ ينفي الوحوش
يؤيده ركنان ثبتان رجله ... وخيل كأرسال الجراد
تدانوا فما للنقع فيهم ... تنفسه عن خيلهم حين
فيدرك ثأر الله أنصار دينه ... ولله أوس آخرون وخزرج
ويقضي إمام الحق فيكم ... تماماً وما كل الحوامل

ذكر العلامة الشافعي في عقد الدرر قصيدة ثمينة لعلامة الأدب في عصره عبدالله بن بشار يذكر فيها الإمام المهدي4.[1]

وفي قتل نفس عند ذاك زكية ... امارات حق عند من يتذكر
وآخر عن البيت يقتل ضيعة ... يقوم ويدعو للامام ويخبر
وتدخل نار جوف كوفة ... تسيل بها سيلا فتحرق ادور
ويبعث اهل الشام بعثا عليهم ... نباحية البيداء خسف مقدر
وخيل تقاد بالكماة كأنما ... هي الريح اذ تحت العجاجة
يقود نواصيها شعيب بن ... الى سيد من آل هاشم يظهر
على شقه شق اليمين علامة ... لدى الخد عند الصدغ خال

ذكر القندوزي الحنفي في ينابيع المودة (صفحة 466) أبيات من قصيدة الشيخ عبدالكريم اليماني في الإمام المهدي4.[2]

وفي يمن امن يكون لأهلها ... الى ان ترى نور الهداية
بميم مجيد من سلالة حيدر ... ومن آل بيت طاهرين بمن
يلقب بالمهدي بالحق ظاهر ... بسنة خير الخلق يحكم أولا

ذكر القندوزي الحنفي في ينابيع المودة (ص 438) شعراً منسوباً الى مولانا أمير المؤمنين7 يذكر فيه الإمام المهدي4:

حسين إذا كنت في بلدة ... غريبا فعاشر بآدابها

1 .http://www.montazar.net/montazar-ara/selecttext.php?ic=51&subid=9 (acessed 14 March 2012).

2. ينابيع المودة، ص 466.

كأني بنفس وأعقابها ... وبكربلاء ومحرابها
فتخضب منا اللحى بالدماء ... خضاب العروس بأثوابها
أراها ولم يك رأي العيان ... وأوتيت مفتاح أبوبها
سقى الله قائمنا صاحب الـ ... قيامة والناس في دأبها
هو المدرك الثأر لي يا ... بل لك فاصبر لاتعابها
لكل دم ألف ألف وما ... يقصر في قتل أحزابها
هنالك لا ينفع الظالمين ... قول بعذر وأعقابها
أنا الدين لا شك للمؤمنين ... بآيات وحي بإيجابها
لنا سمة الفخر في حكمها ... بآيات وحي بإيجابها
فصل على جدك المصطفى ... فصلت علينا بأعرابها
بآيات وحي بإيجابها ... وسلم عليه لمطلابها

وقال في منظومته من غير ديوانه:

إني علي من سلالة هاشم ... ترى ذكرنا كتبها في الملاحم
وإني قلعت الباب بغزوة ... وجاز جميع الجيش فوق
أصول على الابطال صولة ... وأتركهم رزق النثور الحوائم
وفي يوم بدر قد نصرنا على ... وأردينا وسط القليب بصارم
قتلنا أبا جهل اللعين وعتبة ... نصرنا بدين الله والحق قائم
وفي يوم أحد جاء جبرئيل ... بذات فقار للجماجم قاصم
قتلنا إيابا والليام ومن بغى ... وصلنا على أعرابها
ويوم حنين قد تفرق جمعنا ... وصالت علينا كفرتها

وفي كتاب (بحار الأنوار) نقلاً عن كتاب (أمالي الصدوق) بإسناده عن ابن أبي عُمير عمن سمع أبا عبد الله ـ الصادق7 ـ يقول[1]

لكل أناس دولة يرقبونها ... ودولتنا في آخر الدهر تظهر

1 .http://alkafi.net/vb/showthread.php?t=111(acessed 14 March 2012).

محمد بن طلحة الشافعي والإمام المهدي

أورد محمد بن طلحة في كتابه مطالب السؤول قال الباب الثاني عشر في ابي القاسم محمد بن الحسن الخالص بن علي المتوكل بن محمد القانع ابن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين الزكي بن علي المرتضي أمير المؤمنين بن أبي طالب.

المهدي الحجة الخلف الصالح المنتظر عليهم السلام ورحمة الله وبركاته:

فهذا الخلف الحجة قد ايده الله
هداه منهج الحق واتاه سجاياه
واعلى في ذرى العليا بالتأبيد مرقاه
واتاه حلى فضل عظيم فتحلاه
وقد قال رسول الله قولا قد رويناه
وذو العلم بما قال اذا ادرك معناه
يرى الأخبار في المهدي قد جاءت بسيماه
وقد ابداه بالنسبة والوصف وسماه
ويكفي قوله مني لاشراق محياه
ومن بضعته الزهراء مرساه ومسراه
ولن يبلغ ما اوتيته امثال واشباه
فمن قالوا هو المهدي مامانوا بما فاهوا

بعض الشافعية والإمام المهدي

وردت هذه الأبيات لأحد الشعراء من الشافعية قال فيها:[1]

وسائلي عن حب أهل البيت ... اسر اعلانا بهم أم اجهد
وٱلله مخلوط بلحمي ودمي ... حبهم هم الهدى والرشد
حيدرة والحسنان بعده ... ثم علي وابنه محمد
وجعفر الصادق وابن جعفر ... موسى ويتلوه علي السند
اعني الرضا ثم ابنه محمد ... ثم علي وابنه المسدد
والحسن التالي ويتلو تلوه ... محمد بن الحسن الممجد
فانهم أئمتي وسادتي ... وان لحاني معشر وفندوا

1. http://montazar.net/montazar

أئمـــة أكـــرم بهـــم أئمـــة أسماؤهم مسرودة تستطرد
هـم حجـج الله علـى عبـاده وهـم اليـه مـنهج ومقصـد
هـم النهـار صـوم لـربهم وفـي الـدياجي ركـع وسـجد
قـوم لهـم مكـة والأبطـح وجمـع والبقيـع الفرقـد
قـوم منـى والمشـعران لهـم والمروتـان لهـم والمسـجد
قوم لهم في كل أرض مشهد لا بل لهم في كل قلب مشهد

الشيخ صدرالدين القونوي والإمام المهدي

للشيخ صدرالدين القونوي أبيات جليلة في قيام الإمام المهدي المنتظر4:[1]

يقـوم بـأمر الله فـي الأرض علـى رغـم شـيطانين يمحـق
علـى يده محق اللئام جميعهم بسـيف قـوي المـتن علـك أن
حقيقـة ذاك السـيف والقـائم تعين للدين القويم على الأمر
يفـيض علـى الأكـوان مـا قـد عليـه الـه العـرش فـي ازل

بعض ماقيل من شعر في حق الامام المهدي4[2]

اتـــقـعد مـــوتوراً ورأيك وفـــي يـدك العليـا مـــن
متـــى تـــملأ الدنيا بهاءً وعـدلاً ولا يبقى على الأرض

مـــن يمـلأ الأرض عـــدلاً جـــوراً ويـــوردنا تـــياره
متـــى نـــراه وقد حفّـــت مـــن آل هاشـم والأملاك والنقبا

كـــم قـد تؤمّل نفـــسي نـيل من المـــعالي ومـا ترجو من
كمـــا تـــؤمّل ان تحـــظى يُزيح عـــنها عظيـــم الضر
ويـــملء الأرض عدلاً مثـل بالظـــلم والجـــور والإبـداع

1. http://www.m-mahdi.com
2. http://noon-52.com/vb/showthread

زعـــم الـــزمان أبـــواب الشـدائد منـه ترتج
كَـــذب الـــزمان مـــن غـمه لم الق مخرج
بالقـــائم المهـــدي كـــل ضيـــق فـــيه يـفرج
يـا ابـــن النـــبي ومـــن صبـــح الهـــداية قـد تبلج
فـــلأنت تعـــلم لك من جميع الناس أحوج
ولـــدي مـــا باتـــت منـــه فـوق الجمر تشرج
وتتـــاهبت قلـبـــي فعـــاد فـــي دمـــه مضرج
وعـــلي إن تعـــطف الكـــرب عنـــي لا يفـرج

يـــا قمـــر التـــم إلـــى م ذاب محبـــوك مـــن
لنـــا قلـــوب لـــك كالنبـــت إذ يشتـاق صـوب
فيـــا قـــريبا شفـنـــا والهجر صعـــب من قريب
دجـــى ظـــلام الغـــي يـا مـــرشد النـــاس بـذات
يستـــنصر الـــدين ولا وليـــس إلا بـــكـــم
متـــى نـــرى بيـــضك كالمـــاء صـــافي لونهـا
متـــى نـــرى خـــيلك بالنصـــر تعـــدو فتـــثير
متـــى نـــرى الأعـــلام عـــلى كـــماة لـــم تسـعها
متـــى نـــرى وجهـــك مـا كالشمس ضـاءت بعد طـول
متـى نـرى غـــلب بـــني يدعـــون للحـــرب البـــدار
كُـــل يـــرى مقـــتعـــدا لايســـأل الصـــاحب أيـــن
أولئـــك الأكـــفاء أرجـــو إن لا يـــــــــفوت

الخاتمة

إعتقد كثير من الناس عبر التاريخ أن الكون الذي يعيشون فيه لا نهاية له،

وهذا الوهم كان يشكل أساس الأديان الوثنية لدى السّومريين والمصريين القدامى وكذلك في الفلسفة المادية اليونانية، والسبب الرئيسي لهذا الإعتقاد الباطل عدم معرفة الحقائق التي جاءت بها الأديان السماوية أو الإعراض عن هذه الحقائق والتنكر لها. وقد كان تدني مستوى العلم والتكنولوجيا في الأزمنة القديمة حائلاً دون إدراك هذه الحقائق وسببا في الوقوع في مثل هذه الأوهام. أما العلم اليوم فقد أثبت أن لهذا الكون بداية وأن لابد له من نهاية في يوم ما. وهذه الحقيقة الكبرى ورد ذكرها في القرآن الكريم والذي أنزل قبل 1400 سنة خلت: "لابد لهذا الكون من نهاية في يوم ما". وبتعبير آخر"لابد أن تقوم القيامة ولا يوجد أدنى شك في ذلك". وهذه الورقة عرضت الآيات القرانية والروايات التي ذكرها النبي ص وعترته الأطهار والتي تبين بمجموعها أن الساعة قد أزفَت. على الصعيد التكويني، ليس هناك أدنى شك بإمامة الرسول محمد ص وكونه الدعوة المستجابة لإبراهيم وصدق الكتاب الذي أتى به. القرآن أوجز الأمر بـ "إقتربت الساعة وإنشق القمر،" والنبي بقوله بعثت أنا والساعة هكذا ـ وأشار بإصبعيه؟ السبابة والوسطى.

الرزية الكبرى تمثلت بإبتعاد المسلمين عن أصل مهم من أصول دينهم عقيب رحيل النبي6 إلى الرفيق الأعلى، حينما هاجت الأهواء ولم يعمل أغلبهم بالتمسك بعترة النبي والأوصياء المهديين الذين هم عدل الكتاب والقرآن الناطق. والقيامة ليست فقط تعبير صادق عن العدل الإلهي في النشأة الأخرى، بل أنها محركة للإنسان على محاسبته لنفسه في هذه النشأة ـ قبيل إمتثاله أمام الواحد القهار يوم العرض الأكبر. لذا نجد أن القرآن يسعى لنقل النفس الأمارة إلى مرحلة النفس المطمئنة، من خلال تشريعاته للفرد، والأسرة، والمجتمع وإيراد الأمثال والقصص المعبرة من الأمم الغابرة. ولكن ما أكثر المواعظ، وأقل المتعظين كما يذهب المثل.

فعلى الفرقة الناجية الإستمرار بالتمسك بالهداة المهديين من ذرية الرسول ودعوة من جهل أو ضل إلى إمام المسلمين الحق الذي بشر به النبي محمد6 وأضاف أن عيسى بن مريم سيصلي خلفه وذكر أوصافا دقيقة له. كل الحقائق والمؤشرات وعلامات الظهور تشير إلى أن الإمام المهدي4 حي يرزق في كنف الله، وأن أمره كالساعة نفسها تأتي بغتة. وبإختصار شديد هو خليفة الله في أرضه وحجته على عباده والكتاب الناطق الذي سيكشف للبشرية جمعاء زيف من ضل عن الدين الحق أو المعاند الذي يستحق عقاب الله في يوم الجزاء الآتي بلا ريب.

الخطاب النهضوي للإعلام المهدوي

نورة لعروسي

مقدمة

كان الإعلام ولايزال عاملا أساسيا في بلورة الرأي العام، وتوجيهه نحو الصواب أو خلافه، ومع تقادم الزمن أصبح تأثير الإعلام أشد وقعا، بسبب حداثة وسائل الإتصال، ولا يخفى على أحد، حجم الماكنة الإعلامية للدول والشعوب المتطورة، وتوظيفها لخدمة اهدافها المتعددة الجوانب، كالأهداف الثقافية والفكرية والسياسية والحربية وغيرها.

ومع ضخامة حجم الماكنة الإعلامية وتعدد منابرها، أين يتموقع الإعلام الإسلامي، ومنه أين يتموقع الإعلام المهدوي؟

فهذا التطور في الإعلام والذي طال حتى العالم الإسلامي، الذي بدأ يستخدم هذه التكنولوجيا لأجل نشر ثقافته والدفاع عنها، فقد شهد كثرة وتعدد المنابر الإعلامية الإسلامية التي اختلفت رؤاها وبنيتها الثقافية والنهجوية، وقد أدى هذا الاختلاف في أحيان كثيرة إلى تواجه وتصادم، مثلما هو الحال بالماضي، فقط مع اختلاف آليات المواجهة؛ ووسط هذا الوضع وجد الإعلام المهدوي نفسه بين فكي كماشة، كون هذه المواجهات حدَّت من قدرته في التقدم بخطابه، وفتحت عليه مواجهات هو في غنى عنها، لأنه ـ ووسط هذا الوضع هو مجبر للرد على أي هجوم إعلامي خاصة ما يمس قضايا العقيدة، فهو مجبر للدفاع عنها.

ووسط هذا الوضع، فالإعلام المهدوي ليس فقط مطالب بالرد على تهجمات الإعلام الآخر أو المضاد، بل له رسالة أعظم من هذا وهي الاساس وهي الهدف، وهي أن يوصل رسالته التنويرية ـ ليس فحسب إلى كل المسلمين بل إلى كل العالم.

اذن فقضية الإعلام المهدوي هي أكبر وأعظم مما يبدو عليه او مما هي عليه الان؛ فآلياته متواضعة والقضية عظيمة .

ومن هنا؛ وإلى أي حد يمكن استغلال هذا الجانب في الإعلام وتسخيره لأجل الرفع بالإعلام المهدوي الى خطاب نهضوي للأمة .

وبالتالي ومن هذا المنطلق يجب ان يكون الإعلام المهدوي نهضويا بالاساس وأن لا يتوقف عند حدود الروايات عن الإمام المهدي4 وعن ظهوره الميمون، فهذا خطاب تقديمي فقط لذا على الإعلام ان يتجاوز خطابه من مرحلة الخطاب الروائي إلى مرحلة الخطاب النهضوي.

هذا هو محور مقالتي التي يمكن اجمالها في حصيلة الإعلام المهدوي وفي حلول مقترحة لاجل الوصول به درجة رضية .

لذا فقبل الدخول في صلب الموضوع لا بد من دراسة لقوة الإعلام بصفة عامة وآلياته، والإعلام الإسلامي بصفة خاصة حتى نستطيع ان نفهم الوسط الذي يوجد ضمنه الإعلام المهدوي كما هو، وحتى تتضح لنا الرؤى والمسارات التي يجب ان يكون عليها هذا الإعلام.

الإعلام

1. وسائل الإعلام: قوتها واهميتها

الإعلام في جوهره معرفة، وغاية المعرفة، التأثير، والعملية الإعلامية تتطلب:

1. وجود رسالة. وهي القضية
2. وجود مرسل. وهم المتبنون للقضية
3. وجود أداة إرسال. وهي وسائل الإعلام المختلفة، وهي اما مرئي او مسموع او مقروء؛ وهي ما بين التلفاز والراديو والكتب والجرائد والمجلات وشبكة الأنترنت والذي يضمهم جميعا وهو الاسرع بين الوسائل .
4. وجود نظام إرسال. حلقات دوريات اشرطة، برامج ... .
5. وجود مرسل إليه. المشاهد القارئ المستمع
6. وجود هدف من الرسالة. تحقيق معرفة، انتصار لقضية، دحض باطل...

ويستمد الإعلام قوته من عاملين أساسيين، مادي ومعنوي.

العامل المادي هو تطور وسائل الإتصال. إن سرعة نقل الخبر والتعليق عليه تزداد مع تطور أجهزة وسائل الإتصال. وإن سرعة وصول النبأ على شبكة الأنترنت وسرعة نشره وبثّه، تضيّق فواصل الزمن بين القارات والشعوب، وتقفز من فوق الحدود بين الدول على ما بين أنظمتها من اختلافات

وتباينات. وتلغي المسافات داخل الدولة مهما كانت شاسعة. وباختصار فإنها تحول الكرة الأرضية إلى مجرد قرية عالمية.

أما العامل الثاني، المعنوي، فهو الحرية. حرية نقل النبأ. وحرية التعليق عليه، أي حرية المعرفة.

وكما تتجلى أهمية الإعلام في أنه يحقق ديمقراطية الإتصال بين جميع شرائح المجتمع وتزداد هذه الأهمية تبعاً لسرعة توصيل الرسالة الإعلامية بالصوت والصورة والكلمة. فالتطور الذي طرأ على الأجهزة الإعلامية بالاعتماد على الاقمار الصناعية للبثّ الاذاعي والمتلفز، والذي طرأ على الطباعة والصف الالكتروني، قصّر المسافات بين المناطق وألغى الحدود والفواصل بين الدول والشعوب.

تتجلى ايضا خطورته في استيلاؤه على أوقات الأفراد ومنافسته الشديدة للمؤسسات الإجتماعية الأخرى فى مجال التأثير الجماهيرى مستغلا إيقاع العصر الحالى الذى يتسم بالسرعة من ناحية وبعزلة الأفراد عن بعضهم البعض حيث الزحام الذى كلُّ فرد فيه وحيد مما يجعل من الإعلام مصدراً للشعور بالمشاركة وعدم العزلة.

ولا شك في أن الصحافة والمجلات هما أقل وسائل الإعلام انتشاراً[1] . إلاّ أن ذلك لا يعني بالضرورة أنهما أقلها تأثيراً... ويعود ذلك إلى ارتفاع نسبة الامية، والى ضعف وسائل المواصلات بين المناطق في الدولة الواحدة وبين الأقطار الاخرى.

ومن بين كل وسائل الإعلام الموجودة والمستخدمة نجد ان التلفاز مع الإعلام الاذاعي هو الأكثر استخداما على الاطلاق وهو الأكثر استقطابا وذلك لعدة اسباب:

- وجود نسبة عالية من الأمية في دول العالم الثالث[2] تجعل للاذاعة (إعلام الصوت) والتلفزة (إعلام الصوت والصورة) أهمية استثنائية بالغة.

- تمويلها من طرف الحكومات او الاحزاب التي تحرص على الاستئثار بالإعلام الاذاعي والتلفزيوني، ففي الوطن العربي يوجد - حسب احصاءات اليونسكو لعام 1982 - 173 محطة إرسال تلفزيوني جميعها محطات حكومية[3]. كما تشير هذه الاحصاءات إلى وجود أكثر من 21 مليون جهاز إذاعي.[1]

---

1. تبلغ نسبة توزيع الصحف في الوطن العربي ثلاثين إلى كل ألف شخص. بينما يبلغ المعدل الوسطي العالم 136 إلى كل ألف شخص. أما في أوروبة فالنسبة تصل إلى 264 إلى كل ألف شخص. أما ما تطبعه كل الصحف العربية فلا يزيد على خمسة ملايين نسخة في حين يصل مجموع ما تطبعه الصحف الاوروبية 127 مليوناً.
2. تبلغ نسبة الامية في الوطن العربي 73 بالمئة.
3. توجد محطة تلفزيونية تجارية في الإمارات العربية المتحدة كما توجد عدة محطات في لبنان.

ـ قدرتها على نقل الأحداث بسرعة مصحوبة بالصورة الفيلمية والتغطية الفورية لأماكن الأحداث أياً كانت، وتقديم الخلفية التفسيرية للأحداث بالاعتماد على تكنولوجيا الإتصال المعاصرة.

ـ تحقيق الاستفادة (وان كانت سطحية) مع تحقيق المتعة في المشاهدة.

ـ اقل كلفة من غيرها من وسائل الإعلام وسهولة الحصول عليها مع امكانية استخدامها لجميع شرائح المجتمع كبيرا أو صغيرا، متعلما او جاهلا، مقارنة مع وسيلة الأنترنت التي تحتاج الى اشتراك والى معرفة في كيفية استخدام الكمبيوتر، وبالتالي من سيستخدمه لا بد ان يكون كبيرا ومتعلما.

من أجل ذلك يشكل الاعتماد المتزايد على المعرفة من خلال التلفزة بصورة خاصة، خطراً على المعرفة العامة وبالتالي على الوعي العام. إن نسبه تراجع عدد القراء بالمقارنة مع نسبة تضخم عدد المستمعين إلى البرامج المتلفزة، يعطي فكرة عامة عن مدى اتساع رقعة المعرفة السطحية والمبسطة. وفي ذلك تضليل غير مباشر للرأي العام، وبالتالي طعن بمصداقية الإعلام المتلفز.

وإن الاقبال على مشاهدة التلفاز(إلى حد الإدمان) هو أكبر من الاقبال على القراءة، ولأن تأثير التلفزة هو أشد من أي وسيلة إعلامية أخرى، يمكن ان ندرك خطورة الاقناع مع التجهيل على تكوين الرأي العام. تجدر الإشارة هنا إلى ما ذكره رئيس بنك الانماء الكاريبي وليم ديماس في دراسة له حول خطورة الاعلان التلفزيوني. قال في دراسته:

"تجد في كثير من بلدان العالم الثالث، وخصوصاً في البحر الكاريبي وأميركا اللاتينية، أن وسائط التواصل بين الجماهير الالكترونية، وخصوصاً التلفزة، تمثل دوراً يدمر الهوية الثقافية القومية كما يقضي على الانماء الاقتصادي ـ الإجتماعي المستقل. ولا ينجم هذا الدور عن مجرد الاعلان عن السلع المستوردة فحسب بل ينشأ أيضاً من محتوى البرامج التي تغسل دماغ الشعب ليقبل أسلوب الحياة في المجتمعات الغنية ولينشد ذلك الأسلوب".

اما اذا نظرنا الى وسيلة الإعلام الاقوى على الاطلاق وهي الأنترنت فقد اصبحت الأكثر انتشارا ـ والتي جمعت بين كل وسائل الإعلام الاخرى ـ وذلك بسبب:

ـ أن البرامج المتلفزة تقدم بما لا يسمح بمشاركة المتفرج ـ أو المستمع ـ بخلاف الأنترنت.

ـ إن النشرات التلفزية تقدم في أوقات مفروضة على المتفرج والمستمع، وهي أوقات قد لا تكون، أو غالباً، ملائمة له. فيضطر إلى الاستماع إليها وهو

1. جميع محطات الاذاعة هي محطات حكومية (أما لبنان فحالة استثنائية خاصة حيث تنشر المحطات الاذاعية الخاصة كظاهرة من إفرازات الحرب اللبنانية التي بدأت في عام 1975).

مشغول بأمور أخرى مما يقلل من نسبة فهمه لمضمونها، وتأثره بها.

- إن الأنترنت هو اسرع في التصفح وفي البلوغ الى ما يهم معرفته فقط بنقرة واحدة وفي اسرع وقت ودون ملل وباقل تكلفة، اذ يمكن الحصول على كتب او مجلات او جرائد في كل العالم في وقت صغير وثمن اقل.

- في الأنترنت هناك امكانية برمجة الوقت لصالح الفرد، اذ بامكانه الاستماع او مطالعة ما يريد في الوقت الذي يناسبه بخلاف التلفاز او الراديو اذ يخضع لبرنامج معد مسبق، وهذا يوفر بالأنترنت امكانية اعادة البرامج والاستماع اليه بتركيز أكبر بخلاف التلفاز او الراديو.

- الناس تمنح للأنترنت وقتاً أطول مما تمنحه عادة لباقي وسائل الإعلام، مما يعني تبعاً لذلك أن الناس تتأثر عادة بما هو متداول بالأنترنت أكثر مما تأثر بوسائل الإعلام الاخرى التي اصبحت تعد تقليدية.

- بالأنترنت يوجد كل ما كان لا يستطاع معرفته او ممنوع من طرف حكومة او حزب، الان اصبح متاحا ولا يمكن منعه.

وتلعب كل أداة من هذه الادوات الإعلامية دوراً مميزاً في جدلية العلاقة بين المرسل والمرسل إليه في العملية الإعلامية.

يعبر هذا القول عن الوضع الحرج الذي يعانيه العالم الثالث خصوصاً في ميدان التسلط الإعلامي والثقافي، حتى ان البعض يرى أن الانماط الإعلامية القائمة في معظم البلدان المتنامية هي أكثر نفاذاً من مجرد الهيمنة الاقتصادية. مع العلم أن كل هذه القوى تسهم في شبكة علاقات متفاعلة متساندة.

والوسيلة الإعلامية الغير بارزة ألا وهي الكتاب سواء الورقي أو الالكتروني.

فبعد ان فقد المتلقي المتقف ثقته بالإعلام اصبح يتجه الى الكتاب الذي يعتبره الأكثر مصداقية، والذي يجده الأجدر في أن ياخد من وقته، خاصة مع تردي مستوى الإعلام المهيمن على الشاشات وعلى صفحات الأنترنت.

وهذه الوسيلة الإعلامية غالبا ما تهمل من طرف الإعلاميين ولا تلقى دعما إعلانيا لها رغم انها الوسيلة الأكثر تأثيرا والأكبر عمقا على الاطلاق - خاصة أنها تعنى بفكر طبقة مثقفة وهي غالبا(هذه الطبقة) ما يكون لها تأثير بأوساطها المختلفة.

لذا فالأجدر ان يكون ضمن برامج الإعلام السمعي البصري هناك مساحة إعلانية للكتاب وتقديم مضمونه واهميته.

2. تأثير الإعلام – قدرات وسائل الإعلام

إن من الثابت ان الإعلام بأجهزته المختلفة هو - بالنسبة للانسان العادي -

أسرع مصدر للمعرفة. لذلك فإن الاعتماد على الإعلام، وخاصة في دول العالم الثالث، يكاد يجعل منه - من الإعلام - أحد أهم الأركان التي تكون الشخصية الثقافية والفكرية للفرد وللجماعة في آن. فمن خلال التواصل مع أجهزة الإعلام، يكوّن المجتمع ذاكرته الإجتماعية وينظمها وفق أولويات غالباً ما تتناقض مع البنية الذاتية لهذا المجتمع ومع مقوماته الخاصة.

إن المضمون الثقافي والمعرفي للإعلام، يشكل قوة سكرية تغلف الرسالة السياسية المرّة التي تحرص أجهزة الإعلام الأجنبية على أن تغزو بها عقول الناس والمجتمعات، لربطها بأيديولوجية تتوافق مع مصالحها القوية التي تقف وراء هذه الأجهزة وتغذيها.[1]

منذ العام 1921 كان الصحفي الشهير والتر ليبمان[2] يقول: "إن الصور المتمركزة في رؤوسنا، تتشكل بصورة أساسية من الصور التي نحصل عليها من أجهزة الإعلام[3]".

إن دور الإعلام في تحديد القيم الإجتماعية، وتأثيره على طريقة فهم الحقائق وبلورة المقومات الإجتماعية، وقوته على إحداث التغيير واستيعابه، يجعل من الإعلام أداة لتكوين الرأي العام أكثر منه أداة للاعراب عن وجهة نظر الرأي العام.

قد يصل تأثير الإعلام الى أن يغير فكرا أو يصنع قرارات عظمى او يغير أنظمة ظلت الى وقت طويل تسود (نموذج الثورات الشعبية الاخيرة في العالم العربي)، وهو ما حدث في الفترة الاخيرة فقدرة وسائل الإعلام على إحداث التغيير أثبتت جدارتها.

تكنولوجيا الإعلام وأزمة الإعلام الإسلامي

1. تكنولوجيا الإعلام وسياسة الهيمنة

يشهد عالمنا المعاصر ثورة في تكنولوجيا الإتصالات والمعلومات، أثرت في مختلف مجالات الحياة: السياسية، والإجتماعية، والصناعية، والإقتصادية، والتعليمية، وقد تطورت هذه التكنولوجيا بشكل سريع ومذهل، وأخذت أشكالاً متعددة ومتنوعة، سهلت الإتصال بين الأفراد والجماعات في مختلف دول العالم، وألغت الحدود المكانية بين الدول والقارات، كما أوجدت طرقاً جديدة لنقل المعرفة بأساليب متعددة، ففضلا عن التلفاز والمذياع هناك الكتاب

1. محمد السماك، تبعية الاعلام الحر، ص39

2 .Walter Lippman

3 .walter Lippman (Public Opinion-N.Y. Harcourt Brace 1922)

الإلكتروني، والمجلات الإلكترونية، ومواقع الأنترنت.

الأمر الذي أطلق ثورة إعلامية ومعلوماتية أبرزت امكانيات هائلة[1] مستندة الى امكانيات تواصل عالية المستوى مع الجمهور، وسرعة غير مسبوقة في ايصال الرسائل الإعلامية والمعلوماتية الى أي مكان في العالم، حيث يدور 600 قمر صناعي حول الارض، يقدر لها ان تزداد الى 2000 قمر خلال خمس او ست سنوات.[2]

ويشكل التطور التقني الهائل في ميدان الإتصال الذي اصبح بدوره ظاهرة طاغية في المجتمع المعاصر سبباً أساسياً في تكريس العولمة وتوسيع دائرة تأثيرها وانتشارها وبتعميق الهيمنة الغربية، والامريكية منها بوجه خاص على مجمل النشاطات الدولية المنضوية تحت لافته العولمة، بسبب تمركز القوة الإعلامية والمعلوماتية في عدد محدود من الدول هيأت لها مثل هذه الفرصة وجعلت من الإعلام قوة في تحقيق المعرفة وعولمة الثقافة.

مما أدى بمعظم دول العالم ان تتقلص فرص سيطرتها على مجتمعاتها، ليس لأغراض الضبط العام والحفاظ على التكوين السياسي فحسب، بل امتد الأمر الى البنى الثقافية والإجتماعية، والتي تشهد تحولات عميقة باتجاه نمط محدود تسعى اليه العولمة وتسيطر على آلياته ارادة الهيمنة ذاتها التي كانت قد سيطرت على العالم ابان الإستعمار القديم قبل نحو قرنين، مع فارق تغيير العناوين وهويات اللاعبين الرئيسيين، لأنه ومن المؤسف أنه في ساحة القتال، كما في ساحة الإعلام، تكون الغلبة والسيطرة لحق القوة وليس لقوة الحق ومن يملك الادوات يملك المواد ومن يسيطر على وسائل الإتصال والمعلومات، فأنه يسيطر أيضا على المضامين المنقولة من خلالها.

وبالطبع فالسيطيرة للعالم الغربي بزعامة الولايات المتحدة، حيث سيطرت على قمة الهرم الامبريالي الجديد الذي يصح تسميته بإمبريالية العولمة؛ فوحدها تدير 75 بالمئة من جميع برامج التلفزيون المتداولة في العالم، و89 بالمئة من الإعلام التجاري المبرمج.

أما عن المادة السينمائية، فتكفي الإشارة إلى أنه في عام 1982 بلغت قيمة الاسطوانات المتداولة 8 مليارات دولار، 60 بالمئة منها كان من خلال مؤسسات أميركية فقط. وفي العام نفسه أنتجت الولايات المتحدة 25 مليون فيديو كاسيت أغرقت بها أسواق العالم كله.

---

1. نبيل دجاني، البعد الثقافي والاتصالي في ضوء النظام العالمي الجديد، المستقبل العربي، بيروت، العدد 224 تشرين أول 1997، ص59.

2. غسان سلامة، نقد الفكرة العربية من موقع التمسك بها، المستقبل العربي، العدد 275 بيروت، كانون الثاني 2002 ص 19.

كما تسيطر على صناعة تقنيات المعلومات والإتصالات (88) شركة: (39) منها أمريكية و (19) أوربية غربية و (7) يابانية.[1]

وتؤشر الإحصاءات الدولية ان 3% فقط من مجمل الاستخدام العالمي للأنترنت يوجد في قارات أسيا (باستثناء دول المحيط الباسيفيكي) وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.[2]

والقضية هنا ليست بالقدرة الإنتاجية لهذه الدول بقدر ماهي في تأثير الآلية التقنية وأبعادها الإجتماعية من خلال مضمون المعلومات المتداولة.

وبالتالي إذا كان الشمال الغني يسيطر على وسائل الإتصال والمعلومات، فأنه يسيطر أيضا على المضامين المنقولة من خلالها، والولايات المتحدة وحدها تمتلك (65) بالمائة من المادة الإعلامية العالمية[3]، بكل تفرعاتها من أخبار ومواد للترفيه وبرامجيات للحواسيب، وألعاب الكترونية، وأفلام سينمائية ... الخ، في حين تسيطر دول الشمال الأخرى على غالبية النسبة المتبقية.

وهذا ما يفسر تعامل أجهزة الإعلام الأجنبية (وكالات الانباء ـ الاذاعات ـ محطات التلفزة ـ السينما) مع دول العالم الثالث، الذي يقوم على أساس اعتبار شعوب هذه الدول شعوباً مستهلكة للمنتجات الغربية. من هذه المنتجات أجهزة الإعلام ـ المطابع والراديوهات وأجهزة التلفزة والحاسوب... الخ، ومنها أيضاً المادة التي تبث عبر هذه الأجهزة.

أما اذاعيا ـ يسيطر العالم الأول على تسعين بالمئة من طيف الذبذبات الاذاعية. وتلفزيونياً فإن أكثر من خمسة وأربعين بالمئة من دول العالم الثالث لا تملك محطات وطنية للبث المتلفز إلا أن أجهزة الالتقاط موجودة لدى الكثير من سكانها.[4]

كما ان حاجة المؤسسات الإعلامية إلى الاعلان، غالباً ما تُخضع هذه المؤسسات إلى السياسة الإعلانية؛ فالعلاقة بين حاجة المؤسسات الإعلامية إلى الاعلان والسيطرة على مصادر الاعلان تلقي الضوء على أبعاد تبعية الإعلام لتوجهات المعلن.[5]

إن أخطار الهيمنة الإعلامية تطال ليس فقط العالم الإسلامي بل كل العالم الثالث الذي يضج منذ سنوات طويلة محاولاً التخلص منها أو على الأقل الحد من شرورها. حتى ان هناك اعتقاداً واسعاً بأن الإستعمال المتزايد للإعلاميات

---

1. احصاءات منظمة اليونسكو، الشاهد، نيقوسيا، السنة 15، العددان 179، 180 تموز 2000، ص66.
2. لقاء مكي العزاوي: تكنولوجيا الاتصال وظاهرة العولمة، التطور من اجل الهيمنة، (مقال)
3. العرب والعولمة، المصدر السابق، ص39.
4. محمد السماك: تبعية الاعلام الحر
5. نفس المصدر

في بث الإعلام أو الإنتاج الثقافي يدعو إلى التساؤل عن مخاطر ظهور نوع جديد من الأنظمة يؤول إلى سلطة تكنوقراطية تفقد المواطنين كل امكانية المراقبة للشؤون الخاصة(سواء كانت دينية او وطنية) أو المساهمة في تقرير المصير، وبالتالي تجعل الأنظمة الوطنية نفسها مضطرة للتخلي عن نفوذها الشرعي إلى الشركات الكبرى المتعددة الجنسيات. ويخشى إذا ما تأكد هذا الإتجاه أن يوضع تنظيم الإتصال العالمي في نهاية المطاف بين أيدي بعض الشركات الخاصة التي قد تستحوذ بمفردها على مسالك المعرفة وتضبط للمجموعة البشرية حاجاتها وتفرض عليها اختياراتها الايديولوجية وأنماطها الثقافية.[1]

3. أزمة الإعلام المهدوي بين الإعلام العالمي

يمكن ان نقسم أزمة الإعلام المهدوي الى أزمة مادية واخرى معنوية؛ والأزمة المادية هي المتجسدة في هذا الوضع الحرج الذي يعيشه إعلام العالم النامي او الثالث بصفة عامة وإعلام العالم الإسلامي بصفة خاصة حيث تتضح قزمية تواجده بالساحة العالمية، فهو يتحرك في جزء ضيق سمحت له به القوى العظمى، وهذا يبرز درجة تأثيره بالعالم كله والتي يمكن ان نقول بانها درجة جدا ضعيفة.

اما الأزمة المعنوية، فهي المرتبطة بالعوامل البشرية وإكراهات الإعلام الآخر الذي يحد من تقدمه وبالتالي بتقدم المناهج الإعلامية.

وعموما فواقع ووضع الإعلام المهدوي الذي لا يخرج عن واقع ووضع إعلام البلدان النامية و خصائص الإعلام الإسلامي لكن بثوب مختلف، وما يعيشه من واقع لا يختلف عن واقع إعلام تلك الدول لأنه ببساطة له نفس الآليات ونفس الكوادر البشرية ونفس الاستراتيجيات ونفس الإكراهات، فقط كل له وجهة نظر يعبر عنها.

وبالتالي وفي هذه المساحة الضيقة الممنوحة للإعلام الإسلامي خاصة يمكن ان نتدارس تأثير الإعلام المهدوي في هذه الزاوية، اما تأثيره داخل العالم ككل فهو على درجة خجولة.

من أجل ذلك فإن معالجة التعثرات التي يواجهها الإعلام الشيعي لا تكون الا بمعالجة خصائصه العامة كجزء من إعلام العالم الإسلامي وإعلام العالم الثالث، وبمعالجة خصائصه الإقليمية الذاتية التي يصدر منها.

وعموما يمكن اجمال هذا الواقع بالنقاط التالية:

ـ ليست لديه استراتيجية موحدة: اذ يوجد في الإعلام الشيعي العديد من

1. النظام الاعلامي الجديد، ص149، د.مصطفى المصمودي.

الرؤى في التقديم للقضية المهدوية، ولكن هذه المدارس الإعلامية لا تدرس "نظرية للإعلام المهدوي" باختلاف ثقافته القومية، ربما لأنه لا توجد رؤية نهضوية واحدة للإعلام رغم أن الهدف واحد لكل الإعلام المهدوي، ورغم أن مصيرها واحد، وقضاياها واحدة، وعدوّها واحد.

وبالتالي، لا توجد مدرسة للإعلام المهدوي في مبادئها العامة، وفي أهدافها وغاياتها.

كنا نتمنى لو كانت هناك استراتيجية موحدة لهذا الإعلام المهدوي ككل، لكن مالم يحدث انه حتى لاتوجد استراتيجية موحدة للإعلام الإسلامي - وكمقارنة مع ما قام به إعلاميون مسيحيون من لبنان وسوريا والأردن ومصر وفلسطين والبحرين وقبرص، يعملون في مرافق إعلامية مختلفة منها الصحافة والإذاعة والتلفزيون والسينما والتوثيق ومراكز البحث والمجلات المسيحية، في هذا الإطار نظم المجلس لقاء إعلامياً وذلك لتبادل الرأي والخبرات في شؤون الإعلام في المنطقة عامة وشؤون الإعلام الديني ودوره في صنع السلام في صورة خاصة [1]

وتبادل المجتمعون الرأي في الوضع الراهن للإعلام المسيحي، وسبل التنسيق والتعاون بين وسائله المختلفة، حيث شددوا على ضرورة التعارف المعمق بين الإعلاميين المسيحيين، وتعزيز التعاون فيما بينهم على أصعدة التدريب والتوثيق والتوزيع والنشر.

بالمقابل لم نجد مثل هذه اللقاءات تتم بساحة الإعلام الإسلامي عامة او بساحة الإعلام الشيعي المهدوي.

- ليست له رؤية وخطط واهداف بعيدة

- ليس بحجم الرسالة المسخر لاجلها بل صغير جدا عن حجم الرسالة، فهو ناقص من حيث القيمة الإعلامية اذ لا يرقى الى مستوى عظمة الفكرة المهدوية.

- قليل من حيث المادة الإعلامية اذ ما يقدم على مستوى كل الإعلام عربيا كان او اعجميا لا يمثل الا الجزء القليل من على مستوى المادة الإعلامية.

- لديه ضعف في تقديم المادة العلمية: فالمعلومة هي الجسر الذي تربط الانسان بالإعلام . مضمون المادة العلمية وطريقة تقديمها تلعب دوراً أساسياً في بلورة القناعات العامة. وفي تحديد الخيارات والمواقف. إن مسؤولية إبراز امر او معلومة ما، أو التقليل من أهميتها، أو إغفالها بالمرة، هي المسؤولية الأهم في المطبخ الإعلامي.

لدى يجب ان يكون صاحب البرنامج او كاتب المقالة او الكتاب او المقدم

1. عقد اللقاء في قبرص بين 13، 16 آذار، مارس 1989.

عبر برنامج اذاعي، ان يكون ذا مستوى علمي يصل الى مستوى تطلع المتلقي، وهذا ما لا يتوفر في غالب الاحيان، اذ غالبا ما يكون المرسل ذا مستوى علمي اما بسيط او متوسط.

- إعلام ليس بشمولي اذ لا يغطي كافة اللغات المعتمدة: مناطق اسيا وروسيا واستراليا والهند وامريكا اللاتينية ..... ولغاتها، ولا حتى كافة المناطق الجغرافية خاصة ما تعلق بالبث التلفزي: لا يفرض وجوده بكل الاقمار الصناعية بل فقط البعض منها.

اذ نجد بعض القنوات المعروضة تحجز اماكن لها على جميع الاقمار الصناعية، بينما لا نجد هذا حاصلا عند القنوات الشيعية.

فما حصل قبل اشهر حينما اوقفت مصر العديد من القنوات بقمر النايل سات بحجة سد باب الفتنة؛ هذا الضعف في التمكن من الحضور على مثل هذا القمر وهو القمر الصناعي الأكثر تداولا عند العرب، وبالتالي فالغياب عنه يعرض هذه القنوات الى ضعف في ارسال رسائلها الى نسبة مهمة وكبيرة من المجتمع المتلقي رسائله بالعربية.

ومن اثار ضعف الآليات وضعف الامكانيات الإعلامية باننا في خضم الثورات التحررية التي يشهدها العالم العربي لم نتمكن بان نقدم ما يجب للشعب البحريني باظهار مظلوميته للعالم امام تخاذل الإعلام العربي، فلو كنا نملك إعلاما مؤثرا لما احتجنا الى ان نلقي اللوم على قنوات من قبيل الجزيرة والعربية، لان الإعلام التلفزي غالبا ما يكون رهينا بسياسات الدول الموجودة على ارضها اوبتوجهات مالكيها.

- غلبة الطابع العاطفي بالإعلام المهدوي، طبعا ليست هذه هي حقيقته – لكن الإعلام يسعى من خلال هذا الخطاب الى جلب المتلقي عنده، وربما له عذر اخر ان اغلب المتلقين هم على درجة بسيطة من معارفهم، لذا ان وجدوا ان الخطاب يعلو عنهم حتما فلن يستوعبو ما يقال.

الجانب العاطفي هو جد مهم لكنه بالخطاب النهضوي يجب ان يترافق حضوره مع الجانب العقلي وهنا يمكن ان نتكلم عن خطاب نهضوي للإعلام، خطاب العقل والعاطفة معا.

- غلبة الخطاب الاستهلاكي، فما يقال هذا الشهر يقال الشهر القادم وما يقال هذه السنة سيقال بالسنة الاخرى، ويظل الامر للمتلقي هو تحصيل حاصل فقط، بدون تجديد او تقدم على المستوى المعرفي؛ لان رسالته في الغالب هي موجهة الى طائفة واحدة - اذ يخاطب فقط الشيعة مما يجعل خطابه خطاب استهلاكي ودفاعي تبريري، اللهم ما اصبح يظهر مؤخرا في بعض البرامج او الكتب في توجيه الخطاب الى كل الطوائف - لكن هذا ليس كافيا من ناحية

الكمية.

ـ يغلب عليه القيمة الكمية مقابل القيمة المعنوية ـ وهذا ربما راجع الى فقدان الاهتمام ـ عند بعضهم ـ بالتنسيق بين الأجهزة المختلفة والتي تساعد على تضافر الجهود للقضاء على الازدواجية والتكرار، وتمكن خطط التنمية من تحقيق أهدافها تحقيقاً أكثر جدوى وفاعلية.

ـ ليس له اعلان قوي على مستوى عرض المادة الإعلامية: اذ يشكل الاعلان العصب الأساس في مؤسسات الإعلام. الصحيفة يمكن أن تصدر دون مقال افتتاحي، ولكنها تعجز عن الاستمرار دون اعلان.

فإعداد العناوين الرئيسية والتقديمات فهو امر مهم؛ لان نسبة عالية جدا من المشاهدين او القراء ينسجمون ويقبلون على مادة إعلامية ما من خلال تقديمها او اعلانها . فالتقديم أوسع انتشاراً وأشد استقطاباً من المادة العلمية نفسها، ومن أجل ذلك قد يكون أكثر أهمية أيضاً.

لذا يجب ان يكون الاعلان بحجم المادة الإعلامية، لا ان يكون الاعلان أكبر من حجم المادة الإعلامية حتى لا يصاب المتلقي باللامبالات لكل ما يسمع من اعلانات، كما لا يجب ان يكون اقل من اهمية المادة العلمية.

ـ الإصرار على إتباع الاساليب التقليدية في تناول قضايا التطور والشؤون المتعلقة بالتنمية.

وان عوامل الضعف هذه هي بسبب إما إكراهات خارجية او داخلية:

الإكراهات الخارجية المرتبطة بسيطرة القوى العظمى على الماكينة الإعلامية، من جهة ومن جهة اخرى تحكم معظم الدول التي يروج هذا الإعلام المهدوي الإقليمي تحت سقفها في مسار هذا الإعلام وتدخلها في صيرورته، وايضا ما يعانيه هذا الإعلام في غالبه انه حديث في وجوده مقارنة مع غيره الذي يعتبر اقدم منه وبالتالي قويا في سيره، كما لا ننسى ان الإعلام المهدوي يواجه إكراهات اخرى مرتبطة بالمتلقي ـ فهو اما مجتمع يعاني من الارتفاع في نسبة الأمية، او مجتمع يختلف تماما عن رؤى ذلك الإعلام.

اما ما ارتبط بإكراهات داخلية فهو الافتقار إلى الكوادر البشرية المدربة تدريباً فنياً متلائماً مع اتجاهات التنمية وظروف التطور السريع، فالمعلومة الاصيلة جدا مهمة لكنها بالمقابل تحتاج الى اشخاص اصيلين يحملونها ويفهمونها، ولعل الذي يزيد من خطورة هذه الامر، ان البعض من العاملين في قطاع الإنتاج هم شبه أميين.

الإعلام المهدوي: رؤية نحو الأفضل

للوصول الى هذه الرؤية لابد من دراسة خصائص هذا الإعلام وخصائص المتلقي.

1. خصائص الإعلام المهدوي

ينقسم الإعلام المهدوي حسب:

اللغة

هناك سيطرة للغة العربية واللغة الفارسية بالإعلام المهدوي، مع العلم ان المجال الجغرافي للعرب والمتكلمين باللغة الفارسية هو صغير، مقارنة مع مجموع المساحة الجغرافية العالمية.

مع حضور خجول لإعلام ناطق بالانجليزي والفرنسي والتركي ولغات اخرى.

الجغرافيا

دولة ايران، العراق، لبنان، سوريا، الكويت، بلدان اخرى يصدر منها البث او مواقع أنترنت بلغات اخرى مثل فرنسا وابريطانيا.

واذا تم احصاء هذا الإعلام فان الغلبة فيه لايران والعراق (الفارسي والعربي)

اذا كان إعلام الاتجاه الإسلامي لا يشكل الا جزء قليل من الإعلام العالمي فماذا يشكل الإعلام المهدوي من الإعلام العالمي

من فقر إعلامنا انه لا تتوفر دراسة عن واقع وخصائص الإعلام الشيعي - فاتمنى لو ان هناك بحثا او دراسة حقيقية يقوم بها إعلامي متمرس يظهر فيها كمية للإعلام المهدوي حتى يظهر الامر ملموسا على نذر وقلة إعلامنا.

ان يتم عد الساعات التي تخصها القنوات كاملة للإعلام المهدوي في اليوم او الاسبوع، ويتم تقسيمها حسب اللغات، وان تتم مقارنتها على حسب القنوات الشيعية؛ وحبذا لو يتم وضع استبيان بالأنترنت للمشاهدين عن ارائهم في تلك البرامج وهل تنال مشاهدتهم وتقدريهم.

ويخلص في النهاية باستنتاجات واجابات عن الاسئلة التالية:

- هل تلك الساعات ترقى الى مستوى كثرة تلك القنوات
- وهل تلك اللغات تسد حاجة مجموع - ولو الشعوب اصحاب اللغات الأساسية

سأتوقف هنا عن اهمية اللغة؛ يقول بول موفلان، أحد كبار اليسوعيين الفرنسيين "إن تعليم الناس لغتنا لا يعني مجرد أن تألف ألسنتهم وآذانهم الصوت الفرنسي، بل أنه يعني فتح عقولهم وقلوبهم على الأفكار وعلى العواطف الفرنسية حتى نجعل منهم فرنسيين من زاوية ما. إن هذه السياسة

تؤدي إلى فتح بلد بواسطة اللغة" [1]

ولنعطي مثالا عن الإعلام الصهيوني داخل إسرائيل والموجه إلى الوطن العربي، لنرى استراتيجية الشمول التي يريد ان يحققها على مستوى الشعوب؛ فالاذاعة الاسرائيلية "صوت إسرائيل، مؤسسة مستقلة مرتبطة مباشرة برئيس الوزراء. تذيع على 15 موجة من أربع محطات في 11 لغة ولمدة 267 ساعة في الأسبوع بمعدل 38 ساعة يومياً، ويلاحظ أن من بين تلك اللغات التي تبث فيها اللغة الإيرانية (وهي موجهة إلى الإيرانيين في بلادهم وإلى طلبتهم في الخارج) واللغة السواحيلية التي تتكلمها قبائل كثيرة في شرق أفريقيا. وهي تذيع برامجها العربية لمدة سبع ساعات يومياً وتشتمل على ست نشرات إخبارية وشريط أنباء وبرامج ترفيهية وتعليقات سياسية".[2]

إذاعة إسرائيل (صوت إسرائيل من أورشليم القدس) تقدم يومياً وعلى مدى ثمانية عشر ساعة وربع الساعة برامج إخبارية وثقافية وفنية باللغة العربية. بينما لا يزيد ما تذيعه كل الاذاعات العربية باللغة العبرية عن تسع ساعات ونصف [3]

إلى جانب اللغة العربية توجه إذاعة إسرائيل برامج إلى العالم بأربعة عشر لغة منها: الانكليزية، والفرنسية، والبرتغالية، والاسبانية، والفارسية، والروسية، والهنغارية، والجيورجيانية، والبيرشية، والبورشاراتية.

- وهل تلك البرامج ترقى الى مستوى تطلعات الفرد المهدوي
- واخيرا وليس اخيرا يتم مقارنتها بمجموع الإعلام الاخر - الهدام

اعتقد فان الاحصاءات ستظهر خجولة وخجولة جدا، لكن لكي نعالج مرضا ما فلابد من تشخيص العلة، هذه قاعدة تصلح لكل شيء نسعى لتطويره والرقي بمضمونه حتى يمكن ان نتنبأ بالنتائج المراد تحصيلها .

2. خصائص المتلقي

الإعلام الإسلامي كمرسل له ثلاث اصناف من المتلقين لرسالته او خطابه

- اما مع تيار الافكار الذي يبث له رسالته
- او ضد ذلك الاتجاه
- او باحث يرجو النجاة

---

1. محمد السماك، تبعية الاعلام الحر،ص، مؤخودة عن مراسلات القناصل السياسية (وزارة الخارجية الفرنسية)،المجلد رقم 2.
2. منذر عنباوي، أضواء على الاعلام الإسرائيلي، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الدراسات 1968، ص150.
3. تبث إذاعة مصر خمس ساعات باللغة العبرية، وإذاعة سوريا ثلاث ساعات، وإذاعة العراق ساعة واحدة، وإذاعة فلسطين نصف ساعة يومياً.

- او شخص عابر يبحث عن ما يقضي به وقته.

فالعصر الذي نعيشه يمتاز بكثرة المعلومات وتوفرها وتنوعها والسيطرة لمن يلفت الانتباه اكثر.

اذن فالإعلام المهدوي يجب ان تكون له آليات لاستقطاب ما يستطيع من هؤلاء المتلقين للخطاب.

هذه الآليات تتلخص في: آليات مادية وبشرية ومناهج واستراتيجيات إعلامية.

الآليات المادية

لاجل تمويل المشاريع الإعلامية وهي اول الآليات، لان بها يتم الترويج للخطاب المهدوي، وبها يتم الرفع من مستوى التغطية الجغرافية بالإعلام المهدوي، وحتى لا تكون المادة عائقا في مستوى بلوغ ما يصبو اليه هذا الإعلام.

الآليات البشرية

هم الناطقون باسم الإعلام المهدوي لذا لا بد ان يكونوا اهلا لهذا المركز؛ اذ يمكن اختصار مواصفات السلوك المهني الإعلامي في ثلاث: قوة المعرفة، القدرة على التحكم الذاتي، الشعور بالمسؤولية تجاه الرأي العام. إن ممارسة الإعلام لا تعني أو يجب أن لا تعني، إدعاء هذه المواصفات فقط، بل ممارستها في الدرجة الأولى.

والمناهج والاستراتيجيات الإعلامية

هذه المناهج يجب ان تكون في مستوى الفكرة المهدوية المراد طرحها بالإعلام، لا يكفي ان يقف الخطاب الإعلامي في حدود السرد واعادة طرح الافكار بدون دراسة طرق طرحها، ودراسة تطور الاوضاع وتطور تكيف الناس مع الافكار، لذا يجب ان يساير الإعلام المهدوي النضج في الافكار. فما طرح بالسنة الماضية لا يجب الوقوف عنده كل سنة بل لا بد من التقدم في الطروحات.

كما لا بد من مراعاة المتلقين للخطاب المهدوي وخصائصهم، فالناس في الفهم درجات فقد قام عيسى بن مريم7 خطيبا في بني إسرائيل فقال: "يا بني إسرائيل، لاتحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم"، وما يصلح لهذا قد لا يصلح لغيره وما يناسب هذه الفئة لا يناسب غيرها، كما ان الوسط يفرض على الناس تقبل خطابا او رفضه، يقول الشهيد علي شريعتي في كتاب سيماء محمد يقول: ان جاهلا مثل سبارتاكوس اجدى للغرب وانفع من مجمع علمي اكاديمي حافل برجال كسقراط وافلاطون وارسطو .

كما ان رجلا عربيا بدويا كابي ذر الغفاري لانفع للشرق من مئات من ابن سينا وابن رشد وملا صدرا.[1]

وهذا ما يفسر لنا لم ان الشهيد الصدر بعظمة افكاره لم يسقط طاغية بينما الشهيد محمد البوعزيزي ذلك الانسان البسيط في حياته وافكاره وعلمه استطاع ان يسقط طاغية.

ففهم الاخر للامور والخطاب والرسالة المرسلة اليه تتوقف على الاخر المتلقي للخطاب.

الاعلام المهدوي والإعلام المضاد: صراع يحد من تطور الخطاب المهدوي

1. الحرب الإعلامية ضد الإعلام المهدوي

تحاصر المعلومات الإنسان ومازالت تحاصره بواسطة وسائل عدة، ففي كل يوم نتوصل بكم هائل من المعلومات يصعب علينا في كثير من الأحيان التعامل معها، وذلك بسبب كثرتها وبسبب تداخلها وتنوعها وتناقضها في كثير من الاحيان، فيضيع الفرد بينها.

فاذا ما نظرنا الى الرسالة الإسلامية ايا كانت ـ فان المتلقي المسلم الذي لا يهمه ان يتلقى الا ما يفيده في دينه ودنياه بغض النظر عن توجهات المرسل، فانه يضيع بكثرة ما يرى ويسمع حتى يتيه في بحر من الافكار المتناقضة يصل به الحد ان كان ذا ثقافة متوسطة الى ان يكفر بكل الافكار ويغير نمط إعلامه الى إعلام للتسلية ـ وما اكثر وجوده.

وغالبا ما توّظف القوى المناهضة للإعلام المهدوي، أموالا طائلة لجعل الإعلام في خدمتها، وتحسين صورتها أمام الملأ، وتزييف الحقائق لصالحها، من اجل السيطرة على الإعلام، وتوجيهه تبعا لمصالحها واهدافها، فتدفعه كي يحرّف الحقائق، ويتحول من وسيلة صادقة ومؤثرة، الى دعاية لا تمت للإعلام الحقيقي بصلة.

يقول الأمام الشيرازي في هذا الصدد بالكتاب نفسه كتابه ـ الموسوم بـ (الفقه: الاجتماع ج1): (الدعاية السيئة تلبس الحق بالباطل، وتزيف الحقائق، وتستفيد من جهل الناس، فتحملهم الأباطيل في صورة حقائق، سواء في العقيدة، أو في العمل، أو في البضاعة، أو في غيرها، وأخشى ما يخشى منه الدعائي هو النور، حيث يظهر الزيف عن الواقع).

وهذا هو نهج التيارات الفاسدة التي لا تريد الخير للناس، ولا تسمح لها بالاستفادة من وسائل الإتصال الحديثة، إلا بالقدر الذي يخدم التيار لا اكثر،

1. علي شريعتي، سيماء محمد، ص9.

فلجأت الى طرق التزييف والالتفاف على الحقائق، وتحول الإعلام الى أبواق ودعاية تخدم السلطة أولا، وتحاول خداع الناس بخلط الباطل بالصحيح، حتى ينخدع السامع والقارئ والناظر بالصحيح الموجود في البين، فيظن أن كل ما يرى ويسمع صحيح.. إلى غير ذلك من الأساليب، وهي تظن انها تحسن صنعا، لان سر بقائها في جهل الناس، ولو علموا لانفضوا عنهم.

وعموما فان وسائل الإعلام في تعاملها مع الإعلام المضاد، تستخدم ثلاثة عناصر أساسية، هي:"المهاجم" و"المدافع" و"المعلومات وأنظمتها". وبناءً على ذلك هناك نوعين من الحروب المعلوماتية - ان صح التعبير - هي:"الحرب المعلوماتية الهجومية"، و"الحرب المعلوماتية الدفاعية"[1].

الحرب المعلوماتية الهجومية: تستهدف معلومات معينة أو نظم معلومات عند الطرف المراد مهاجمته "المدافع" وذلك لزيادة قيمة تلك المعلومات أو نظمها بالنسبة للمهاجم أو تقليل قيمتها بالنسبة للمدافع أو بهما جميعاً. أما قيمة المعلومات ونظمها فهي مقياس لمقدار تحكم واستحواذ المهاجم (او المدافع) بالمعلومات ونظمها.

الحرب المعلوماتية الدفاعية: وهي تشمل جميع الوسائل الوقائية المتوفرة "للحد" من أعمال التخريب التي قد تتعرض لها نظم المعلومات.

والإعلام المهدوي في حربه الناعمة الدفاعية يواجه على مستويين، الاولى كونه إعلاما اسلاميا يدافع عن هويته الدينية في وجه الإعلام الغربي والإعلام المائع، والثاني كونه إعلاما مهدويا يدافع عن هويته العقائدية وبالتالي يعاني من التهجم من طرف الإعلام الناصبي الذي يكن له العداء اكثر مما يكنه الى الإعلام الغربي والمائع، حتى اصبح الشغل الشاغل له، وبات الإعلام الغربي في استراحة من اي نزعة ضده.

من هنا فإن أول خاصية للإعلام الشيعي هو أنه إعلام دفاعي. ينطلق من رد فعل، مما جعله في الماضي، ويجعله في الحاضر، على تماس دائم مع شعور بالاستعداء، متوثباً للرد من قاعدة هذا الشعور، الأمر الذي يسهل استدراجه إلى الزاوية التي يصور بها على أنه إعلام متشنج، وأنه أسير مواقف تقوم على الشك والإدانة.

وما يعانيه الإعلام المهدوي من عداء الثاني هو اصعب في المواجهة من الإعلام الغربي، كون الإعلام الناصبي هو إعلام اسلامي في ظاهره مما يصعب في مواجهته؛ معيدين وجه التاريخ في شكل حروب ناعمة بدل حروب السيف، وتظهر اللافتات كلها اسلامية والأزمة عقائدية.

وبالتالي فالإعلام المهدوي يحتاج الى طريقين في عرض مادته، واحدة

1. اياس الهاجري. الحرب المعلوماتية. (مقال بالانترنت)

تستهدف العالم الإسلامي المشترك معه في الاساس والاخرى العالم المختلف عنه جذريا.

الإعلام المهدوي من اسسه يجب ان يكون عالميا وليس فقط دوليا او عربيا او قاريا.

معركة الإعلام المهدوي مع الإعلام الغربي والناصبي تختلف؛ فالإعلام الغربي يمارس سياسة التغطية على الإعلام المهدوي بكثرة ما يعرض من قضايا سواء تهم الفرد الغربي او تلهيه بدنياه وتسليه وهو ما يطال حتى الفرد المسلم.

بينما الإعلام الناصبي يمارس سياسة التضليل وهو اخطر، بحيث يؤدي الى فصل ومنع الناس من الاستماع اصلا او حتى مجرد التفكير في مشاهدة البرامج المتعلقة بقضايا التمهيد كما يراكم الاحقاد، بينما الإعلام الغربي لا يمارس هذه السياسة العدوانية - اللهم ما كان من الإعلام اليهودي او المسيحي المتطرف في حربهم ضد الاسلام والمسلمين ككل بدون تعيين اي طائفة.

يستخدم الإعلام الناصبي في حروبه الإعلامية كل الوسائل، فهو يقوم بتشويه قضايا التمهيد بالإعلام الفاسد ومحاولة عرضها بصورة البدع واستغلالهم في ذلك بعض الاحاديث الموجودة بكتبهم او عند إعلام فقهائهم متخدين سذاجة الناس في تصديقها، وهو ليس حديث العهد بسياسة التضليل فقد مورس منذ ايام معاوية حينما كان يستغل جهل الناس ليقدم صورة الأمام علي7 ومن معه بانهم خارجون عن الدين ويجب الجهاد ضدهم.

والامر اليوم اشبه بالبارحة، فالإعلام الناصبي خاصة لا يكف في كل خططه من التعرض الى العقائد المهدوية، ففي كل برنامج وكل اعلان وكل تقديم وكل تحليل وكل كتاب الا ويتم التعرض بسوء للعقائد المهدوية، حيث يتم زرع النفور - تلقائيا وبدون ان يشعر المتلقي - لديه وحقنه بحقن سامة تجاه هذه الطائفة، وتربية اجيال لا تستطيع حتى ان تفتح عقلها لاجل البحث عن حقائق الامور او رؤيتها رؤية واضحة .

ومن هنا يطرح امامنا قضية اكثر عمقا، وهي: كيف ينظر المجتمع الغير الممهد قضايا التمهيد بالإعلام ؟ وكيف يمكن ان يتم عرض الخطاب له لاجل استيعابه وقبول ولو مبدئيا الاصغاء.

وهنا نضيف للإعلام المهدوي واحدة من مهامه الأساسية - وهي ان يفكر في طرق ايصال الافكار التمهيدية الى كل المجتمعات خاصة الإسلامية منها

بكل طوائفها.

وهنا القي اللوم على بعض المنابر الإعلامية واقول، لم يتجاهل هذا الإعلام هذه النقاط ولم لا يستغل اقبال هذه الفئة على مشاهدة برامجه دون ان يثير في هذه المجتمعات هذه الافكار؟

صحيح ان هناك بعض المنابر الإعلامية التي اصبحت تقدم برامج قيمة والتي اصبحت تنال رضى وتقييم كل فرد يحترم الفكر، لكنها ليست كافية، اذ لا بد من المزيد.

2. نهضوية الإعلام المهدوي

بعد ان حددنا رؤى الإعلام المضاد - وهي غير كافية اذ لا بد من دراسة خصائص هذا الإعلام وخططه واستراتيجية عمله، حتى يمكن ان يتم دراسة خطة مضادة له؛ الامر اشبه بساحة المعركة، فلابد من معرفة نقاط القوة والضعف للاخر حتى يتم تجنبه والتصدي على حسب ما يتطلبه الوضع المصلحي، وهذا الأمر هو متروك للإعلاميين - لأن أهل مكة أدرى بشعابها، لكنني وباستحياء سأقدم بعض النقاط في هذا العنوان استكمالا للعمل.

اذن؛ للرفع بالإعلام المهدوي او نهضوية الخطاب المهدوي، لابد من:

- العمل على اعتماد سياسة دائمة للتكوين والتدريب النظري والعملي
- العمل على فهم أنواع الإعلام ومستوياته (أي الإعلام الموجه إلى صانعي القرار وقادة الرأي ... من جهة، وإلى الجماهير بفئاتها المختلفة من جهة أخرى).
- العمل على فهم طبيعة المعركة وفهم استراتيجية الخصوم.
- العمل على ضرورة إيجاد استراتيجية نهضوية للخطاب المهدوي وان تكون متوازنة ومتكاملة لصراع الافكار ضمن عملية التوزيع الاستراتيجي للإعلام الإسلامي، وهذا يتطلب دراسة وفهم نقدي شامل للاستراتيجية الدعائية للإعلام في جميع جوانبها.
- العمل على الهدف الاستراتيجي النهائي وعدم الوقوع في شرك الاحداث الموسمية السلبية للواقع الإسلامي كالتركيز على وقائع جانبية ونسيان الاهداف المركزية والأساسية، - مثلما يقع في التعاطي مع بعض القنوات او الاصوات خلال تهجمها على رموز محترمة او مقدسات للشيعة.
- التخطيط للعمل المشترك سواء على مستوى انجاز برامج قيمة، او على مستوى ترجمتها لجميع اللغات الرئيسية، لان التعدد في المنابر الإعلامية لم يعطي النتائج بقدر تعددها، فلو قمنا بعد مجموع البرامج التي لها اهمية فهي اقل بكثير من مجموع القنوات الموجودة - لذا لو يتم توحيد مجموعة من القنوات بقناة واحدة وتكثف من عملها قد تعطي نتيجة افضل مما هي عليه،

وأن يتم انجاز برنامج واحد مشترك فحتما سيكون افضل من عدة برامج لا تستهلك الا الوقت والجهد. وان يتم ترجمة البرامج الجيدة بجميع اللغات وتقديمها بكل القنوات حتى تعم الفائدة بدل العمل على برامج لا تقدم شيئا سوى استهلاك المزيد من الوقت والجهد ايضا.

ـ ابراز الرسالة السياسية: لو اصبحت الرسالة اكثر بروزا وظهورا وتم اغراق وسائل الإعلام بها اكثر من الرسائل المنافسة لها، فمن المحتمل ان يكون لها نصيب كبير في تكوين فكر الافراد وتصوراتهم.

ـ احاطة الرسالة بسياج من المصداقية وذلك عن طريق استخدام الحجج المنطقية او الاستمالات العاطفية او هما معا.

ومن المهم هنا التأكيد على حقيقتين عامتين. الحقيقة الأولى هي أن الإعلام ليس مضموناً فقط، إنه شكل أيضاً. ففي الصحافة لا يكفي أن تكون المادة (خبراً أو تعليقاً) جيدة، بل المهم أن تكتب بشكل جيد. وأن يعنون لها بشكل جيد. وأن تطبع بشكل جيد وعلى ورق جيد وفي مكان مناسب.

وفي الاذاعة لا بد من مراعاة الصوت الجيد، والنطق الجيد، ولا بد من اختيار التوقيت الجيد للبث.

وفي التلفزة لا بد من الاهتمام بالمظهر الجيد والإلقاء الجيد والصورة الواضحة، فكم من موضوع مهم تشوهه كتابة سيئة، أو صوت نشاز، أو عرض منفر .

خاتمة

بعد هذا العرض للإعلام المهدوي، الذي رغم الأزمة التي يتواجد فيها إلا أن هذا لا يحد من طموحاته إلى الأفضل وسعيه في تحسين أدائه ليس فحسب على المستوى الاسلامي – بل على المستوى العالمي.

وبالتالي هل يمكن ان نصل يوما بإعلامنا المهدوي الى حدود عولمة هذا الإعلام، حتى يتم تحقيق أبرز الأهداف التي يطمح لها أي مجتمع او طائفة، خاصة أن قضيتنا هي قضية عالمية وليست دينية او طائفية.

ولكن علينا الانتباه وسط هذا الطموح في تحسين اداء الاعلام المهدوي ليصير الى درجة الإعلام الهادف؛ فإنه يضل وسيلة وليس هدف، ترى ألا يهتم بعض الأطباء بالطب كعلم أكثر من اهتمامهم أحياناً بالمريض كإنسان؟ . ألا يعني ذلك تحويل الوسيلة إلى هدف؟ فالانسان هو الهدف؛ لدى لا يجب اغفال خصائص هذا الانسان الذي نتعامل معه، والذي يجب ان نوصل اليه بعض الافكار.

لذا لا بد من الحرص بالإعلام المهدوي على:

1. تطوير المستوى الثقافي العام.
2. تأكيد الوعي الإجتماعي وتنميته.
3. قيام رأي عام مهدوي.

إن تحقيق هذه الأمور لا يؤدي فقط إلى إعلام نهضوي، ولكنه يؤدي ربما إلى أكثر من ذلك. إلى تحرير الفرد المهدوي نفسه من كل الأمراض التي يعاني منها، وهذا ما نصبو الى تحقيقه.

مكانة عقيدة المهدوية في فكر المفكرين المسلمين في عصر الحداثة

الدكتور رضي موسوي الجيلاني

الخلاصة

من جملة التحديات التي ظهرت بعد عصر النهضة وتحقق الحداثة، قضية المواجهة بين الدين والحداثة وفي خضّم ذلك موقع المفكرين المسلمين والمجتمعات الإسلامية في الإجابة على الأسئلة المستحدثة والجديدة وردات أفعالهم الروحية والإجتماعية في مقابل هذه الأسئلة؛ موقعٌ ووضعٌ فرضته الحداثة أمام المسلمين على كافة الصعد: الدولة، السياسة، علم الإنسان (الانتربولوجيا)، علم الإجتماع، علم المعرفة، العلاقات والإرتباطات الفردية والإجتماعية، التنمية والنمو وأمثال ذلك. في هذه المواجهة والأسئلة المنبثقة عنها، سلك المسلمون سبلاً، وأعطوا إجاباتٍ وصدر عنهم ردات فعلٍ متعددة، حيث حضرت العناصر الثقافية للمهدوية وللمفاهيم المتعلقة بالموعود بصفتها عاملاً أساسياً. بناءً عليه، إنّ من جملة ما يهدف إليه هذا المقال تحليل الإتجاهات التي من خلالها تحليل الإتجاهات التي استخدمت المهدوية بصفتها سبيلاً أو رد فعلٍ فرديّ واجتماعيّ مقابل الحداثة، ونقدها وتبيين أضرارها إذ أنّها استخدمت المهدوية بصورة غير صحيحة، وأيضاً تبيين الإتجاه المناسب للمسلمين في فهم المهدوية كفلسفة التاريخ.

المقدمة

أُطلق على كافة الدول الغربية بعد عصر النهضة اسم "الغرب"، رغم تنوع الأفكار والمدارس الفكرية فيها. ومما جعل هذه الدول تتمتع ببنيةٍ وهويةٍ

مشتركة، اشتراكها في عناصر عدة مثل النمو والتنمية العلمية، التكنولوجيا، الصناعة، العلوم التجريبية، الفلسفة و بقية المجالات العلمية، و هذا ما كان يُطلق عليه أحياناً ثقافة الحداثة. وتمايزت الدول الغربية بهذه الصفة أي الحداثة عن الدول الشرقية.

اليوم، يعتبر مصطلح "الغرب" بالنسبة للشرقيين تلك المعرفة الكلية للدول التي تتمتع بهوية واحدة وموّحدة كنتيجةٍ لتأثيرات وآثار عصر النهضة، بصرف النظر عن دينهم المشترك أي المسيحية. كذلك يشير هذا المصطلح وبصرف النظر عن الدين المسيحي، الى الوجوه الفكرية والثقافية والسياسية المشتركة لهذه الدولة والتي تشمل إضافةً الى الدول الأوروبية، الدول الأمريكية واستراليا (اوقيانيا). في الواقع، لقد تبدّل مفهوم "العالم المسيحي" الذي كان يشير في عصر القرون الوسطى الى البلاد الأوروبية، الى مفهوم "العالم الغربي"، وسلّم "الدين" بصفته معياراً ثقافياً مهماً مكانه الى مفهوم الحداثة، بحيث أصبح يتم التعبير عن الدول الأوروبية ومن ثمّ الدول الأمريكية بالحضارة الغربية. كما تغيّر استعمال هذه الكلمة في مفهومٍ جغرافي وأصبحت تُستعمل بصفتها مفهوماً ثقافياً تتمتع بعناصرٍ خاصةٍ:

"لقد أدّى الإصلاح الديني البروتستانتي وظهور الأمبراطورية العثمانية الى أن يتحول العالم المسيحي الى "الغرب". فكان يعتبر مفهوم "الغرب" في القرن السابع عشر والثامن عشر بشكلٍ أساسي عنواناً جغرافياً ومترادفاً لـ"اوروبا". ولإستخدام مصطلح "اوروبا" تاريخ طويل يرجع الى اليونانيين والرومانيين وهو أكثر رواجاً... . وأصبحت الحضارة الغربية معياراً لقياس الحضارات والثقافات الشرقية بها. وهكذا قام مفهوم "الغرب" في مواجهة مفهوم "الشرق".[1]

بعد تشكّل عصر النهضة وعناصر الحداثة في العالم الغربي، أصبحت العديد من الدول الإسلامية في مواجهة تحدٍ يتلخص في أنّه ما العلاقة بين الحضارة والتراث الديني مع الحداثة وما النسبة بينهما؟ ما هو النموذج الذي يقدّمه الدين في الإجابة على مختلف الأسئلة أو الأوضاع الإجتماعية والنفسية التي خلقها العصر الجديد وهل يمكن إيجاد التوافق والتلاؤم بين رؤيتين مختلفتين في نظرتيهما المعرفية بالنسبة للعالم والإنسان وبين عالمين فكريين

1. ضياء الدين سردار، شرف شناسي، ترجمة محمدعلي قاسمي، مركز لدراسات الثقافية والإجتماعية، تهران، س1386، ص8 -7.

متفاوتين؟

ويأتي عصر أصالة الإنسان[1] أو عصر الحداثة بعد عصري أصالة العالم وأصالة الله في تاريخ الحضارة الغربية، فعلى سبيل المثال تشكّل هذا العصر بالتزامن مع النصف الثاني من عصر الصفوية في ايران، وبدأت عناصر هذا الإتجاه بالتوسع تدريجياً في عصر القاجارية ومن ثم البهلوية، لتسيطر على ثقافة البلاد الإسلامية مثل ايران، وبدأ بالتالي يُطرح بكل جدية السؤال حول العلاقة بين الدين والحداثة أو بتعبيرٍ آخر العلاقة بين التراث والحداثة؟ هل يستطيع الدين الإجابة على أسئلة العصر الجديد والتي تتمحور حول العالم، الوجود، والإنسان والمنبثقة عن عصر الحداثة، وهل يقدّم الدين طرحاً ونموذجاً مناسباً لإنسان الحضارة الشرقية في مقابل عناصر العصر الجديد مثل أصالة الفرد، أصالة الإنسان، الإيمان بالعلم (العلمية)، أصالة العقل والدنيوية وأمثال ذلك، أم لا؟

وقد انقسم العلماء والمفكرون الإسلاميون في معرض إجابتهم على هذه الأسئلة بين إتجاهات مختلفة، وسعى كلُّ واحدٍ منهم تقديم نموذج في سبيل الإجابة على الأسئلة الأساسية لهذا العصر الحداثوي. ويمكن جعل كافة ردات الفعل والسُبل التي صدرت عن هذه المجموعات من المفكرين في العالم الإسلامي ضمن ستة نظرياتٍ حيث يتكئ بعض هذه النماذج على بحث المهدوية من وجهة نظر المفكرين الإسلاميين. ولا يخفى أنّه يمكن أن يكون بين نظريةٍ وأخرى من هذه النظريات الست أوجه اشتراكٍ، ولكن دائماً كان يؤكد أحد هؤلاء المفكرين الإسلاميين أو التيارات الفكرية في العالم الإسلامي على واحدة من هذه النظريات ويُصرّ عليها.

وهذه النظريات هي كالتالي:

1. الإنفعال والتأثّر بالحداثة؛
2. الإصلاح الديني أو انطباق الدين مع الحداثة؛
3. الأصولية/ السلفية؛
4. التراثية؛
5. المهدوية الأداتية؛
6. المهدوية بمثابة فلسفة التاريخ.

1. الإنفعال والتأثر بالحداثة

بعد تحقق عصر النهضة وعناصر الحداثة، اعتقد عددوا من الملوك، المتعلمين، المفكرين وعامة الشعب بشكلٍ لاشعوري بصحة سيطرة الحداثة

1. Humanism.

على الحضارة الإسلامية، وبدأوا يتحدثون عن ضرورة إتّباع طرق وأساليب الحداثة في المجالات المتعددة للحياة، العلم والمجتمع. لقد كان رد فعل هؤلاء الأشخاص انفعالية، ولو أنّهم لم يظهروا ذلك على ألسنتهم، فعملوا على إدخال الكثير من عناصر الحضارة الغربية الى الحضارة الإسلامية. لكن الى جانب هذا التلقي اللاواعي، اعتقد أيضاً عدد من مثقفي ومتعلمي البلاد الإسلامية أنّ الحضارة الغربية قد مرّت في تحوّلٍ وأنّه لا بد من أن تشارك البلاد الشرقية في ثمرات وإنجازات هذا التحول؛ كما وأكّدوا بكل وعيٍّ وإرادةٍ - وليس بشكلٍ لاشعوري - على أنّه إذا أراد الشرقيون تحقيق النمو والتنمية والنجاح، فلا بد لهم من إتّباع الحضارة الغربية التي هي نتيجة عصر النهضة والحداثة. وعلى هذا الصعيد، مضافاً الى تأييد المفكرين الشرقيين لهذا الأمر، أكّد علماء الغرب أيضاً على ضرورة اتّباع الشرقيين للغرب وقاموا أيضاً بتشجيعهم على ذلك.

فنحن نرى أنّه من جهةٍ رضخ بعض المثقفين الداخليين مثل تقي زاده وكسروي لمسألة اتباع الغرب في كل الأمور من الرأس حتى أخمص القدمين، ومن جهةٍ أخرى اعتقد بعض علماء الغرب مثل فيليب حتّي[1] أنّ الإسلام لا يستطيع تقديم أيّ مساعدة للبشرية وأنّه لا يتوافق والعالم الحديث، وفي مقابل ذلك يعتبر أن العلمانية[2] التي هي وليدة الحداثة مُنجي المسلمين[3]؛ أو القس كنث كراغ[4] الذي يرى أنّ مسيحيته قد جدّدت نفسها في مقابل العالم الحديث وأنّه في حال لم يسلك المسلمين ذات الطريق، فسوف يدخلون الى مجاهل النسيان، لذا فالحلّ الوحيد لتقدّم المسلمين هو في اتّباع الإسلام طريق المسيحية ويجب على كافة الحضارات طي نفس المسير الذي طواه الغرب لكي تصل الى رمز النجاح والفلاح.[5]

2. أصالة الإصلاح الديني وانطباق الدين والحداثة

يعتبر الإصلاح الديني الإتجاه الثاني القائم في بلاد الشرق وبالخصوص في الثقافة الإسلامية والذي طُرح من قِبل عدةٍ من المفكرين والعلماء الدينيين. ويحمل هؤلاء حساً وقلقاً دينياً أكثر من مناصري الإتجاه الأول، وبعضهم كان يحاول بصفته مفكراً اسلامياً تبين آرائه وفكره في سبيل التعاطف مع دينه ومساعدته، وكان يريد تقوية الدين مقابل المشاكل الحاصلة جرّاء العالم

1. Philip Hitti.
2. secularism.
3. ن.م، ص121.
4. Kenneth Cragg.
5. ن.م، ص121 - 122.

الحديث. وهذا الأمر هو نقطة التمايز بين الإتجاه الأول والإتجاه الثاني. ويمكننا الإشارة الى بعضٍ من هؤلاء المثقفين أمثال السيد جمال الدين أسد آبادي، إقبال لاهوري، السير السيد احمد خان الهندي، مهدي بازرغان، علي شريعتي، السيد محمود طالقاني... لقد جهد هؤلاء في تفسيرهم للنصوص الدينية والتعاليم الإسلامية الى إيجاد نوعٍ من التلاؤم والإنسجام بين الدين والحداثة[1]. كما وسلك بعضهم في هذا المسير الإتجاه العلمي، و اتخذ البعض الآخر الإتجاه العقلي، بحيث أنّهم كانوا يعتمدون أحياناً في هذا المسير على النظريات والفرضيات العلمية الضعيفة والتي أُعتبرت فيما بعد غير فعالّة بعد تجربتها وبيان خطئها. في الواقع، إنّ الصفة الأساسية لهذا الإتجاه هو محاولة مناصريه عبر قبول بعض عناصر عالم الحداثة مثل العلمية والعقلانية، تحليل المفاهيم الدينية بشكلٍ وضعي (إثباتي أو بوزيتيفيسم) أو استدلالي فلسفي بهدف إيجاد الإنسجام بينها وبين العلوم التجربية والعقل الفلسفي. لذلك، نراهم على سبيل المثال، عندما يفسّرون مفاهيماً كالجنّ، الشيطان، الروح والكثير من المعجزات والتجارب الخاصة للأنبياء، يتكلمون بطريقةٍ توجب التأويل والتغيير في معاني ظاهر الآيات والروايات. في الحقيقة، لقد دأب تمايل هذا الطيف من العلماء أكثر نحو تنزيل وتأويل المفاهيم المارواء مادية الى مفاهيم مادية بهدف جعلها متوافقة مع العلم والعقل. طبعاً، لم يتوقف هذا الإتجاه في العصر الجديد بين العلماء المسلمين، إذ لم يألوا جهداً في سبيل إيجاد نوعاً من الإنسجام والتلاؤم بين التعاليم الدينية والمفاهيم الحداثوية الجديدة ومن أهم أهداف هذا الطيف الفكري إيجاد تلازمٍ بين العلم والدين، العقل والدين وبين الدين والإنجازات البشرية.

3. الأصولية/ السلفية

اعتبر عددٌ من العلماء والمفكرين الإسلاميين، أنّ رمز الفلاح والنجاح مقابل الحداثة يكمن في الرجوع الى النصوص الدينية ـ الكتاب والسُنّة ـ والتفاسير الأولية للعصر النبوي لها. تميل هذه المجموعة من العلماء في مقابل الإتجاه السابق الى التمسك بظواهر الآيات، كما وتحاول تنزيه الدين عن التفاسير ولا تتحمل تأويل الآيات والقراءات العرفانية والباطنية للتعاليم الدينية. ويميل هؤلاء العلماء نحو الدين وظواهر الآيات والروايات في بحث نسبة الدين والحداثة أو أصالة الظاهر (التمسك بالظاهر) والعقلانية (أصالة العقل)، كذلك لا يوافقون على إمكانية تأويل الآيات بهدف إيجاد التوافق بين الدين والعلوم

1. يمكن الرجوع الى: حميد عنايت، انديشه سياسي در اسلام معاصر، بهاءالدين خرمشاهي، طبع الرابعة، خوارزمي، تهران، س1380، صص 271 - 274.

التجريبية أو العقلانية، أو تفسير المفاهيم الدينية بحيث تنسجم مع عناصر الحداثة. في تاريخ الحضارة الإسلامية، تنضوي المجموعات الإسلامية بين أهل السّنّة مثل الإخوان المسلمين، الاشاعرة، ابن تيمية والوهابية، وكذلك الشيخية والإخباريون عند الشيعة تحت لواء هذا الإتجاه الفكري وتشترك كافة هذه المجموعات في تمسكها وجمودها على ظاهر النصوص الدينية وطرد العقل وتتطابق بشكلٍ كامل مع تيار أصالة الإيمان[1] في المسيحية.

انطلاقاً من ذلك، قيل أن النتيجة المنطقية لرفض العقل في المذهب الحنبلي، ظهور فرقة الوهابية وأنّ النتيجة المنطقية لرفض العقل عند الإسماعيلية والشيخية ظهور فرقة البابية والبهائية. في الواقع، إنّ الإتجاه غير العقلاني ومكافحة العقل عند فرقة الشيخية والتمايل الشديد نحو الباطنية والغلو في الائمة:، أدّى الى انشعاب فرقة البابية من داخل فرقة الشيخية وشكّلت مكافحة العقل عاملاً وأرضيةً لنمو التيارات الإنحرافية المبتنية على الباطنية وأصالة الإحساس الديني؛ كما خرج تيار الوهابية من داخل الفكر الحنبلي.[2]

وقد استخدم مفهوم الأصولية في الأدبيات السياسية لأول مرة من أجل تبيين أفكار البروتستانت والإنجيليين. وللأسف، يستخدم اليوم اصطلاح الأصولية من قبل الشرقيين أيضاً، في حين أنّه تمّ استخدام هذا الإصطلاح من قِبل الغربيين حول الأصولية المسيحية وبعد ذلك حول أي نهضة أو تيار اسلامي يريد الرجوع الى الشريعة الإسلامية ومعارضة الغرب. واليوم، وجد أيضاً لفظ الاصولية الإسلامية[3] مكانه في الأدبيات السياسية، ويتمّ تلقيه كمفهومٍ يحمل في طياته معنىً سلبياً وسيئاً وأصبح نوعاً من التهم المذمومة، وأحياناً لا يتم الإلتفات الى وجه التمايز والإفتراق بين هذا المفهوم ومفهوم الرجوع الى الأصول (الأصولية الحقة) والسنّة.

كما ولا بد من الإلتفات الى أنّ هناك تمايزٌ بين الأصولية والتراثية، وأنّ هذين الإتجاهين الفكريين موجودان في العالم الإسلامي وأنّهما يتفاوتان في نظرتهما بالنسبة لحلّ مشكلات الدين والحداثة، بحيث يسعى التراثيون دائماً أنّ يفصلوا أنفسهم عن ذلك التيار الفكري المذموم المقدوح فيه في الغرب. ويعتبر الدكتور السيد حسين نصر الأصولية من آثار الحداثة ونوعاً من رد الفعل في مقابل الإفراطية في الحداثة، إذ يقول في هذا الشأن:

" إنّ الكثير من النهضات الموجودة في العالم الإسلامي، إمّا تهدف الى الوصول الى الحداثة، وإمّا تواجه الحداثة. لقد تمّ تعريف المجموعة الثانية بالأصولية. والأصولية نفسها هي الوجه الثاني للحداثة. فنحن لم يكن لدينا

1. Fideism.

2. سيد حسين نصر، قلب اسلام، سيد محمد صادق خرازي، نشر ني، تهران، ص57.

3. Islamic Fundamentalism.

أصولية في العصر السلجوقي أو الصفوي. فظاهرة الأصولية هي رد فعل مقابل التجدد والحداثة والمسألة الملفتة للنظر هي أنّ كليهما لديهما أموراً مشتركة مع بعضهما البعض. النكتة الأولى، أنهما لا يوجّهان أيّ نقدٍ للتكنولوجيا والعلم الحديث. فهما يبلعان التكنولوجيا والعلم الحديث كما يبلع الحوت ماء البحر. النكتة الأخرى، أنّ كليهما لا يهتمان ابداً بالفنّ الإسلامي والحضارة الإسلامية التراثية والنكتة الثالثة هي أنّ كليهما يعاديان الجانب المعنوي، الباطني والداخلي للإسلام.[1]

يعتقد التراثيون بالتفسير الحكمي والعرفاني للشريعة ولا يكتفون بالنظرة القشرية والسطحية للنصوص الدينية كالأصوليين. بناءً على ما تقدّم، رغم وفاء كلاّ من الأصوليين والتراثيين لأصالة للمتون الإسلامية المقدسة مثل القرآن والحديث، إلاّ أن التراثيين يتهمون الأصوليين أنّ تفسيرهم للقرآن والحديث تفسيرٌ ايديولوجي وأداتي، وأنّهم يفسّرون الآيات والروايات بما يخدم ميولهم، مقاصدهم وأغراضهم السياسية:

إنّ الوجه المشترك بين التراثيين وبين ما أُصطلح عليه اسم الأصوليين، في أنّ كلاً منهما يقبل القرآن والحديث، كذلك يؤكد كلاً منهما على الشريعة. لكن حتى في ذلك يوجد اختلافاتٍ عميقة. فكما تمّ تبيينه سابقاً، يؤكد التراث على التفاسير الحكمية في فهم معنى الآيات والنصوص المقدسة؛ في حين أنّ الكثير من النهضات الأصولية تتمحور حول آيةٍ قرآنية وتفسّرها طبقاً لأهدافها ونيّاتها وغالباً طبقاً لفهمٍ غريبٍ وغير منسجم مع تفسير القرآن. وفيما يخص الشريعة، يؤكد التراث في مقابل الكثير من مذاهب الأصولية الرائجة، على الإيمان أي العلقة الباطنية بأحكام الشريعة وعلى الجو التراثي والقضاء السهل القائم على نقائص المجتمع الإنساني، وليس القائم على الإجبار والإكراه الخارجي المستقر على أساس الخوف من بعض القوى الإنسانية غير الله.[2]

ويعتقد بعض منتقدي أفكار التراثيين أنّ الإختلاف بين الأصوليين و التراثيين أقل مما يدّعيه التراثيون، ويعتقدون أيضاً أن الأصوليين كالتراثيين يؤكدون على العُلقة الباطنية والتفسير الداخلي للنصوص الدينية:

فيما يخص تفسير القرآن والأحاديث، يجب القول أن العلماء الحقيقيين يتوجهّون الى تفسير السّنة (التراث)، أعم من كونهم أصوليين أو تراثيين. طبعاً يرغب الذين يكتفون بكتابة الآثار الموجّهة الى العوام، أكثر الى تناول النصوص بشكلٍ سريع وغير دقيق، لكن لا يمكن اعتبار هذا الأمر وجه التمايز بين الأصوليين والتراثيين. وفيما يخص الشريعة، يؤكد الأصوليون كما

1. سيد
2. ن.م. اسلام سنتي در جهان مدرن، ص20، متن فارسي

التراثيون على العُلقة الباطنية والداخلية ولم تكن نظرتهم واحدة بالنسبة لإجراء الشريعة، بل كانت نظرة بعض الأصوليين كما بعض التراثيين والذين هم موضع فخرٍ ومباهاةٍ لدى الإتجاه التراثي، نظرةً متساهلة بالنسبة لإجراء وتنفيذ الشريعة.[1]

على كلٍ، رغم الإعتراف بوجود تمايزٍ بين الأصوليين والتراثيين، ينبغي الإلفات الى أن الأصوليين لا يسعون أبداً الى انطباق الفكر الإسلامي مع المفاهيم المقبولة في العالم المعاصر، وليس مهماً بالنسبة إليهم كيف ينظر الناس في العالم الحديث الى الإسلام، وهم يفكّرون بخلوص الرؤية واتكاء العمل على النصوص الدينية أكثر من توجههم الى قدرات وقابليات الدين في حل الأسئلة الجديدة المطروحة في الحياة. ورغم أنّهم يستفيدون من تكنولوجيا وإنجازات الحداثة، ولكنهم لا يرون أنفسهم ملزمين بالوفاء الى الرؤية المعرفية للحداثة حول العالم والوجود، ولعل هذا الجانب السلبي في نظرتهم هو النقطة المشتركة بين فكرهم وفكر التراثيين. إلاّ أنّه يجب إضافة شيءٍ آخر أيضاً وهو أن ميزان قبول العقل للتعاليم الدينية و إيجاد التوافق بين التعاليم والحداثة عند التراثيين أكثر مما لدى الأصوليين. إذ لا يهتم الأصوليون إذا ما استعمل الغرب كلماتٍ حول العالم الإسلامي مثل العنف، الإرهاب، الإنحصارية، الصوت الواحد، عدم المداراة وانعدام الحوار وأمثال ذلك، بل يعتبرون أنفسهم ملزمين بالسنة والسيرة النبوية أكثر من الإلتفات الى هذه الإتهامات، ولا تشكّل لديهم مسألة التجدد، رؤية المستقبل والإنطباق مع ثقافة العصر أيّ أهمية. وقد أوجب هذا التلقي أن يسعى الغرب والذين يواجهون العالم الإسلامي في ترويج هذا الفهم الأصولي للإسلام بين عامة الشعوب الغربية وأن ينسبوا هذا الفهم للإسلام الى كافة المسلمين. ونظراً الى عدم ملائمة الصفات المذكورة مع الفطرة، فقد أدّى إيجاد هذا التلقي حول الإسلام الى نفور الشعوب الغربية من الإسلام. لكن في المقابل، يعتبر التراثيون أن قبول العقل للمفاهيم الدينية مهمٌ جداً في الإسلام، حتى أنّهم وقفوا بشدة ضد حادثة الحادي عشر من أيلول المنسوبة الى الأصوليين والذين يوافقونهم في الفكر واعتبروا تلك الحادثة ضد الدين، ولهذا السبب فقد سعوا بعد هذه الحادثة الى إثبات أنّ الإسلام بخلاف ما يُظهره الفكر الأصولي، أهل الحوار والمداراة وله سابقة عقلانية وأنّه لا يعادي المفاهيم البشرية.[2]

1.محمد لگنهاوزن، «چرا ست‌گرا نيستم»، ترجمة: منصور نصيري، خرد جاويدان (مؤتمر نقد الحداثة من نظر التراثيين)، ص257.

2 . على سبيل المثال، كتب السيد حسين نصر والذي يعتبر من جملة التراثيين في دفاع عقلانيٍّ عن الدين كتاباً تحت عنوان "قلب الإسلام" وذلك بعد حادثة 11 ايلول، وقد طُبع منه أكثر من مليون نسخة. وقد جهد في هذا الكتاب في الدفاع عن الساحة العقلانية في الدين وأظهر أن الاصولية اتجاه مخالف لجوهر وبنية الإسلام وأنّه اتجاه لم يتبناه إلا القليل من المسلمين المتحجرين.

كما ولابد من الإشارة الى أنّه رغم أنّ التيارات المنسوبة الى الأصولية في العالم الإسلامي، والتي تُعتبر الوهابية من أبرز ممثليها في العصر الحالي، لا تُقدّم أيّ نظرةٍ خاصة ومهمة حول المهدوية والمنجي، إلاّ أنّ اتجاههم أوجب تشكّل أدبياتٍ حول المنجي ومسلكاً في ساحة العلاقات الدولية في العالم الغربي، حيث أنّ الوجه المشترك لهذه الأدبيات تبرير الرؤية والتفوق العسكريين للدول الغربية والتي قامت بطرح صدام الحضارات، الفوبيا من الإسلام، الهلال الشيعي، الهجوم الوقائي، إيجاد القواعد العسكرية في المنطقة ونماذج سياسية أخرى، والسعي في حفظ مصالح اسرائيل والسيطرة على البلاد الإسلامية وتجزئتها وإيجاد تغييرٍ جيوبولوتيكية في منطقة الشرق الأوسط. في الحقيقة، يمكن القول أن الفهم الأصولي للإسلام وخصوصاً بعد حادثة الحادي عشر من أيلول هو الفهم المسيطر على المرحلة الجديدة من تاريخ الإستشراق والتي يُطلق عليها اسم المابعد استعمار[1]، ومن آثار هذه المرحلة في العالم الغربي تشكّل أدبياتٍ حول المنجي من قِبل المسيحيين وسياسيي الدول الكبرى. ولا يخفى أن نفس الأصوليين لا يُظهرون أيّ نظرةٍ خاصة حول المهدوية، ولكنّهم أثّروا بشكلٍ جليّ في تشكّل موضوعين: محاربة الإسلام وأدبيات آخر الزمان.

4. التراثيون

من المفكرين الأوائل المناصرين للأصالة يمكن ذكر المفكرين المعاصرين أمثال رينيه غنون[2]، كومارا سوامي[3]، فيتهيوف شوون[4] وتيتوس بوركهارت[5] الذين انبروا في نقد الحداثة وعناصرها الفكرية واعتبروا أنّ رمز فلاح الإنسان المعاصر يكمن في الرجوع الى الأصول الدينية وحقائق الأديان الإلهية الخالدة. فمن وجهة نظرهم، تملك الأديان حقائقاً وحكماً ثابتة وخالدة بحيث أنّها لا تفقد وظيفتها مع مرور الزمان، بل هي باقية خالدة. كما وأنّهم يعبّرون عن هذه الحقائق الخالدة بالحكم الخالدة[6] ويعتقدون بضرورة الرجوع الى السنن والأصول الخالدة واكتساب العلم القدسي. فالتراث[7] بنظرهم، عبارة عن أصولٍ لا تقبل التغيير ومستخرجة من الدين ذي المنشأ السماوي وهي لا تعني الطبائع، العادات أو أساليب ونظرة العصر القديم:"ليس التراث، رسمٌ أو

1. Post colonize.
2. Rene Jean Marie Joseph Guenon(1886-1951).
3. Ananda Coomaraswamy(1877-1941).
4. Fritjof Schoun(1907-1988).
5. Ditus Burckhardt(1908-1984).
6. Perennial Philosophy
7. Tradition.

عادةٌ أو انتقال جبريٌ للأفكار والمضامين من جيلٍ الى جيلٍ آخر، إنّما يُراد من التراث مجموعة من الأصول الآتية من العالم العُلوي".[1] فالمقصود من التراث، وبإقرارٍ من كافة التراثيين، تلك الأفكار الأصيلة الضاربة جذورها في التعاليم الوحيانية للأديان والمتصلة بالحقيقة الإلهية والوحيانية، وليست السنن المستخرجة صرفاً من العقل الفلسفي أو العادات والتقاليد القومية والوطنية؛ بعبارةٍ مختصرة، التراث يعني "الدين".[2] وبناءً لوجهة نظرهم، يوجد في مجتمعات ماقبل الحداثة، أعم من الحضارات المسيحية، الإسلامية، الهندوسية، البوذية، التائوئية وأمثال ذلك، عناصر ومؤشرات مشتركة وعمومية مستخرجة من التعاليم الوحيانية ويُقال لها "تراث".

ورغم أنّ كلّ واحدٍ من التراثيين قد طرح مباحث خاصةٍ به، ولكنّهم يتفقون فيما بينهم في المباني والأصول العامة وهذه الأصول المشتركة هي التي جعلتهم ينضوون تحت مذهبٍ فلسفيٍّ واحد. ومن الوجوه المشتركة بينهم، سواء بين الجيل الأول من المفكرين التراثيين، أو بين الجيل الثاني، المعارضة الشديدة للمعرفة الوجودية، الكونية، والمعرفية لدى عالم الحداثة، الإلتزام بوحدة الأديان المتعالية والإرتباط بين العلوم والمعنوية، كما ويعتبرون أنّ رمز فلاح ونجاح المجتمعات الشرقية ومن جملتها المجتمعات المسلمة العودة الى الأصول والمباني الدينية.

ومضافاً الى مخالفتهم لعناصر الحداثة أو التجدد، فهم يخالفون أيضاً الأصولية[3] ومابعد الحداثة، كذلك هم يعارضون بشدة قبول وظائف العلوم

---

1. سيدحسين نصر، اسلام و تنگناهای انسان متجدد، ترجمه: انشاء الله رحمتي،دفتر نشر سهروردي، تهران، س1383، ص116.
2. "إنّ الكلام حول التراث، كلامٌ حول الاصول النابتة ذات المنشأ السماوي وهو كلامٌ حول استعماله في مختلف المراحل الزمنية والمكانية. في نفس الوقت، هو كلامٌ حول استمرارية التعاليم الخاصة والصور القدسية التي تعتبر محملاً لإنتقال هذه التعاليم الى الإنسان وتفعيل تعاليم التراث داخل الإنسان. فالتراث الذي تمّ تعريفه لغاية الآن لا يعني الطبائع والعادة ولا لاساليب المعتمدة لعصرٍ مستعجل. ومادامت الاقوام والحضارات المستخرجة من التراث الذي يُعتبر المذهب من أكثر عناصره ضرورةً بمعناه العام، تتبع هذا التراث بحكم المرشد لهم، فهم باقون وثابتون. وحتى عندما يتوقف بقاؤه الظاهري، فإنه لا يستسلم كاملاً للموت. في هذه الحال، سوف يختفي ظلّه الارضي وسوف يرجع التراث في واقعيته الذاتية والروحانية الى مبدأه السماوي."(نادر اردلان ولاله بختيار، حس وحدت، ترجمه حميد شاهرخ، مقدمه سيد حسين نصر، پيشگفتار سيد حسين نصر،صفحه)
3. يرى التراثيون أنفسهم في مقابل الاصوليين. ويعتقدون أنّ الاصولية تختلف مع التراثية حول الفن، السياسة، الحداثة وباقي عناصر الحياة الحديثة اختلافاً جوهرياً، حيث يعتبر التراثيون الفن المقدس لغةً عالمية، وهم يستندون في إثباتهم شمولية وعمومية العرفان الإسلامي على الفن المقدس ويتلقون الاثار العظيمة للفن الإسلامي رمزاً للعرفان الإسلامية وكذلك بياناً لبصيرةٍ ونورانيةٍ عالمية. بحيث أنّ كافة التراثيين يرون في الاثار المنتشرة في كافة المناطق الإسلامية بدءً من شمال أفريقيا لغاية الشرق الاوسط، ذات مضمونٍ عالمي، قابلة للفهم وجذابة لكل المسلمين. ويشير نصر بخصوص اختلاف التراثيين مع الاصوليين الى الموارد التالية:"الإختلاف في كافة أبعاد الإسلام الباطنية، والحضارة والثقافة النائجة عن ذلك، مثل التصوف، الفلسفة الإسلامية، الفن الإسلامي وغيره. كذلك فإنّ مسير الاصوليين جداً صوري. بمعنى أنّهم يتمنون تجديد بناء المجتمع الإسلامي من خلال التأسيس المجدد للقواعد

التجريبية وعدم معارضة الغرب في قدرة العلوم التجريبية على طرح رؤيةٍ كونية جامعة للإنسان.[1] كما أنّهم ليسوا على أيّ خلافٍ مع العقلانية، لكنّهم لا يقصدون بالعقلانية العقل الجزئي أو ما يُعرف بالراسيوناليسم التي هي أحد مباني الحداثة في عصر النهضة، بل مرادهم العقل الكلي المقبول من وجهة النظر العرفانية والتراث:

العقلانية على شكل العقل الجزئي هي الراسيوناليسم، ويخالف التراثيون الراسيوناليسم بشدة. ولكنّهم يعتقدون أنّ الله جعل في الإنسان شرارةً من النور الإلهي والذي هو ذلك العقل وهو من يستطيع معرفة التوحيد.[2]

فهم يرون أنّ افكار الأديان في مجال معرفة الإنسان والكون لم تزدهر بسبب التمحور حول العلوم التجريبية بعد عصر النهضة، وأنّه قد تمّ إزاحة العالم غير المادي الذي هو أفضل من عالم المادة وأكثر واقعية، الى الهامش وذلك بسبب بُعد هذا العالم عن متناول أيدي وضعية العلوم التجريبية وقدرة إثباته. وبناءً لوجهة نظرهم، لقد سحب إنسان العصر الجديد يده من الوحي والتراث الديني الخالد لمصلحة العلوم التجريبية وجذابيتها وأراد الإجابة عن كافة أسئلة الحياة بواسطة العلم التجربي. في حين أنّ العلوم التجريبية، ليس أنّها لم توسّع من نطاق عالم الإنسان الجديد فحسب، بل جعلت العالم من حيث علم الوجود، أكثر محدوديةً وأنزلت من قيمته:

لقد رسّخت الحداثة قدميها في عالم الوجود بعد أن اكتشفت مصدراً جديداً للمعرفة: الأسلوب العلمي. ولأنّ اختبارات تحكم وسيطرة هذا الأسلوب جعلت العلماءَ قادرين على إثبات فرضياتهم، ولأنّ الفرضيات التي تمّ إثباتها لديها القدرة على إيجاد تغييرٍ أساسيٍ في عالم المادة والماديات، انتقل الغربيون في مقام بحثهم عن الصورة الكبيرة من الوحي الى العلم.[3]

ويخالف التراثيون أيضاً مباني الحداثة والتي من جملتها: أصالة الإنسان[4]، التجريبية[5]، العقلانية[1]، الفردانية[2]، العلمانية[3] والليبرالية[4] بصفتها تشكّل الرؤية

الإجتماعي، الحقوقية والصورية والسطحية، وليس على من خلال إحياء الإسلام عبر تهذيب وتزكية النفس أو عبر رفع الموانع الفكرية والفلسفية التي تقف سداً منيعاً أمام الكثير من المجتمعات الإسلامية المعاصرة. وانطلاقاً من ذلك، نادراً ما يرد هذا النوع من النهضات الى تفاصيل التحديات الفكرية التي أوجدها العلم والفلسفة الغربية، ولا يخفى أنّ هذه الصفة ليست على السواء بين كافة النهضات، بل إنّ بعضها يتمتع بسجيةٍ متفكرة أكثر."(سيد حسين نصر، اسلام سنتي در جهان مدرن، ص8)

1. رينيه غنون، بحران دنياي متجدد، ترجمة ضياء الدين دهشيري، الطبعة الثالثة، انتشارات امير كبير، س1378، ص43:" في حال كان أحدٌ ما مخالفاً للتجدد، فلا يمكن اعتباره بأي وجهٍ من الاوجه أنّه مخالفٌ للغرب،إذا كان بالإمكان استعمال هذه الكلمة، لان مخالفة التجدد يعني فقط القيام بالمجاهدة القيّمة في سبيل نجاة الغرب من قبضة الفوضى والإضطراب التي أوجدها بنفسه."

2 . سيد حسين نصر، "سنت، عقلانيت ودينت"، هفت آسمان، ش33، س نهم، س1386، 39-17.

3 ن.م، ص204 - 176.

4. Humanism
5. Emprism.

الكونية للعصر الجديد، كما ويعتبرون أنّ هذه الأصول الناشئة من باطن الحداثة مخالفة للهوية الواقعية للإنسان كما عُرّفت في الأديان. لذلك فهم يروون أنّ سبب الإختلاف الجذري بين التراثية وأفكار الغرب ناشئٌ من وجود رؤيتين كونيتين مختلفتين حول طبيعة الواقع. إذ ترجع جذور الحقيقة طبقاً لتراث الأديان الى الذات الإلهية والتي هي حقيقة الحقائق، لكن طبقاً للفكر الغربي المعاصر تُختصر هذه الحقيقة في عالم المادة.

وعلى أساس تراث الأديان الخالد، فإنّ ذات الخالق هي محور العالم، والله هو أصل كافة الحقائق، وقيمة أهمية الإنسان فرعٌ من محورية الله وهي في ظلّ شعاع العظمة والمجد الإلهي، بحيث أنّ الإنسان يُذعن بحقارته أمام ذات الخالق ولا تحصل عظمته الباطنية إلا بعبوديته وإطاعته للذات الإلهية. لكن في المقابل، كانت ولازالت الحداثة قائمة على محورية والوهية الإنسان والى إزاحة الإله الى الحاشية. من هنا، يرى التراثيون المباني الفكرية لعالم الحداثة حول حقيقة العالم متعارضة مع مباني الأديان، ولذلك يقومون بنقد عالم الحداثة.

كان رينيه غنون، وهو من جملة التراثيين الذين قاموا بنقد عناصر الحداثة مثل أصالة الفرد، محورية الإنسان، أصالة المادة، أصالة العلم، أصالة العقل وأصالة التساوي، على اعتقادٍ أنّ العصر الجديد الذي يمرّ فيه الغرب، هو آخر مرحلة من مراحل البشرية حيث يعيش الإنسان فيها بعيداً عن المعنوية والتراث. ويسمّى غنون هذه المرحلة بالمرحلة الرابعة من مراحل البشرية أو مرحلة ظلمة "كالي يوغا". وهي مرحلةٌ يتنزّل فيها الإنسان من مقامه وقيمته الألوهية والسماوية ويُنظر إليه كحيوانٍ (حيٍّ) مثله مثل باقي الحيوانات وبخلاف اعتقاد الأديان، لا يتمتع في وجوده بأيّ قيمةٍ سماوية. من هنا، يُطلق غنون على هذا العصر اسم عصر ظلمة البشر، ويعتقد أنّ التحرر من هذا الوضع يحتاج الى حادثةٍ كبيرة.[5]

كما ويعتبر غنون، متأثراً بالأدبيات الدينية الموجودة في الإسلام والدين الهندوسي، أنّ خلفيات ظهور الموعود هي نفس هذا الإضطراب الموجود في العصر الجديد، ويُطلق على الوضع الموجود للعالم المعاصر اسم المرحلة المنقلبة والتراث المعكوس، كما ويعتقد أن "المرتبة الأخيرة لتكامله، الإنحراف"[6]، ويجعل مقابل ذلك مفهوم الرجعة بمعنى إيصال المجتمع الى

---

1. Rationalism.
2. Individualism.
3. Secularism.
4. Liberalism.

5. رينيه غنون، بحران دنياى متجدد، ص 19 – 20.
6. رينيه غنون، سيطره كميت وعلائم آخر الزمان، ترجمة: علي محمد كاردان، تصحيح: اسماعيل سعادت، ⇐

الوضع العادي والمطلوب الذي هو في الواقع، نتيجة مرحلة ترميم آخر الزمان:"الترميم، هي اللحظة النهائية (آخر الزمان) التي يجب أن تتجلى على أحسن وجه، على شكل "إقلاب (نكس)" كافة الأمور بالنسبة للوضع "المنقلب"، لترجع مباشرةً الى ما قبل هذه اللحظة التي أحاطت بهذه الأمور..."[1]

ويرى غنون في المرحلة "المنقلبة" والتي يُعبّر عنها في فكره بمرحلة آخر الزمان، الأرضية لتحقق التراث والمعنوية ومن وجهة نظره لا يعني انتهاء العالم إنتهاءً للحياة البشرية، بل بمعنى انتهاء مرحلةٍ إنسانية. وهو يعبّر عن انتهاء تاريخ العالم بإنهيار الحضارة الغربية ويدعو مرحلة الظهور بالعصر الذهبي، ويقسّم نوع البشر في تقسيمٍ كلّي الى شرقي وغربي أو شرق وغرب، وليس بالضرورة أن يكون مراده الشرق والغرب الجغرافي. إنّ الذي سعى غنون الى إثباته، المعنى الرمزي لهذين المصطلحين اللذين يشيران الى التمسك والإلتزام أو عدم الإلتزام بالأصول المعنوية، وإنّ التضاد والتعارض بين الشرق والغرب ناشيءٌ من التضاد والتباين بين روحياتهما، قبل أن يكون ناشئاً من موقعيهما الجغرافي. ورغم التنوع الديني والثقافي الموجود في كلٍّ منهما، ولكنّ غنون يرى أنّ الإعتقاد بالأصول المعنوية والحكمية مشتركٌ بينهما. لذلك، في فكر غنون والكثير من التراثيين، يشير تعبير الشرق الى شروق المعنوية والحكمة والمقصود من الغرب هو غروب وأفول الأصول المعنوية والسنن الروحانية:

إنّ جميع الحضارات (الشرقية) مبتنيةٌ على أصولٍ أساسيةٍ واحدة، والتي هي فقط مظهر التحقق والتنفيذ المشروط لتلك الأصول (المعنوية والحكمية) في ظلّ الظروف المتنوعة... نحن في الوضع الحالي، من جهةٍ لدينا بشكل عام حضاراتٍ بقيت وفيةً لروح السنن المعنوية والروحانية وهي عبارة عن مجتمعات بلاد الشرق، ومن جهةٍ أخرى، لدينا حضارةٌ من نوعٍ آخر يُخالف تلك القيم وهي تشكّل دول عالم الغرب.[2]

ويعتقد التراثيون أنّه لتجديد حياة التراث في الغرب، يجب الإستلهام من التراثات الموجودة في الشرق، لأنّه رغم أنّ العالم الغربي لا يُظهر اشتياقاً للرجوع الى تراثه، لكنّ مصباح القيم في المشرق مازال مضيئاً، ويجب أن نرجع الى خلود عقلٍ كان قد تجلى يوماً في أفكار أفلاطون، أفلوطين، آباء الكنيسة ومدرّسي القرون الوسطى، وأنّ نفسّر كافة أمور الحياة المستحدثة

مركز نشر دانشگاهي، تهران، 1361، ص229.

1. ن.م، ص 232 - 233.

2. ن.م،ص26.

المعاصرة على أساس تلك الحقيقة الواحدة والخالدة.[1] طبعاً، هم لا يعتبرون مخالفة التجدد والحداثة بمعنى مخالفة الغرب، بل تعني مخالفة التجدد بذل الجهد لإنقاذ العالم الغربي من قبضة الفوضى والإضطرابات التي أوجدتها الحداثة والتحرر من النافذة المغلقة والمحدودة للعلم عن طريق الرجوع الى التراث الوحياني:

إذا تصورنا التراثيين الذين ينظرون الى العالم من خلال نافذة الوحي (يعني أساطيرهم المأثورة ونصوصهم المقدس). فالنافذة التي اتجه الناس إليها في عصر الحداثة هي نافذةٌ صغيرة (العلم) وهي لا تجعل الإنسان يرى أبعد من أنفه، وهذا الكلام من وجهة النظر المعرفية يعني أنّه عندما ننظر من نافذة العلم، سيكون نظرنا متجهاً الى أسفل ولن نرى إلا الأشياء التي هي أقل مستوىً منّا.[2]

ويرون أيضاً أن المسلمين اتجهوا نحو ثلاثة نظريات وتحاليل في مقابلتهم غزو الحداثة للحضارة الإسلامية: 1. هذه الهزيمة الكبرى علامةٌ على آخر الزمان وظهور المهدي أو المنجي، 2. لم يتّبع المسلمون الأحكام الإسلامية كما يجب وعليهم أن يرجعوا الى اتباع الوجه الأصيل للدين في بحثهم عن إجاباتٍ للأزمات المعنوية، الدينية والسياسية الموجودة في العالم الإسلامي، وأن يكون مطلبهم إجراء شرعة الإسلام، 3. يجب أن تنطبق رسالة الإسلام مع العالم الحديث كي يتغلب على تفوق وأفضلية الغرب. بناءً لرأي التراثيين، أدت هذه التحاليل والتفاسير ونظراً الى سابقة البلاد الإسلامية الى تحقق ثلاثة تيارات فكرية:

1. المهدوية أو حركات الإيمان بعيسىMessianic، 2. الاصولية كالوهابية في السعودية،

3. التيارات الحديثة والمتجددة كحركة تركيا الفتاة او الليبرالية العربية. وقد تمّ الإلتفات الى هذه الأفكار مرةً في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ومرةً أخرى بعد الحرب العالمية الثانية، حيث أنّه في المورد الثاني أدّت هذه الأفكار الى ظهور تياراتٍ مثل المهدوية، التجددية، والاصولية.[3]

---

1. يقول شووان حول الرجوع الى العقل:" في الواقع، إنّ خلود العقل في العرب ميراث عقلاني "معيّن"، كان قد تحقق في أشكال مختلفة مع أفلاطون وأرسطو وأفلوطين وآباء الكنيسة ومدرسي القرون الوسطى. وليست القضية الكبرى لعصرنا أن نأتي بشيء أفضل من ذلك، بل الرجوع الى المبادئ سواء مبادئنا الداخلية أو التي حولنا، وأن نبحث كافة مستحدثات حياتنا المعاصرة في شعاع الحقيقة الواحدة والخالدة."(فريتهيوف شووان، عقل وعقل عقل، ترجمه بابك عالیخاني، انتشارات هرمس، 1384، ص150-151)

2. هيوستون اسمیث، اهمیت دینی پسا تجددگرایی: یک جوابیه"، ص179.

3. مقابلة "واندا رومر نابلور مع الدكتور سيد حسين نصر"، ترجمة فاضل لاريجاني، خبرگزاری مهر،24 مهر 1382.

5. المهدوية الأداتية

لا يخفى أنّه في العلوم الإجتماعية، لا يمكن أبداً حصر تحقق تياراً فكرياً، نهضةً اجتماعية أو سياسية بعاملٍ واحدٍ، ولا يُستثنى من ذلك ظهور بعض الفرق، المجموعات المهدوية أو التيارات المدّعية للمهدوية. إذ أنّ تشكّل وظهور هذه الفرق والتيارات تابعٌ لعللٍ وعواملٍ متعددة. لكن في عصر ما بعد النهضة، قطعاً إنّ أحد عوامل التشكّل والإستفادة الأداتية من المهدوية يكمن في الشروط والوضعية الناتجة عن عصر النهضة والحداثة، ولشدة ما تغلغلت هذه المرحلة في المجالات المختلفة، فقد كانت مؤثرة فيها جميعاً.

وإنّي أعتقد أنّ أحد ردات الفعل مقابل المشاكل الناتجة عن الحداثة بين المسلمين، كانت في الإستفادة من المهدوية أو اللجوء إليها؛ بعبارةٍ أخرى كانت مواجهة المشاكل الناتجة عن الحداثة من جملة الدوافع المتصاعدة في الميل نحو ثقافة المهدوية والإستفادة الأداتية منها في مجالاتٍ اجتماعية وفردية مختلفة. ففي القرون الثلاثة الأخيرة ـ بعد عصر النهضة الصناعية في الغرب ـ، أوجدت التحديات التي واجه بها الغرب العالم الإسلامي في عصر الحداثة، وضعيةً استمرت منذ عصر النهضة في بلادٍ مثل ايران، الهند، أو البلاد الإسلامية في افريقيا حيث ظهر فيها أكثر مدعّي المهدوية. في الواقع تكمن أحد العوامل التي أدّت الى ظهور البابية والبهائية في ايران، أحمد القادياني في الهند، ومحمد أحمد السوداني في السودان، مهدي السنغال ومهدي تونس والمدّعون الكثر في أفريقيا، الى جانب دلائل تاريخية أخرى، في رد الفعل مقابل الوضعية الإنفعالية للمسلمين أمام العالم الجديد. فمنذ هذه المرحلة، أوجد العالم العلماني الغربي وضعيةً في كافة المجالات مثل الإقتصاد، المجتمع، الدين وغيره. هذه الوضعية جعلت المهدوية بصفتها أحد أكثر التعاليم الفاعلة في الفكر الإسلامي ثباتاً والمتكئة على حضور وحياة منجٍ حيّ وموجود بين الناس، جعلتها من جهةٍ حربةً في أيدي بعض المحتالين ومن جهةٍ أخرى ملجأً من سقوط بعض المتحيّرين من العوام والخروج من الوضعية المؤسفة للمسلمين. ولقد أثّر بشدة ورود العناصر الجديدة للحضارة الغربية، مثل النمو الصناعي، الإختراعات والإكتشافات، منهجية العلوم، الإصلاح الديني (بروتستانتيسم)، الثورات السياسية والإجتماعية، الأنظمة الرأسمالية والإنتاج الآلي المتراكم المترافق مع الحداثة، على الرؤية والوضعية الفكرية والإجتماعية للشرقيين وجعلتهم يعيشون في اضطرابٍ، ولعله لم يعد اليوم بالإمكان تصور هذه الرؤية والوضعية لشدة ما تطبّع الناس بهذه العناصر.[1]

إنّ إلقاء نظرة الى تاريخ الثقافة الإسلامي، يحكي عن ظهورٍ دائمٍ لعددٍ من

1. اچ. اى. بارنز واچ بكر، تاريخ انديشه اجتماعي، ترجمه جواد يوسفيان وعلي اصغر مجيدي، سيمرغ، تهران، 1354، ص371.

الأفراد في الحركات السياسية، النهضات، يبحثون عن مشروعيةٍ لهم بالإعتماد على المكونات والعناصر الموجودة في بحث المهدوية، وما اكثر الأفراد أو القادة السياسيين، منذ العصر الأموي وحتى عصر ولادة الإمام المهدي4، الذين نسبوا المهدوية الى أنفسهم. ومنذ ولادة الإمام المهدي4 الى يومنا هذا، مضافاً الى إدّعاء البعض المهدوية أو ارتباطهم بالإمام4، قاموا أيضاً باستثمار الثقافة المهدوية والمفاهيم المتعلقة بالمنجي في تبرير الأفكار السياسية والدولية أو لأجل الإستقطاب وزيادة محبوبيتهم؛ حيث يُلاحظ استبطان كافة هذه السبل نوعاً من الإنحراف وابتعادٍ عن التعاليم الإسلامية. وقد نتج عن استغلال مسألة المهدوية والإنحراف عنها، أضراراً:

1. اجتماعية (المجموعات والفرق الإنحرافية المنتسبة الى الإمام المهدي4)؛
2. سياسية (النظريات السياسية غير المقبولة)؛
3. نفسية (الهذيان والأوهام النفسية).

وإذا بحثنا اليوم في العالم الإسلامي، لحصلنا على إحصاءٍ واسع من المجموعات والفرق الصغيرة والكبيرة، إذ أنّ بعضها اتجه نحو الإستفادة من الثقافة المهدوية والمفاهيم التي تتضمنها لأجل مواجهة الإحباط، الهزائم الوطنية، خيانة حكّام الدول الإسلامية والغزو المستمر للحضارة الغربية للمسلمين؛ وقد ظهرت بين هذه المجموعات والفرق أحياناً أفكاراً واعتقاداتٍ منحرفة وبعيدة عن التعاليم الإسلامية. فالمهدوية أصبحت بصفتها مفهوماً دينياً مهماً في مجال إنقاذ المجتمعات والناس سواءً في التجارب الدينية أو المجال الإجتماعي، محملاً لتبرير الكثير من الإنحرافات النفسية والإجتماعية؛ بحيث غلب اتجاه الإستفادة الأداتية من المهدوية كوسيلةٍ للوصول الى القدرة السياسية من قِبل عددس من الفرق الإسلامية الصغيرة. وتأتي المهدوية أو الإعتقاد بالموعود في أعلى مستويات الإستفادة الأداتية من التعاليم الدينية بين أتباع الأديان الإبراهيمية. و يعتبر الإعتقاد بالمسيح7 في المسيحية أو الإمام المهدي4 في الإسلام لأجل تبرير التجارب الدينية والعرفانية والإعتقاد بعودة المسيح7 وظهور الإمام المهدي4 في الحقل الإجتماعي، من أهم عوامل تبرير التجارب الإنسانية والتحولات الإجتماعية والسياسية لبعضٍ من الإنحرافات النفسية والإجتماعية. ففي السنوات الأخيرة، مضافاً الى اتخاذ استغلال المهدوية في البلاد الإسلامية أشكالاً متعددة واعتبارها سبيلاً للخروج من وضعية المسلمين المتخلفة والمشاكل الناتجة عن الحداثة، كذلك الأمر في الغرب، فقد اعتمدت بعض السياسات الدولية للدول المهيمنة على الأدبيات المتعلقة بالمنجي ومفاهيم آخر الزمان.

في الواقع، إنّ رد الفعل لبعضٍ من المسلمين مقابل الحضارة الغربية وضياعهم وحيرتهم الروحية والإجتماعية في العصر الجديد، كالذي أحاط بكلّ

من تياري الأصولية والتراث، أدّى الى اتجاه بعضٍ منهم نحو المفاهيم المهدوي. وتلقّى عدةٌ منهم أنّ هذا العصر عصر سلطة وسيطرة الحداثة بسبب تحقق مفهوم آخر الزمان وعصر الظهور. ومال البعض الآخر في مواجهتهم للحكام الظالمين، الحداثة، النجاة من إحتلال استعمار الدول الغربية، إخراج المستعمرين الأوروبيين والتحرر من العلمانية، نحو الإدعاءات المهدوية والتي من جُملتها إدّعاء الإرتباط مع الإمام المهدي4، إدّعاء المهدوية أو أخذ الأحكام والأوامر من المهدي. وكرد فعلٍ على الإبتذال والإنحرافات التي أوجدها العصر الحديث، مال البعض الى نسب تجاربه الروحية والدينية الى الإمام المهدي4 وإدّعى رؤيته وهكذا يُعطي هؤلاء من خلال هذا الإرتباط بأشكال متفاوتة المشروعية لسلوكهم وقولهم.[1]

على سبيل المثال، بناءً لإعتقاد بعض المستشرقين أمثال هالت ودالي، أنّه من جملة العوامل التي أدّت الى إدّعاء المهدوية من قِبل محمد احمد السوداني في السودان، المشكلات الناشئة عن عصر الحداثة ومحاولة استرداد حقوق الشعب التي نهبها الأوربيون والأزمات المالية الناتجة عن القروض الخارجية وإخراج المحتلّين الأجانب والمستعمرين الأوروبيين من بلاده. فقد دعى محمد احمد السوداني وأتباعه الشعب الى الإسلام ومكافحة نهب الأتراك المصريين، الاوروبيين وحكّام المنطقة لثرواتهم، ولأجل حلّ مشاكل البلد وإخراج المحتل الأجنبي والمستعمرين الأوروبيين؛ وقد استطاع عبر ادّعاء المهدوية وبالترافق مع ثلاثة عناوين: الإمام، خليفة رسول الله والمهدي الموعود، استقطاب عدداً كبيراً من الناس وتشكيل نهضته. ومن وجهة نظر هؤلاء المستشرقين، كانت ومازالت مسألة إدعاء ظهور المهدي في التاريخ الإسلامي من الأمور المتعارف عليها عند ظهور الأزمات في بعضٍ من الدول، ومضافاً الى محمد أحمد السوداني، هناك أشخاصٌ آخرون أمثال عبيد الله في مصر ومحمد بن تومرت في اسبانيا وشخصٌ آخرٌ انهزم مقابل نابليون، كان لديهم الإدّعاء بالمهدوية:

في زمن الأزمات في العالم الإسلامي، كانت ومازالت مسألة ظهور "مهديّ" يدّعي التقدس الهي لإزالة النظام السابق وإقامة حكومةٍ علمائية أمراً عادياً. فقد أقام "مهديين اثنين" في القرون الوسطى نظامين سياسيين قويين، أحدهما عبيد الله مؤسس سلسلة الفاطميين في أفريقيا الشمالية ومصر في القرن

1. حتى أنّه من جملة التحاليل حول إدّعاء المهدوية من قِبل محمد احمد السوداني أنّه لم يخطط هو وأتباعه لإدعاء المهدوية، بل إنّ مخالفيه ونظراً الى اعتقاد الناس بالمهدوية واستمرارية هذا الفكر بين المجتمعات الإسلامية حياً، ولاجل تخريب صورة مناصري محمد احمد السوداني وتصويرهم على أنهم كاذبون، أشاعوا أن محمد السوداني قد ادّعى المهدوية. وهكذا شاع تدريجياً أنّه هو من ادّعى المهدوية. على كل حال، كلا النظرتين مهمتين، ويبيّن مكانة هذا الأمر الديني بين المجتمعات الإسلامية على مرّ التاريخ وأنّ هذا الامر كان ومازال دائماً مورد استغلالي أداتي.

العاشر، والآخر محمد بن تومرت، حيث قام أتباعه "الموحّدون" في القرن الثاني عشر بفتح وحكم شمال غرب افريقيا واسبانيا التي كانت يحتلها المغاربة المسلمون. وفي الفترة الأخيرة، ظهر العديد من المدّعين الآخرين، من جملتهم شخص هُزم في هجومه على جيش نابليون الفرنسي في نهاية القرن الثامن عشر في مصر.[1]

في الواقع، لقد كان محمد أحمد السوداني متأثراً بحركة محمد بن علي السنوسي الإصلاحية وضد الاستعمار في ليبيا، وكذلك برؤية السيد جمال الدين اسد آبادي في مصر الذي تتلمذ عليه عدة سنوات في مصر، وورث روحية مقاومة الإستعمار منهما. ومن عوامل الإستثمار الأداتي للمهدوية من قِبله، وضعية العصر الجديد في العالم الغربي وغزوهم الفكري والثقافي، مناضلة المستعمرين والمحتلّين الأنكليز، مشاكل المسلمين السودانيين مقابل هؤلاء المستعمرين والمحتلين ونشر الدين في كافة العالم:

مرّت المجتمعات التقليدية والمسلمة في شمال أفريقيا والمناطق الأخرى في هذه القارة في القرون الأخيرة من حيث الوضع الداخلي في حالة انحطاطٍ وتخلف... بسبب بُناها الضعيفة والظروف الظالمة واستبداد الحكّام... وأهم من ذلك كانت هذه المجتمعات على مستوى العلاقات الدولية هدفاً لهجومٍ مدمر من قِبل الإستعمار الثقافي، السياسي والإقتصادي الغربي.[2]

وهكذا عبر ادّعائه المهدوية، طلب من الناس القيام ضد المستعمرين وكان يعتقد أن حكومة المهدي سوف تقضي على الظلم واعتداء الظالمين. انطلاقاً من هذا الإدعاء، استطاع جمع الناس حوله لمقاومة ومجاهدة الدول الأوروبية مثل بريطانيا، وكان يهدف الى تحرير كافة الدول الإسلامية من سيطرة الإستعمار الغربي وتأسيس الحكومة الإسلامية في العالم.[3]

كذلك، يبدو أن من الخلفيات التي ساعدت على ازدياد المهدوية الأداتية والإرتباط مع الإمام المهدي4 في العصر القاجاري، وقدرة تغلغل فرقٍ أمثال البابية والبهاية بين عدة من الناس، الإستفادة من الأجواء السائدة في ايران في تلك الحقبة والوضعية التي أوجدتها الحداثة في ايران. في تلك المرحلة، سيطرت عناصر الحداثة بشدّة على الثقافة الإيرانية وظهر رسوخها في كل الأماكن ونفذت عناصر الحداثة مثل التجدد، التعلق بالدنيا، فصل الدين عن السياسة، انطباق الدين مع الحياة المادية، الإباحية، التعلق بالدنيا بدلاً من

1. پی. ام هالت وام. دبلیو دالی، تاریخ سودان بعد از اسلام، ترجمه محمد تقی اکبری، بنیاد پژوهشهای اسلامی، تهران، 1366، ص 95 - 98.

2. السید احمد موثقی، جنبشهای اسلامی معاصر، سمت، تهران، 1383، ص217.

3. ولیام. اچ. مک نیل ومریلین رابینسون والدمن، بحران تجدد، ترجمه محمد تحریرچی، انتشارات فتح، تهران، بی‌تا، ص 129 - 138.

الآخرة، والحاجة الى الإصلاح والتغيير في المذهب، الى الثقافة الإيرانية. ويُرى آثار التجدد الناشئة عن الحداثة في أفرادٍ مثل حسينعلي ميرزا:" بسبب الموقع الخاص لحسينعلي ميرزا بين البابية، وبتصريح من الشيخ احمد روحي وآقاخان كرماني، ظهرت شيئاً فشيئاً آثار التجدد والتساهل والتفاخر والتكبر في أحوال بهاء الله. واضطرب بعض القدماء... من مشاهدة هذه الأحوال، فقاموا بتهديد بهاء الله."[1]

استطاعت البهائية أيضاً في بداية حركتها الإستفادة من هذا التجدد بالإعتماد على مفاهيم المهدوية وأمّا الناس الحائرون والمتعبون من أوضاع تلك الحقبة والذين كانوا يعتقدون أن السبيل الوحيد لحلّ مشكلات عصرهم يكمن في ظهور الإمام المهدي4، ومع وجود الجهل والإعتقاد بالمهدوية، فقد آمنوا بالحركة البهائية. من هنا، قام قادة هذه المجموعات في الحقبة القاجارية – من الشيخية الى البهائية- بإيجاد مذاهب انحرافية عبر الإستفادة من مفاهيم المهدوية مثل الوكالة، الركن الرابع، البابية، الإمامة والقيام بتأسيس مفاهيم أخرى. واعتبروا أنفسهم متصلين بالوحي والسماء عن طريق الإستفادة من مفهوم المهدوية؛ وما كان من الناس بسبب إيمانهم بالإعتقادات الدينية واهتمامهم بمسألة الإمامة، وبأنّها هي المنجية، بالوعود الإلهية في إقامة حكومة العدل وخصوصاً الحياة الجسمانية للإمام المهدي4، إلاّ أن آمنوا بمدّعي المهدوية؛ وضلّوا طريقهم بسبب جهلهم في تعيين مصداق المهدوية. ومن الطبيعي في تلك الحقبة، أن يقوم ملوك القاجار المهوسين في التسريع من رداءة الأوضاع، ذلك أنّهم كانوا متعلقين بشدة بالحضارة الغربية، فكان مظفر الدين شاه وناصر الدين شاه يأخذان الضرائب من الناس ليسددوا أقساط القروض الناتجة عن أسفارهم الى الغرب، فلم يبقى سبيلٌ أمام الناس المتدينين سوى الإستجابة لأيّ نداءٍ يدّعي المهدوية. مضافاً الى ذلك، قام مناصري علي محمد باب، مثل ملا حسين بشرويه بتشجيع الناس في الإلتحاق بإمام العصر، وذلك عندما توجه الى شيراز آتياً من خراسان وقد رفع رايةً سوداء عامداً متعمداً، كي يدّعي أن الرايات السوداء قد خرجت من خراسان والتحقت بإمام الزمان، وقد تبعه حقاً عددٌ من الناس بكلّ صدقٍ.[2]

بناءً على ما تقدّم، اعتبر بعضٌ من المفكرين عواملاً مثل الإنحطاط وزوال النظام السياسي لإيران، الفساد السياسي للحكّام، تنافس واجتهاد الدول الإستعمارية في السيطرة على الثروات الوطنية في ايران، اعطاء الملوك إمتيازاتٍ للدول الأخرى في نهبهم للثروات الوطنية، الإنفعال السياسي -

1. سيدمحمد باقر نجفي، بهائيان، ص309.
2. بهرام افراسيابي، تاريخ جامع بهائيت، نشر مهرفام، تهران، 1382، ص14/ احمد كسروي، بهاييگرى، انتشارات پايدار، تهران، بي‌تا، ص24.

الإجتماعي للتشيع نتيجة بدع الشيخية وارتداد البابيين وجهل وسذاجة العوام من الناس، والناشئة من تقابل الإسلام والحداثة وانفعال الملوك القاجاريين، من أهم عناصر العصر القاجاري وما قبل ثورة المشروطة[1] (أو ما قبل الثورة الدستورية). بحيث أنّ البابية واستفادتها من المهدوية في تلك الحقبة المعروفة بالإختراعات والإضطراب السياسي، كانت تشكّل تمرداً على أوضاع الدولة والمذهب الرسمي في المجتمع:" ليس من العجب أن البابية التي هي انشعابٌ من الشيخية، كانت حركة اجتماعية ضد الحكومة وأيضاً بدعةٌ مذهبيةٌ في إطار مذهب الشيعة."[2] في الحقيقة، لقد كان البابيون والبهائيون حماةً للمصالح والسياسات الغربية في ايران وقد أعطتهم الأوضاع القائمة آنذاك والناشئة عن عناصر الحداثة في ايران الجرأة في اختراع هذه البدع حول المذاهب وبدأوا حركتهم في البداية بإدعاء المهدوية:" لقد أعلن زعماء البابية والأزلية والبهائية... عن إطاعتهم المطلقة للسفارات الخارجية، كي يصبحوا من خلال ذلك وفي ظل حماية السياسات الأجنبية مجرىً للمخططات والمؤامرات التي تؤدي الى ازدهار أعمالهم من جهة، والى جذب رضا اللاعبين والمخططين السياسيين الأجانب"[3]. وهناك تشابهٌ كامل بين الوضع الإجتماعي والسياسي في عصر القاجارية والأوضاع الإقتصادية والإجتماعية السيئة لشعوب أفريقيا والفقر الفكري الشديد عندهم الذي أدّى الى ادّعاء المهدوية من قِبل عبيد الله المهدي في قيام الفاطميين أو محمد احمد السوداني في السودان.

ولم يغفل البهائيون في استمراريتهم لحركة البابيين، مضافاً الى إدراكهم لنقاط القوة والقدرة في بحث المهدوية بين الناس وقد استفادوا من ذلك في تثبيت قدرتهم، عن استثمار حماية الدول الغربية مثل روسيا وبريطانيا، فعندما كانوا يقعون في دائرة خطر تهديد الناس وعلماء الشيعة كانوا يتلقون المساعدة منهم، بحيث كانت أفكار وآراء فرقة البهائية والأزلية في العصر القاجاري مورد قبول الروس والإنكليز الذين كانوا يتنافسون على حماية وتقوية هاتين الفرقتين:

كان لبهاء علاقات مع الموظفين السياسين الروس في طهران، وهذا ما ظهر عندما سُجن، فعمل الروس على إطلاق سراحه وأرسلوا برفقته غلاماً من طهران الى بغداد. بعد ذلك، أظهرت دولة الإمبراطورية الروسية في السر والعلن علاقتها ببهاء ومجموعته... ومن تلك الجهة، انطلاقاً من أنّ الإنكليز كانوا يروون في الروس منافسين لهم في سياستهم الشرقية، قاموا بدعم ميرزا

1. محمد علي همايون كاتوزيان، اقتصاد سياسي ايران، ترجمه محمدرضا نفيسي وكامبيز عزيزي، الطبعة الرابعة، نشر مركز، تهران، 1373، 103-107.
2. ن.م، ص115.
3. سيدمحمد باقر نجفي، بهائيان، 1357، ص 614 - 615.

يحيى الأزل الذي انفصل عن بهاء.[1]

في الواقع، إنّ الوجه المشترك بين مدّعي المهدوية وأتباعهم هو في أنّ جميعهم استفادوا من أدبيات المهدوية بشكلٍ غير مشروع، وأنّ أحد عوامل رد فعلهم مقابل المشكلات الناشئة عن ورود الحداثة بين المسلمين، كانت في الإستفادة من المهدوية أو اللجوء إليها. وإنّ إلقاء نظرةٍ على كافة العناصر الثقافية من جملتها الفن، العمارة، بناء المدن، الأدبيات، السياسة والمذهب في الجزء الأخير من العصر الصفوي والحقبة القاجارية، ينمّ عن التأثر والإنفعال بعناصر الحداثة في تلك المرحلة.

الإعتقاد الأداتي بالموعود في الغرب: مضافاً الى البحث السابق حول البلاد الإسلامية، من جملة الأسئلة المهمة في الحقل السياسي للعالم الغربي أيضاً هو هل أنّ التوجه والاتجاه المتزايد يوماً بعد يوم للحضارة الغربية نحو أدبيات آخر الزمان[2] والخطاب الديني، دليلٌ على توسع انتشار التدين والتعلق بالمعنوية والإعتقاد بمنجي الأديان، أو في سبيل تحقق أهدافٍ واستراتيجياتٍ عسكرية؟ هناك فرضيتان في هذا الشأن:

1. لا يعني ترويج أدبيات آخر الزمان في العصر الجديد وخصوصاً في العالم الغربي بالضرورة ترويجاً للمباحث الدينية والإعتقاد بالموعود، بل ذلك نوع من إيجاد حلٍّ وسبيلٍ على صعيد العلاقات الدولية من أجل مواجهة الإسلام ومشكلات الشرق الأوسط؛ بحيث أنّ بلداً كأمريكا يسعى على أساس مفاهيم آخر الزمان بطرح بديلاً يهودياً ـ مسيحياً مقابل الأدبيات الإسلامية، لكي يتمّ الإستفادة في حرب الغرب على الإسلام في منطقة الشرق الأوسط من وسيلةٍ دينية. في الواقع، من أهم دوافع هذا الإتجاه، محاولة الخروج من المشاكل الموجودة في العلاقات الدولية واتخاذ استراتيجية فعالة مقابل العالم الإسلامي.

2. إنّ الإلتفات والإهتمام بأدبيات الإعتقاد بالموعود وآخر الزمان والخطاب الديني، دليلٌ على انتشار التدين والميل المعنوي في العالم الغربي وبين عموم الناس، وقد استفزّت تحولات القرن العشرين، خصوصاً الثورة الإسلامية في ايران وانهيار الإتحاد السوفياتي، نوعاً من العودة الى المفاهيم الدينية والميتافيزيقية، حيث نشهد تجلي ذلك في الفن والأدبيات السياسية للغرب. وهذه

1. احمد كسروي، بهايیگری، انتشارات پايدار، تهران، بي‌تا، ص80.
2. يهتم المسيحيون واليهود كالمسلمين بمفاهيم آخر الزمان، وإنّ وجود مفاهيم مثل معرفة الآخرة، معرفة العاقبة، أرماغدون، النجاة، الإعتقاد بالمنجي، عودة المسيح ومفاهيم من هذا القبيل في ثقافتهم وأدبائهم الدينية، بيانٌ على توجههم واهتمامهم بمسألة آخر الزمان. تتمتع هذه الادبيات الدينية في الاديان الإبراهيمية بقوةٍ أدّت الى تشكّل السياسات العربية في المجال السياسي، العلاقات الدولة والبحوث المستقبلية.

الفرضية لديها احتمالين:

الف) التوجه الى المعنوية والعرفان جديد الظهور (معنوية بدون شريعة): بناءً لهذه الفرضية، يميل الناس في المجتمعات الغربية نحو الإتجاهات الدينية التي لا تملك شريعة وجوانب مناسكية وشعائرية، وهم يرتضون بالنِحل والمذاهب التي لا تخلق للإنسان الحداثوي أية محدودية أو تأطير، لأنّ إنسان العصر الجديد لديه روحية الإباحية وهو يسعى لأن يعيش بدون قيود وبدون حضور الأطر الأخلاقية للأديان الإبراهيمية. انطلاقاً من ذلك، ازداد التوجه في العصر الجديد نحو الأديان الهندية، اليوغا، المديتيشن، علم النفس الجديد والأخلاق المافوق دينية.

ب) التوجه الى الأديان الإبراهيمية والنصوص المقدسة (الإتجاه نحو الأديان السماوية): بناءً لهذا الإحتمال، هناك نوع من الرجوع الى الأديان الإبراهيمية وجوانبها المناسكية والشعور بالحاجة الى التعاليم الوحيانية بدون أيّ شائبة سياسية وأغراضٍ مصلحية. يمكن أن يعتقد بعض المفكرين أنّه ازداد في العقود الأخيرة التوجه نحو السنن الدينية بين عامة الناس في المجتمعات الغربية ويتلقون ذلك على أنّه نوعٌ من التديّن بين المجتمعات الغربية. في الواقع، إنّ الأدبيات المطروحة من قِبل الحكّام السياسيين في الغرب، هي تجلٍ وتبلورٍ لإتجاه الناس نحو الدين والمفاهيم المذهبية وإنّ استخدام المفاهيم المتعلقة بالموعود من قِبلهم ليس لأهدافٍ وأغراضٍ سياسية. ولا يخفى أنّه يمكن هنا طرح احتمالٍ ثالثٍ وهو الجمع بين الفرضيتين، بمعنى أنّه مضافاً الى ازدياد التوجه نحو المفاهيم الدينية وآخر الزمان أو النصوص المقدسة بين عامة الناس، لكن السياسيون أيضاً استفادوا من هذه الأدبيات في سبيل التنظير السياسي وفي مجال العلاقات الدولية ويسعون لتحقيق أغراضٍ سياسية.

6. المهدوية بمثابة فلسفة تاريخ

الى جانب النظريات الخمسة الآنفة الذكر، هناك اتجاهٌ آخر وهي النظرية المختارة والتي تتوافق مع النظرة الإسلامية حول فلسفة التاريخ ومستقبل البشرية، وهي تتوجه الى المهدوية بالإتكاء على فهم النصوص الدينية المتمحورة حولها. من وجهة النظر هذه، إنّ الدولة المهدوية العالمية أمرٌ مقبولٌ ومبتنيٌ على التنبؤات الدينية التي أكّد عليها دائماً أئمة الدين والنصوص الدينية على مرّ التاريخ وكانت جزءً من المفاهيم المشتركة لكافة علماء الفرق الإسلامية والأديان الإبراهيمية. إلاّ أنّ قبول هذا المفهوم لا يعني الهروب من التكليف وعدم الإهتمام ببناء المجتمع، بل بمعنى البحث في أمرٍ قطعي الحدوث وأنّها أحد السنن الإلهية الخالدة التي لا تخالف أبداً الجهد الإنساني. فهذا الإمام الخميني من جملة الذين كانوا في مسير تشكيل الحكومة الدينية، ورغم أنّه

كانت تواجهه دائماً في العقود الأخيرة السابقة التحديات والصراعات والأزمات السياسية المهمة جداً، إلاّ أنّه لم يستثمر المهدوية بشكلٍ سطحي ولم يستفد منها استفادةً أداتية، ورغم أنّ الإعتقاد بالمهدوية من لوازمه الفكرية ولوازم أيّ عالمٍ ديني، إلاّ أنّه لم يتساهل ابداً في أداء تكاليفه ووظائفه الدينية ولم يمنعه الإعتقاد بالمهدوية وظهور المهدي عن الحركة وبذل الجهد، بل إنّ قبول المهدوية كان مناطاً فقط بصفته تلقّى ورؤيةٍ حول فلسفة التاريخ في تعاليم الكتاب والسُّنة.

وباللحاظ التاريخي، يمكن اعتبار رؤية العلماء الإسلاميين ومفكرين أمثال النائيني وشريعتي حول المهدوية وفي مواجهة الحداثة، مبتنيةٌ على نظرة فلسفة التاريخ. على سبيل المثال، اعتبر المرحوم النائيني في تقسيمه للسلطنة الى تمليكية وولايتية، أنّ العصمة حافظةٌ للسلطنة الولايتية وهذا المقام متعلقٌ بالإمام المعصوم، وبما أنّ الوصول الى الإمام في هذا العصر غير مقدور عليه، فيتعلق هذا المقام بالإضطرار بالحكّام الآخرين[1] ويعطي الأهمية في هذا المسير الى الإشراف والنظارة المؤسساتية مثل المجلس أو الدستور:

وفي هذا العصر، حيث أنّ يد الأمة قاصرة عن حياض العصمة ومقام الولاية ونيابة النواب العاميين في إقامة الوظائف الآنفة الذكر مغصوبة وانتزاعها غير مقدور عليه، أليس إرجاعها من النحو الأولي الذي هو ظلمٌ زائدٌ وغصب بغصب، الى النحو الثانوي وتحديد استيلاء الجور بالقدر الممكن، واجبٌ؟ أو أنّ مغصوبية المقام، موجبٌ لسقوط هذا التكليف؟[2]

وهو رغم اعتباره أنّه في زمن الغيبة لا تتوفر الشرعية الذاتية لأيّ حكومةٍ، وأنّ الفقهاء هم خلفاء الإمام في عصر الغيبة:" ولقد اعتبرنا أن نيابة فقهاء عصر الغيبة في ذلك (الوظائف الحسبية)، قدرٌ متقين وثابت... وإنّ أهمية الوظائف العائدة الى حفظ ونظم الممالك الإسلامية من بين كافة الأمور الحسبية من أوضح القطعيات، لهذا سوف يكون ثبوت نيابة الفقهاء والنواب العاميين في عصر الغيبة في إقامة الوظائف المذكورة من قطعيات المذهب"[3]، إلاّ أنّه كان يقول في عصر المشروعية والتي كانت أكثر المواجهات المباشرة بين الثقافة الإسلامية والحداثة والغرب جدّيةً، وبالإتكاء على المباني الفقهية، بالتوافق والتلاؤم بين الدين والحداثة والعناصر الجديدة التي أدخلها المفكرون الى الأدبيات السياسية في ايران. فهو بناءً لإعتقاده بأصالة البراءة، أصالة

1. الميرزا محمد حسين النائيني، تنبيه الأمّةوتنزيه الملّة، تصحيح سيد جواد ورعي، بوستان كتاب، قم 1382، ص 40 - 50.
2. ن.م، ص58.
3. ن.م، ص76.

الحلية، أصالة الطهارة، وباقي الأصول الفقهية العامة، كان يعتبر أنّه طالما عناصر الحداثة مثل الجمهورية، البرلمان، الإصلاح وغيره غير مخالفة للإسلام، فهي اسلامية وانطلاقاً من ذلك استطاع إيجاد التلاؤم والإنسجام بين الدين وعناصر الحداثة. وكان يعتقد احمد كسروي أنّ علماء الشيعة وبسبب اعتقادهم بالمشروعية المنحصرة في حكومة الأئمة، فهم مخالفون دائماً لأيّ مفهومٍ حول الدولة والنظام السياسي.[1] لكنّ النائيني ورغم وجود هذا الإعتقاد ومشروعية دولة الإمام المهدي4، استطاع إيجاد التوافق بين الدين والحداثة واستطاع المواءمة بين المفاهيم التي أتى بها المفكرين الذين تعلّموا في فرنسا وأدخلوها الى الأدبيات السياسية في ايران مع المفاهيم والأفكار الدينية. طبعاً، هو ببيان المنام الذي رآه وجواب صاحب العصر4 حول المشروطة، يبيّن عقيدته حول الوضع السياسي لعصره، وذلك مبنيٌ على جواب الإمام:"المشروطة كأمةٍ سوداء ملوثة اليد، فتجبرها على أن تغسل يدها"[2]، حيث أنّ سواد الأمّة كناية عن غصب أصل الحكومة والمشروطة تريد إزالة ذلك الاصل، ولهذا شبهها بغسل اليد السوداء، والمشروطة لا تزيل سوى جزءً من هذا السواد.

كذلك يقوم شريعتي أمام الشيوعيين الذين يقدّمون المجتمع الإشتراكي بصفته المجتمع المثالي، ويطرح الثقافة الإسلامية والمجتمع المهدوي بديلاً لذلك. في الواقع، سعى شريعتي كي يجعل من الإسلام وبحث المهدوية ايدئولوجيةً مقابل الفكر الحداثوي ـ الشيوعية والليبرالية وليدا الحداثة ـ:" إنّ ما أتمناه وأبحث عنه هو العودة الى الإسلام بصفته ايديولوجية وإنّ ما هو مطروحٌ الآن بين علمائنا ومجامعنا الدينية الجادة والعلمية، الإسلام كثقافة"[3] ولا يخفى أنّها خطأ تتناول المجتمع المهدوي بمساعدة الأدبيات الشيوعية، لكن كان الأساس في طرح المجتمع المهدوي مقابل الشيوعية التي تشكّل الى جانب الليبرالية النتيجة المنطقية لعصر الحداثة، محاولةٌ لطرح المهدوية بصفتها فلسفة التاريخ. ويعتقد حميد عنايت حول طرح المهدوية من قِبل شريعتي أنّه أراد من خلال التفاؤل المتلازم مع إنتظار الظهور وفرج الشيعة القائلين بالسعادة العالمية النهائية، بدلاً من (جبرانكاري) ماركس وذلك لأجل التنبؤ بنتيجة الصراع بين هذين القطبين – قصة هابيل وقابيل أو طبقة المترفين في مقابل الله والناس ـ . فطبقاً لوجهة نظر شريعتي، لا ينتهي هذا الصراع إلا بثورةٍ (جبري) تبني النظام الهابيلي. في عالمٍ يتقابل فيه نظام الوحدة الإنسانية والشرك، الدين الواعي

1. احمد كسروي، دين وسياست، تهران، 1348، ص1.
2. ن.م، ص79.
3. علي شريعتي، اسلام شناسي، انتشارات حسينيه ارشاد، تهران، س1350، ص96.

والتحرك والثورة مقابل دين الخداع والتخدير وتبرير الوضع الموجود، نظام الوحدة والعدالة الإنسانية مقابل التمييز الطبقي والعنصري.[1]

بناءً على ما سبق، يمكن اعتبار فكر النائيني وشريعتي بصفته مصداقاً تاريخياً في طرح المجتمع المهدوي، وبصفته سبيل حلّ وردّ فعلٍ مقابل عالم الحداثة، حيث أنّهما تناولا المهدوية لجهة أنّها فلسفة تاريخ. انطلاقاً من هذا الإتجاه، يكون الإعتقاد بالمهدوية مفهوماً اعتقادياً أعلى من أي نوع تخطيطٍ واستراتيجيةٍ سياسية، ويستطيع أن يساعد في تقديم وطرح سبل الحلّ والنظريات للمجتمعات الإسلامية. ولا يخفى أنّه لا يجب على المسلمين أبداً أن يغفلوا عن الجوانب الضارة لهذا المفهوم في المجالات الإجتماعية، السياسية والنفسية وكان تاريخ الحضارة الإسلامية دائماً شاهداً على ذلك حيث يجرّ الفهم الخاطئ للمهدوية الى إنحرافاتٍ وهذا ما يتطلب من علماء الدين إظهار فهمٍ ثابتٍ حول مفهوم المهدوية.

النتيجة

في مواجهة الحضارة الإسلامية للثقافة الغربية، قدّم العلماء الإسلاميين في مقابل سرعة التحولات الناتجة عن عصر الحداثة وفي مقابل الأسئلة المطروحة من قبل العصر الجديد، حلولاً للمجتمعات الإسلامية، وصدرت عنهم ردود أفعالٍ أكّدت على مسألتين مهمتين، الأولى أنّ مواجهة أغلب العلماء والمفكرين المسلمين للحضارة لغربية والثقافة الناتجة عن الحداثة، كانت مواجهة انفعالية وقبولٍ لها، والقليل منهم ممن سعى عبر نظرةٍ انتقادية الى طرح نموذجٍ مستقلٍ، وكان يُرى دائماً نوعاً من الفكر التجميعي والتركيبي بين العناصر الإسلامية ـ الغربية في أفكارهم؛ والثانية أنّه على رغم حضور مسألة المهدوية في بعض الحلول بصفتها أحد العناصر الإسلامية الصحيحة في التحقيقات الدائرة حول المستقبل وفلسفة التاريخ، وبصفتها أهم العناصر الفكرية للمسلمين المقبولة، لكنّ ليس هناك تطابق بين التلقي حول المهدوية الموجود في بعض النظريات مع ماهو مذكور في المتون الإسلامية، ولم يتم كذلك الإستفادة من هذا المفهوم الإسلامي كما ينبغي ويستحق. ويبدو أنّه من الحق عند تقديم نموذجٍ مناسبٍ ووضع أسس نظريةٍ محكمة، وضع مفهوم المهدوية في مكانه الصحيح واللائق واستثمار ما يمتلكه من قدراتٍ في بناء الثقافة والحضارة الإسلامية، وذلك بعد التعرف الصحيح على المهدوية.

1. حميد عنايت، انديشه سياسي در اسلام معاصر، ص273.

دور مسألة الانتظار في تشكيل النظام السياسي للجمهورية الإسلامية

الدكتور جواد جعفري

الخلاصة

يُسعى في هذه المقالة، بمحورية كلام حضرة الإمام الخميني القائد و الباني العظيم للثورة الإسلامية الايرانية، إلى بيان دور مسألة الانتظار في تشكيل النظام السياسي للجمهورية الإسلامية. وبالالتفات إلى بياناته يتضح لنا المشهد والرؤية، والنضال المثالي لاستتباب النظام السياسي الإسلامي في ايران، وهو في الحقيقة تمهيد لظهور الإمام الغائب حضرة الحجة بن الحسن العسكري "عجل الله تعالى فرجه الشريف" ويعتبره الإمام الصاحب الأصلي لهذه الثورة، ويعتبر ان هذا النظام أمانة ينبغي تسليمها إلى صاحبها الأصلي. وقد طلب الإمام الخميني من المسؤولين والناس أن يعتبروا أنفسهم في محضر إمام العصر4" وان تكون تمام تخطيطات وإجراءات الحكومة والناس في خط تحقق دولة الإسلام العالمية.

كلمات مفتاحية: الثورة الإسلامية الإيرانية، التمهيد للظهور، الإمام المهدي4، الإمام الخميني;.

المقدمة

بلا شك إن الثورة الإيرانية المجيدة هي حدث عظيم في العالم المعاصر، تمكنت من تغيير الكثير من الاعتقادات. فالثورة الإسلامية الإيرانية كانت ثورة عقائدية اكثر من كونها ثورة سياسية. إحدى علائم صدق هذا الادعاء هي التأثيرات العميقة للاعتقادات الدينية في هذا النهوض العظيم. ومن هذا الاعتقادات: الاعتقاد بالمهدوية والانتظار التي لها دور لا مثيل له. لمعرفة

دور الانتظار في تشكل النظام المقدس للجمهورية الإسلامية يمكننا أن نطرح سؤال مهم . ما هو المشهد او الرؤية التي رسمها إمام الثورة الإسلامية الإيرانية الراحل الخميني الكبير لنفسه، وما هو المبدأ الذي اقره لذلك؟ الإجابة على هذا السؤال تظهر أن " مُثل الثورة الإسلامية" ليست منحصرة في تأسيس نظام سياسي فحسب.

تجدر الإشارة إلى أن عقيدة المهدوية، نظرة نحو المستقبل وهي في الحقيقة، تمتلك نهج تطلعي. في هذه العقيدة، العالم في الماضي والحال والمستقبل حركة هادفة نحو الكمال، ويرثه في النهاية الصالحون، وان إمام العصر4 الذي سيظهر بعد سنوات غيبته ليملا العالم قسطا وعدلا.

الثورة الإسلامية الإيرانية بسبب بنيانها التاريخي والديني وقيادة الإمام الخميني; لها رسالة تاريخية،ولا يمكن التعمق فيها من خلال التحليل الظاهري وملاحظة اوجه القصور والضعف للحكومات البائدة فقط. وان كان في كثير من الموارد الأنشطة المعادية للدين والمشكلات الاقتصادية والسياسية والثقافية لحكومة البهلوي قد كانت مسرعة لانشطة المناضلين الثوريين ومقوية لحافز ازالت ومحو حكومة الطاغوت تلك، ولكن العناية برؤية مؤسس الثورة الإسلامية الذي كان يمتلك فكر جامع ورؤية إلهية يمكننا أن نعرض نتائج أدق واهم من تلك السابقة.

في بعض التحاليل حول علل ومحفزات الثورة الإسلامية نجد أن بعض المحققين يخوضون بكلام الإمام; بشكل جزئي من دون تحديد الأولويات. فالعوامل المحفزة لظهور الثورة الإسلامية التي ذكرت في تلك التحليلات من وجهة نظر الإمام "رضوان الله عليه" والتي استندت إلى تصريحاته الواضحة هي أوضاع ومشاكل ما قبل الثورة وضعف النظام الطاغوتي، بعبارة أخرى، بهذا البيان وهو بيان سلبي، إن; قد أحصى بعض خصائص المجتمع المثالي الخالي من هكذا مشاكل وضعف والممهد للحياة الطيبة للإنسان. وعليه فمن الطبيعي انه لا يمكن اعتبار رفع هذه الموانع هو الهدف الغائي والأفق المتعالي للثورة الإسلامية فقط، لانه ما دام لم يطرح بديل إيجابي فان الكلام عن الغاية والاستشراف آمر لا معنى له.

السؤال هنا: ما هي المعنوية المضافة والهدف الغائي لحاكمية الإسلام؟ وبكلام أخر، ما هي وجهتنا بعد حاكمية الإسلام؟ ما هو هدف الإمام; من طرح أن حاكمية الإسلام المحمدي الأصيل هو أهم محفزات الثورة؟ الإجابة على هذه الأسئلة يمكن أن تقودنا إلى ما ترمي إليه الثورة الإسلامية الإيرانية. في الواقع، ستكون حاكمية الإسلام والقيم الإسلامية نوع من رسالة ومهام الثورة، وينبغي بالتدبر اكثر في أراء وأفكار الإمام الخميني; أن نصل إلى تلك الغاية

الأصلية التي هي بحكم رؤية[1] الثورة الإسلامية.

نظرية الإمام: "بالنسبة إلى رؤية الثورة الإسلامية"

بعد انتصار الثورة الإسلامية كان الإمام: "يذكر أن أسباب القيام والهدف من الثورة الإسلامية، هو الاضطرابات والنواقص ومشكلات الحكومات البائدة وخاصة حكومة البهلوي، عندها ذكر المحققون والباحثون أن هذه الموارد هي المحفزات الأساسية للقيام.

ولكن يجب أن نعلم أن نظرية ولاية الفقيه هي الباعث الأساسي لحركة الإمام: ". الولي الفقيه والذي يعتبر نائب إمام العصر4 في حال الغيبة، وظيفته أن يدير المجتمع الإسلامي وفقاً لمبادئ الإسلام المحمدي الأصيل للتمهيد لظهور إمام الزمان4". بعبارة أخرى، رؤية وتطلع الثورة الإسلامية هي تحقق مجتمع العدل المهدوي، فالثورة الإسلامية هي فقط مرحلة عابرة لتحقق المجتمع الموعود وهي في حكم نقطة البداية للحركة نحو الظهور.

الجدير بالذكر أن هذا النوع من كلام الإمام: "الذي يشير أن المشكلات والنواقص الاختلالات لحكومة الطاغوت تحكي عن عزم الحكومة القادمة لإزالة تلك النواقص والاختلالات اعم من الفساد الأخلاقي والمشكلات الاقتصادية والظلم، لا تتناقض مع بيان أن هدف الثورة الإسلامية هو التمهيد لظهور حضرة إمام الزمان4". ففي المجتمع الموعود يتحقق كل شيء على مبدأ الحق والعدالة بالمعنى الأتم والأكمل.

رأي حضرة الإمام الخميني: هو أن الحكومة أمانة يجب أن نسلمها إلى صاحبها الأصلي، وان نسعى في سبيل حفظها وتقويتها، هناك تعابير كثيرة له: في هذه المقولة مثيرة للاهتمام . فتعبير حضرة الإمام: أن الثورة الإسلامية أمانة صاحبها حضرة الحجة4، تحكي أن: حمل لواء قيام "15 خرداد" في فضاء المهدوية والظهور، لا مقابلها. بلا شك إن قصد الإمام الراحل من طرح الأمانة وصاحب الأمانة في مورد الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ليس عرضاً أو أمراً دعائياً أو مجاملة سياسية، بل كان يقصد بالتالي بيان أن الآفاق، استراتيجيات، والتخطيطات الدينية ـ السياسية لهذا النظام واتساقها مع الدولة المهدوية الكريمة.

هنا بعض كلامته: التي تشير بوضوح إلى هذا الأمر:

ـ يحدوني الأمل أن تبقى هذه الروحية الإسلامية والتوحيدية القوية في البلاد ونسلم هذا البلد إلى صاحبه الأصلي إمام الزمان ـ سلام الله عليه ـ

1. Vision.

إن شاء الله.[1]

ـ أرجو أن تظل هذه البلاد بنفس القوة والالتزام والوعي الذي ثارت به منذ البداية ووصلت به إلى ما وصلت إليه وأن تستمر هذه النهضة والثورة إلى ظهور صاحبها الأصلي إن شاء الله حتى نسلّم إليه هذه الأمانة.[2]

ـ آمل من الله تعالى أن يمنحنا التوفيق كي نتمكّن من تحقيق هذا الهدف الذي هو هدف الأنبياء، ونحن سنوصل هذه القافلة إلى مقصدها إن شاء الله، ونسلّم هذه الأمانة إلى صاحبها.[3]

الكلام الواضح والجلي لحضرة الإمام؛ حول جعل الثورة الإسلامية في خط ظهور حضرة ولي العصر4 بهذا المعنى: الثورة الإسلامية تمهيد لوعي ونهوض عموم الناس وكل مسلمي العالم للحركة نحو تحقق مجتمع الظهور. تأكيده; على أن الثورة الإسلامية، ثورة عالمية وليست منحصرة في ايران بل هي نداء لكل مظلمي العالم.

تصدير الثورة، وهي إحدى أولويات الثورة الإسلامية، تعبير عن نظر الإمام; عن حكومة العدل العالمية،حكومة حضرة ولي العصر4" . حتى انه; ينبه مسئولي الجمهورية الإسلامية أن لا يصرفهم الاهتمام بالمسائل الاقتصادية والرفاهية للناس عن الهدف العالي للثورة:

ليعلم المسؤولون بأنه إذا ما أعاقتهم المسائل الاقتصادية والمادية عن أداء المهام الملقاة على عاتقهم ولو للحظة واحدة، فسيترتب على ذلك خطر عظيم وخيانة كبرى. لذا يجب على حكومة الجمهورية الإسلامية أن تبذل كل ما في وسعها في تلبية احتياجات الشعب على أفضل نحو، غير أن ذلك لا يعني إغفال أهداف الثورة العظيمة الممثلة في إقامة حكومة الإسلام العالمية.

إن الشعب الإيراني العزيز، الذي يمثل بحق الوجه المضيء لتاريخ الإسلام العظيم في عصرنا الحاضر، يجب أن يتحمل الصعاب والمعاناة من أجل الله تعالى كي ينسنى لكبار المسؤولين العمل بواجبهم الرئيسي المتمثل بنشر الإسلام في العالم.[4]

من وجهة نظر الإمام الخميني;، الثورة الإسلامية، أمانة إلهية لتحقق هدف أعلى وهو تشكيل الحكومة العالمية لحضرة ولي العصر4. وبالالتفات إلى بياناته; يمكن أن نبين القضايا والبيانات المفتاحية لهذه النظرية وهي كالتالي:

1. صحيفة الإمام، ج16، ص183.
2. نفس المصدر، ج15، ص385.
3. نفس المصدر، ج19، ص209.
4. نفس المصدر، ج21، ص327.

حضرة الإمام يعرف حضرة ولي العصر4" بالصاحب الأصلي لهذه الثورة[1]. الإمام الخميني:" وبوجهة النظر هذه يوضح الطريق المستقبلي للجمهورية الإسلامية وهو التعلق بالبعثة وولاية الإنسان الكامل. القائد الراحل للثورة الإسلامية يوجه تنبيه إلى مسئولي النظام أن لا يوجه أي خلل أو خدش إلى الأحكام الإسلامية في نظام الجمهورية الإسلامية لان في ذلك لن يكون هكذا نظام مقبول من حضرة ولي العصر4. [2]

وهنا بعض كلماته في هذا المجال:

سندكم هو الله تبارك وتعالى وصاحب هذه البلاد هو إمام الزمان سلام الله عليه.[3]

بالتوكل على الله تبارك وتعالى وتسديد صاحب هذا البلد إمام الزمان (سلام الله عليه) حتى تصلوا به إلى النهاية وسوف تصلون.[4]

أرجو أن تظل هذه البلاد بنفس القوة والالتزام والوعي الذي ثارت به منذ البداية ووصلت به إلى ما وصلت إليه وأن تستمر هذه النهضة والثورة إلى ظهور صاحبها الأصلي إن شاء الله حتى نسلّم إليه هذه الأمانة.[5]

نأمل من الله أن يزيد من إيماننا كلنا. وأن يقويكم في هذين القطبين المعنوي والمادي. وأن ينفذ الإسلام، إن شاء الله من شر جميع الأقوياء. وأن يبقى إن شاء الله هذا التحول الموجود في إيران. وأن يستطيع هذا الشعب أن يسلّم هذا البلد إلى إمام الزمان كما ينبغي إن شاء الله.[6]

نرجو أن ينقذنا الله من القيود الشيطانية حتى نتمكن من تأدية هذه الأمانة الالهية وإيصالها إلى المقصد وأن نسلمها إلى صاحب الأمانة المهدي الموعود- أرواحنا لمقدمه الفداء.[7]

آمل من الله تعالى أن يمنحنا التوفيق كي نتمكّن من تحقيق هذا الهدف الذي هو هدف الأنبياء، ونحن سنوصل هذه القافلة إلى مقصدها إن شاء الله، ونسلّم هذه الأمانة إلى صاحبها.[8]

ونرجو أن تستمر حتى النهاية (محاربة الظالمين و...) دون أن يتخللها

---

1. هذا البلد بلد الائمة وبلد صاحب الزمان - سلام الله عليه - بلد يتابع استقلاله حتى ظهور الموعود، ولتكن قدرته في خدمة ذلك العظيم. (صحيفة الامام، ج14، ص309)
2. انهم يريدون الاستقلال يريدون الحرية يريدون الجمهورية الاسلامية؛ الجمهورية التي يجب ان يكون اساسها قائما على الاسلام وان تكون جمهورية يقبلها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وامام الزمان روحي له الفداء -. فاذا تعرضت احكام الاسلام لخدشة واحدة فلا النبي سيقبل ذلك ولا ائمتنا (صحيفة الامام، ج16، ص279)
3. صحيفة الإمام، ج15، ص 193.
4. نفس المصدر، ج14، ص330.
5. نفس المصدر، ج15، ص385.
6. نفس المصدر، ج16، ص183.
7. نفس المصدر، ج18، ص472.
8. نفس المصدر، ج19، ص209.

ضعف أو وهن حتى يتم إن شاء الله تسليم الراية إلى صاحب الأمر.[1]
أطلب من الله تعالى أن يوفق هذا الشعب لتحقيق أهدافه المنشودة ببركة الأئمة الأطهار خاصة الإمام صاحب العصر والزمان "عجل الله فرجه الشريف"؛ لأنّ هذه الدولة دولته.[2]

فضية 2. تاسيس الجمهورية الإسلامية بمثابة مقدمة لا هدف

يعتبر الإمام: ان الثورة الإسلامية مقدمة لحكومة اهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام ويعتبر ذلك نقطة البداية. وقد نبّه: مرارا ان لا ينحرف مسير الثورة زان نتصور ان الثورة الإسلامية قد وصلت تطلعاتها.

لي الامل ان تكون هذه الثورة ثورة عالمية وتكون مقدمة لظهور الإمام بقية الله ارواحنا له الفداء.[3]
ثورة الشعب الإيراني هي نقطة انطلاقة ثورة العالم الإسلامي الكبرى التي يحمل لوائها الإمام الحجة أرواحنا فداه.[4]
... وأن نطبّق الإسلام إن شاء الله- في هذه البلاد كما هو وأن يطبق مسلمو العالم الإسلام في بلادهم وأن يكون العالم عالم الإسلام وأن يزول الظلم والجور والقهر من العالم وأن يكون ذلك تمهيداً لظهور ولي العصر أرواحنا فداه.[5]
ثورة الشعب الإيراني هي نقطة انطلاقة ثورة العالم الإسلامي الكبرى التي يحمل لوائها الإمام الحجة أرواحنا فداه-، إذ نسأل الله تعالى أن يمن على جميع المسلمين وشعوب العالم بأن يجعل ظهوره وفرجه في عصرنا الحاضر.[6]
أرجو أن تكون هذه الثورة شرارة بل نوراً إلهيا يؤدي إلى تحول عظيم في الشعوب المظلومة وأن ينتهي إلى شروق فجر ثورة بقية الله المباركة- أرواحنا لمقدمه الفداء.[7]
يحدوني الأمل ان تحقق هذه الجمهورية الإسلامية هدفها وتستمر حتى ظهور إمام الزمان- سلام الله عليه.[8]

فضية 3. هدف وافق الثورة الإسلامية، تشكيل حكومة اسلامية بقيادة امام الزمان4

استراتيجية البنّاء الكبير للثورة الإسلامية، الاستشراف وبعبارة اصح: بناء المستقبل وهذا الموضوع يعتبر أس موضوعات الإسلام الأصيل . نظر الإمام

1. نفس المصدر، ج21، ص4.
2. نفس المصدر، ج20، ص473.
3. نفس المصدر، ج16، ص131.
4. نفس المصدر، ج21، ص327.
5. نفس المصدر، ج15، ص 282.
6. نفس المصدر، ج21، ص327.
7. نفس المصدر، ج15، ص62.
8. نفس المصدر، ج16، ص174.

الخميني، الغائي للثورة الإسلامية، تعبير عن نكته أن الثورة يمكن أن تصل إلى غايتها النهائية فقط في تشكل الحكومة الإسلامية بإمامة حضرة ولي العصر4 حيث أنها تسعى بشكل مستدام في سبيل التمهيد لاستقرار هذه الحكومة في العالم .

إن أساس واهم موضوع في الإسلام الخالص، عرض الهدف. الإمام الراحل، مروج الإسلام الخالص والمشتاق للتمهيد لظهور إمام الزمان4 يعتبر أن أفق الإسلام الخالص في التمهيد للحكومة الإسلامية الكبيرة واتصالها بالظهور، ويعتبر طرح هذا الأمر المهم وظيفة الحوزات العلمية، الجامعة، والمؤسسة المقدسة للتعبئة. تكرار هذه المخاوف في كلامات حضرة الإمام، على طول السنوات بعد انتصار الثورة وفي مناسبات مختلفة وعلى وتيرة ثابتة حكاية عن هذا الموضوع:

ينبغي للحوزة العلمية والجامعة وضع الأطر الأصيلة للإسلام المحمدي الأصيل تحت تصرف البسيجيين كافة. كما يجب على بسيجي العالم الإسلامي التفكير بتشكيل الحكومة الإسلامية الكبرى وهو أمر ممكن، لأن البسيج لا يقتصر وجوده على إيران الإسلامية. فلا بد من تشكيل خلايا المقاومة في مختلف أنحاء العالم والتصدي للشرق والغرب. لقد برهنتم خلال الحرب المفروضة بأن الإسلام قادر على فتح العالم بالإدارة الصحيحة والجيدة. وعليه يجب أن تعلموا بأن مهمتكم لم تنتهِ بعد، الثورة الإسلامية العالمية بحاجة إلى تضحياتكم. وان يوسع المسؤولين ومن خلال دعمكم ومساندتكم فقط البرهنة لجميع المتعطشين للحقيقة والصدق، بأنه بالإمكان تحقيق الحياة الكريمة المقرونة بالسلام والحرية، بمعزل عن أميركا والاتحاد السوفيتي إن تواجدكم في ميادين الصراع يؤدي إلى اجتثاث الجذور المعادية للثورة في مختلف المجالات.[1]

سيحافظ الشعب الإيراني البطل إن شاء الله على حماسه وغضبه الثوري المقدس ولن يتوانى عن اضرام النار الحارقة للظلم ضد روسيا المجرمة وأميركا الناهبة للعالم وأذنابهم حتى ترفرف بلطف الله العظيم راية الإسلام المحمدي الأصيل صلى الله عليه وآله وسلم عالياً في أنحاء العالم ويرث المستضعفون والحفاة والصالحون الأرض.[2]

كلّنا ننتظر الفرج، وعلينا أن نُمهّد لهذا الفرج، فانتظاره انتظار لقدرة الإسلام، ويجب أن نسعى لنتجلّى هذه القدرة في العالم، ونتهيّأ مقدّمات الظهور.[3]

علينا في مثل هذه الايام، أيام الله، ان ننتبه ونعمل على اعداد أنفسنا لظهور الإمام.[4]

---

1. نفس المصدر، ج21، ص195.
2. نفس المصدر، ج21، ص155.
3. نفس المصدر، ج8، ص384.
4. نفس المصدر، ج12، ص 482.

اليوم يوم يجب فيه طرح لباس حب الدنيا عن الجسد، وارتداء درع الجهاد والمقاومة، والسير قُدماً في آفاق طليعة الفجر حتى شروف الشمس وصيانة دماء الشهداء.[1]

من وجهة نظر حضرة الإمام؛ يجب ان يكون مسير حركة وسعي الناس وتمام المسؤولين نحو تحقق امر الظهور وتسليم الامانة إلى صاحبها الأصلي، بعض المتطلبات التي تطرح في فكره في هذا المجال يمكن بيانها كالتالي:

الف) التمهيد للظهور

بيان الإمام؛ عن الانتظار بنّاء وصحيح ونظره ان التمهيد للظهور واجب على كل المسلمين وهذا علامة عن رايه بأن الثورة الإسلامية ارضية مناسبة لتمهيد الظهور[2]. ويقول حضرته؛ في هذا المجال:

كلّنا ننتظر الفرج، وعلينا أن نُمهّد لهذا الفرج، فانتظاره انتظار لقدرة الإسلام، ويجب أن نسعى لنتجلّى هذه القدرة في العالم، وننهيّأ مقدّمات الظهور.[3]

كان الإمام الخميني؛" يؤكد بصورة دائمة بان التمهيد للظهور وظيفة وواجب عام وبالخصوص كان يطلب من المسؤولين الالتفات إلى هذا الموضوع بصورة خاصة:

الاول. في لقائه مع ائمة الجمعة:

حاولوا ان تدرسوا ما تريدون قوله في خطبكم. أمل ان ينتشر الاسلام على

1. نفس المصدر، ج21، ص12.
2. علينا أن نعمل للقضاء على الظلم والجور في أي مكان من العالم إذا كان في مقدورنا ذلك. إن تكليفنا الشرعي يدعونا إلى ذلك ولكن ليس بمقدورنا. وسيأتي الإمام المهدي ليملأ الارض قسطاً وعدلاً، غير أن ذلك لا يسقط التكليف عنكم بأن تكفوا عن أداء واجبكم. نحن لدينا تكليف، ومَنْ يقول بعدم ضرورة الحكومة فهذا يعني أن تكون هناك فوضى. فإذا ما غابت الحكومة فسوف يعم الفساد البلاد بنحو ليس له حدود. فأي عاقل يقبل أن يظلم الناس بعضهم البعض الاخر كي يمهدوا لظهور صاحب الزمان!! و ماذا سيفعل صاحب الزمان حين يأتي؟ ألبس القضاء على الظلم وبسط العدالة. فالإنسان إن لم يكن سبقهاً ولا معرضاً ولم يكن العقوبة بيد الاخرين، لن يقبل بمثل هذه الافكار.
أجل، ليس بمقدورنا أن نعمل على سيادة العدل في العالم أجمع، ولو كان بمقدورنا ذلك لفعلنا. ولأننا لا نستطيع أن نفعل ذلك فلا بد من ظهور الإمام المنتظر. العالم اليوم يسوده الظلم ونحن في نقطة من هذا العالم. وإذا كان بمقدورنا التصدي للظلم يجب أن لا نتهاون في ذلك، لأنه واجبنا. الإسلام والقرآن حدد مسؤولياتنا وسن لنا واجباتنا ولكن لا نستطيع نشر العدل في العالم بأسره ولا بد من ظهوره - سلام الله عليه -. ولكن يجب أن نمهد الطريق له. يجب أن نوفر الاسباب التي تعجل في ظهوره. علينا أن نعمل على تهيئة العالم لظهور الإمام المهدي الموعود - سلام الله عليه -.
على أية حال أن كل هذه المصائب دخيلة على المسلمين وأن القوى الخارجية تعمل على اشاعتها لكي ينسى لها نهب ثرواتنا والقضاء على عزة المسلمين. وللأسف أن الكثير من المسلمين آمنوا بذلك. وربما نجد الان من يؤمن بعدم ضرورة اقامة حكومة، لان الحكومة يجب أن تكون في عصر الإمام الحجة، وان كل حكومة تقوم في غير عصره تعتبر باطلة، حسب تصورهم. فأمثال هؤلاء يرون ضرورة إشاعة الفوضى واضطراب العالم، حتى يأتي الإمام المهدي لإصلاحه!!
3. صحيفة الإمام، ج8، ص374.

ايديكم كي يكون ذلك مقدمة لظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.[1]

الثاني. تنبيه للمسؤولين

وليعلم مسؤولونا بأن ثورتنا غير مؤطرة بحدود ايران، وانما ثورة الشعب الإيراني هي نقطة انطلاقة ثورة العالم الإسلامي الكبرى التي يحمل لوائها الإمام الحجة أرواحنا فداه- إذ نسأل الله تعالى أن يمن على جميع المسلمين وشعوب العالم بأن يجعل ظهوره وفرجه في عصرنا الحاضر.[2]

الثالث. الاجهزة الحكومية

على جميع الاجهزة التي تمارس مهامها في البلاد ـ وآمل ان يتسع ذلك ليشمل سائر البلدان ـ الاهتمام بهذا المعنى واعداد أنفسهم للقاء الإمام المهدي سلام الله عليه.[3]

ب) تصدير الثورة

بتحليلنا لفكر حضرة الإمام؛ يمكن أن ندرك هذه المسالة ان؛ لا يعتبر الثورة الإسلامية مؤطرة في بلد واحد أو عند شعب خاص، فقد كان يعتبرها عالمية، وتاكيده على أن الثورة الإسلامية غير مؤطرة بايران وحتى بالدول الإسلامية إشارة على أن تحقق حاكمية الإسلام العالمية بقيادة إمام الزمان4 مستلزمة للتمهيد العالمي وينبغي على كل مستضعفي العالم أن يخطو قدما في سبيل ذلك. ويقول حضرته في هذا المورد:

آمل أن تتصل هذه الثورة بظهور الحجة، إمام العصر والزمان سلام الله عليه، وأتمنى أن يتم تصدير هذه الثورة لجميع أنحاء العالم للأخذ بيد المستضعفين ونصرتهم.[4]

سوف نقوم بمشيئة الله تعالى بقطع أيادي الظالمين في الدول الاسلامية، وننهي سيطرة وظلم المستكبرين بتصدير الثورة التي تعتبر في الحقيقة تصديراً للاسلام الأصيل، وسوف نمهد الطريق لظهور منجي البشرية ومصلح العالم الإمام صاحب الزمان ارواحنا فداه.[5]

ان الثورة الايرانية لا تختص بإيران وحدها، فالإسلام ليس حكراً على طائفة دون أخرى. بل هو للبشر كافة وليس للمسلمين ولايران فقط. فالأنبياء بعثوا للناس جميعاً، وكذلك نبي الإسلام6 كان خطابه موجهاً للناس

1. نفس المصدر، ج16، ص261.
2. نفس المصدر، ج21، ص327.
3. نفس المصدر، ج12، ص384.
4. نفس المصدر، ج13، ص119.
5. نفس المصدر، ج20، ص354.

جميعاً (يا أيها الناس). وثورتنا كانت لأجل الإسلام، وجمهوريتنا جمهورية إسلامية، والثورة التي تقوم لأجل الإسلام لا يمكن أن تكون محصورة في بلد من البلدان أو حتى في البلدان الإسلامية، لأنها امتداد لخط الأنبياء وثورتهم. وثورة الأنبياء لم تكن خاصة بمكان معين، فالنبي الأكرم كان من جزيرة العرب. ولكن دعوته ورسالته لم تكن محصورة بالجزيرة العربية وانما كانت للعالم أجمع.[1]

إن الثورة الإيرانية المقدسة ثورة إسلامية، ومن هنا فإنه من الطبيعي أن يتأثر بها جميع المسلمين في العالم.[2]

أتمنى ـ كما قلتم ـ أن ترفعوا راية الجمهورية الإسلامية في البلدان الأخرى ايضا. أملي أن ينتصر المستضعفون على المستكبرين تحت راية الإسلام.[3]

الإمام; في نهاية مقدمة وصيته كتب:

ينبغي ان اذكر هنا بأن وصيتي السياسية الإلهية ليست موجهة للشعب الإيراني المجيد فحسب، إنما هي تذكرة لجميع الشعوب الاسلامية والمظلومين في العالم على اختلاف قومياتهم ومذاهبهم.[4]

ج) كسب رضى امام الزمان4

في فكر الإمام الخميني;، وظيفة كل الناس والمسؤولين السعي إلى كسب رضى إمام العصر4 الصاحب الأصلي للحكومة الإسلامية، تاكيده المكرر في هذا المجال لكل طبقات المجتمع وخاصة إلى طبقة المسؤولين عمال الحكومة الإسلامية. إشارة إلى الأهمية الخاصة التي يوليها لهذا المورد. ونرى ذلك أيضا فيما يشير إليه; في بياناته لعامة الناس إلى مقولة الانتظار البنّاء وأمور من هذا القبيل ما هو إلا سعي في سبيل حاكمية الإسلام . للمثال، يقول:

وهذا ينم من خلال اعتقاد الجميع التام بأنهم يؤدون وظائفهم بناءا على واجبهم وتكليفهم الشرعي، وأنهم الآن في جمهورية إسلامية وفي بلد يرعاه صاحب الزمان4 وهو يراقب أعمالهم، وعنده عمال يراقبون أيضا، ملائكة الله هم عماله. يجب أن يحس كل موظف في هذا البلد أنه تحت المراقبة وأن مراقبه هو إمام معصوم، وأن أعماله يجب أن تنال رضى الإمام المعصوم عندما تعرض عليه.[5]

تكون النظرة إلى المؤسسة و إدارة الأمور نظرة أمينة عندما لا يسمح كل فرد لنفسه أن يتولى أو يقبل المسؤولية كيفما كان وعندما تحكم الجدارة التي

1. نفس المصدر، ج10، ص446.
2. نفس المصدر، ج5، ص305.
3. نفس المصدر، ج12، ص103.
4. نفس المصدر، ج21، ص400.
5. نفس المصدر، ج9، ص17.

تعتبر أهم أركان العدالة التنظيمية. الشخص الذي يقبل المسؤولية في نظام محوره الأمانة، ينبغي أن يكون الأصلح في البعد المعرفي المرتبط بالعلم والتخصص والأصلح في البعد السلوكي المرتبط بالتعهد وطلب الخير ونفي الخداع . ومن ناحية أخرى عليه أن يبرز هذا العلم والسلوك في تصرفاته وان يراعي كل أبعاد العدالة .

النظرة الأمينة إلى المسؤوليات الاجتماعية اعم من المسؤوليات الإدارية والتنظيمية والمسؤوليات الثقافية والاجتماعية و... توجب على الفرد أن يأخذ صاحب الأمانة بعين الاعتبار وان يرد الأمانة له. ففي طريقة إنجاز الأمور عليه أن يراعي حد الاحتياط في الأمور الشخصية والعامة، وان يقلص أرضية الفساد الإداري، الاجتماعي والتنظيمي إلى أدنى حد . في كلام حضرة الإمام الخميني; نشهد تأكيد مكرر على عدم سوء الاستخدام للسلطة من قبل مسئولي الجيش والحكومة، ومن خلال مراجعتنا لوصياه إلى العمال الحكوميين نشاهد الأبعاد المختلفة لكلماته في هذا المجال.

النتيجة

في هذا المقال، بمحورية وجهات نظر حضرة الإمام الخميني;، بيّنا في كثير من الموارد الحوافز التي اعتبروها المحققين الداخليين والخارجيين بعنوان رؤية وتتطلعات الثورة الإسلامية، أو ما يعرف بالأسباب العرضية و بعنوان مهام و أهداف طويلة الأجل للثورة الإسلامية ولا يمكن التعبير عنها بأنها رؤية أو أفق الثورة الإسلامية.

نظرة حضرة الإمام; إلى الثورة الإسلامية بعنوان أنها أمانة إلهية وظيفة العموم الحركة لتسليم هذه الأمانة إلى صاحبها الأصلي - إمام العصر4 -، إحدى النقاط الأساسية التي ينبغي الالتفات إليها،وكما تقدم، إن كلام الإمام الخميني; حول مستقبل الثورة الإسلامية، بشكل شفاف، صريح وواضح يحكي عن "يجب" وهي أن مستقبل الثورة يجب أن يؤدي إلى ظهور إمام الزمان4" . ومن هذا الجانب فان كل هدف ورؤية سامية نضعها للثورة الإسلامية الايرانية، يجب أن تتحدث بنفس الوضوح عن هذا الهدف . وفي غير هذه الصورة لا يمكن تصور سند، وروح لها. فطبقاً لكلامه; الدقيق، الواضح والصريح، إن الروح الأصلية لهذه الثورة متجذرة في التمهيد لظهور الحكومة العالمية لحضرة ولي العصر4.

المصادر

ـ مقتطفات من مقالة نظرية "الأمانة" للإمام الخميني;" ورؤية وتطلعات الثورة الإسلامية في شعاع العقيدة المهدوية المطبوع في الفصلية العلمية ـ بحثية المشرق الموعود السنة الرابعة، العدد15، خريف 1389 هجري شمسي، تأليف اصغر افتخاري، محمد نوروزي، محمد مهدي ذوالفقارزاده.
ـ الخميني، السيد روح الله، صحيفة الإمام (22 مجلد) طهران، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني; (طبع ونشر عروج)، الطبعة الرابعة 1385 هجري شمسي.

الميزات الثقافية للمجتمع والدولة الممهدة

الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح

مقدمة

الإنسان في التصور الإسلامي قمة لكائنات الحية التي تعيش على وجه البسيطة وأفضله وأكرمها لما أودعه الله فيه من مزايا،وميزه من صفات.

والإسلام يريد أن يعيش الإنسان في جو الاطمئنان، والاستمتاع بالحياة الإنسانية استمتاعا يرفع الإنسانية، فوق مستوى الاحتكاك والصراع والشك، وأن المؤمن في نظر الإسلام هو المحسن، والمحسن هو صاحب الوجدان الرفيع، وهو صاحب الإنسانية في سلوكه مع نفسه ومع غيره.

قال الله تعالى: Γيَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباًΦ.[1]

فالله سبحانه وتعالى أوجد الإنسانية من نفس واحدة وأنشأ من هذه النفس زوجها، ومنهما نشر في الوجود رجالا ونساء فالإنسانية تنتهي إلى تلك النفس الواحدة.

قال تعالى: Γيَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌΦ [2]

خلق الله الناس متساوين من أصل واحد، هو آدم وحواء وصيرهم بالتكاثر جموعا عظيمة وقبائل متعددة ليتم التعاون والتعارف، وإن تباعدت ديارهم وأوطنهم وتباينت عاداتهم واختلفت لغاتهم وأجناسهم.

---

1. نساء: 1.
2. حجرات: 13.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ [1]

وللناس مع بعضهم روابط وثيقة، وصلات متينة، ومعاملات لا غنى لهم عنها وليس بميسور لأي إنسان كائنا من كان أن يعيش منعزلا، لأن الطبيعة البشرية تحتم على الإنسان أن يندمج بالناس ويختلط بهم، ويستعين بذوي الخبرة منهم، وأن يسترشد بنصح الناصحين، وتوجيه النابهين.

ضرورة الثقافة

وإذا كان من الضرورة الإنسانية في الإسلام: أن لا حياة للأجسام إلا بالأرواح، فكذلك الأعمال على اختلاف أنواعها لا حياة لها إلا بالثقافة المتبادلة التي يجتنى من ورائها الاطمئنان والنجاح.

فبالثقافة تنتظم الأمور، وتنجز الشئون، وتستقيم الأعمال، وتؤدى على أحسن حال.[2]

ويحسن أن نعرف: أن كلمة ثقافة ذات أبعاد كبرى، ودلالات كثيرة، وإيحاءات متعددة، وتعني في إطارها العام: آفاق ومستويات تتعلق بالفكر والسلوك والنظم والعادات ونحوها.

وهي آفاق ومستويات يضيق المدلول اللغوي عن احتوائها.

ومما ينبغي أن ندركه، أن العرب استعملوا كلمة "الثقافة" للدلالة على معان متعددة منها: الحذق، ومنها: الفطنة والذكاء. ومنها: سرعة التعلم والضبط. ومنها: الظفر بالشئ والتغلب عليه. ومنها: التقويم والتهذيب.[3]

وقد ذكر الدكتور أحمد شلبي في موسوعته: "النظم والحضارة" الإسلامية تعريفا للثقافة قال فيه: إنها الرقي في الأفكار والنظرية. وذلك يشمل الرقي في القانون والسياسة والإحاطة بقضايا التاريخ المهمة، والرقي كذلك في الأخلاق أو السلوك وأمثال ذلك من الاتجاهات النظرية[4].

ولعلنا ندرك: أن المفاهيم اللغوية تشير: إلى أن الثقافة تعني: الحذق، والفطنة، وسرعة الفهم، وسرعة التعلم، وثبوت المعرفة، والتهذيب، والتأديب،

---

1. روم: 22.
2. محمد فايز القصري، مظاهر الثقافة الإسلامية وأثرها في الحضارة، ص8.
3. الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، ص51؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج3، ص125؛ ابن منظور المصري، لسان العرب، ج9، ص20. نقلا من الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر وآخرين، بحوث في الثقافة الإسلامية، ص11، ط/دار الحكمة 1993م.
4. الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر، بحوث في الثقافة الإسلامية، ص12، ط/دار الحكمة، قطر.

وتسوية المعوج، وإدراك الشئ والحصول عليه، والظفر به.[1]

أما في الاصطلاح فقد خاضت في إظهار مفهومه آراء العلماء وأقلام الباحثين وليس من شأن بحثنا الخوض في هذا. ولكن الذي يهمني: أن علاقة وطيدة بين الثقافة والعلم، والثقافة والحضارة، والثقافة والمدنية.

وإذا كنت للثقافة علاقة بالعلم، والحضارة والمدنية. فإن ذلك يعني أنها ليست مجموعة المعارف التي يكتسبها الإنسان، ويحتفظ بها بطريقة معزولة عن الحياة، بعيدة عن الممارسة.

وإنما هي المعرفة التي تؤثر في اتجاه السلوك وتوجه حياة الإنسان.

والإنسان المثقف: هو الإنسان المهذب أي الإنسان الذي شذبت وهذبت المعارف التي اكتسبها كل سلوكه، وخلصته من الشوائب والانحرافات.[2]

وترتبط الثقافة الإسلامية ارتباطا وثيقا بالعقيدة، ومنهج التفكير. وهي بهذا الارتباط تساعد الإنسان على فهم الحياة، وكيفية العيش فيها.

الثقافة على العموم: هي اكتساب المعرفة والإحاطة بها وحسن تطبيقها والتوفيق في ذلك.

وقد يكون واضحا: أن مفهوم الثقافة مفهوم شامل، يتسع للعادات والقيم والمعتقدات وأساليب السلوك والعلاقات والأدوار، والتقنيات التي ينبغي تعلمها والتكيف معها مما يعطي الحياة نمطا محددا.[3]

ولعلنا ندرك: أن الثقافة من مميزات المجتمع بدأت بالناحية الدينية حين بدأ الإنسان يفكر في وجوده على الأرض، وما هي منزلته بين الموجودات المادية الجامدية والنباتية الحية والحيوانية الموجود عندها المخ.

ومن ثم فكر الإنسان في نفسه وفي من حوله وفي من سبقه وبدأ يدرك وجدانيا وعقليا بوجود الخالق الذي وهبه الحياة وأعطاه العقل أي أن الثقافة متصلة بالعقل والوجود وبدأت مع الإيمان بالله ومع الوجود الإنساني من الناحية العقدية.[4]

الثقافة إذن: هي تراث حضارة ومن الناحية المثالية لا وطن لها. فكل الأرض
م
جالها، والزمان على امتداده هو عمق تطورها وهي لا تنحصر في جماعة من

---

1. انظر: الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر وآخرين، بحوث في الثقافة الإسلامية، ص120، دار الحكمة، قطر، 1414هـ.
2. انظر: الدكتور محمد الدسوقي، الشخصية الإسلامية، ص22، ط/دار الفكر العربي، بيروت، 1948م.
3. د. مصطفى حجازي وآخرين، ثقافة الطفل العربي بين التغريب والاصالة، ص30، ط/منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط 1990م.
4. انظر محمد فايز القصري، مظاهر الثقافة الإسلامية وأثرها في الحضارة، ط/دمشق 1399هـ.

البشر دون أخرى.[1]

ولقد امتازت الثقافة الإسلامية بخصائص وصفات بارزة هي للدفع نحو العلم، والتجرد في العصبية، والتضحية لخدمة الإنسانية بالإضافة إلى تحليلها بالأخلاق والسلوك الحسن والبعد عن الأنانية والمادية.

وفي هذا كتب المستشرق البريطاني "محمد بيكتول" بعد إسلامه، وإشرافه على تحرير المجلة الهندية في حيدر آباد فقال: "تختلف الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات في أنها تهذب نفسيات الجماعة وتطهر الجنس البشري وتربيه وتهتم بأخلاق الفرد الواحد".[2]

ولعلنا ندرك: أن المصدر الرئيسي للثقافة الإسلامية هو القرآن الكريم، وقد بدأ هذا المصدر صافيا وقد حرص الرسول6 في تربيته للمسلمين على أن لا يختلط هذا المصدر بغيره من المصدر. لأنه كان يريد أن يصنع جيلا خالص القلب خالص العقل خالص الشعور، خالص التكوين من أي مؤثرات أخر".[3]

والثقافة الإسلامية تجمع بين الغايات، والوسائل، وبين العلم والإيمان، وكونها تستمد كيانها من مبادئ الدين الإسلامي. لا يعني تخليها عن العقل والعلم.

وهي كذلك: من مميزاتها أنها تعتمد على منابع الضمير الإنساني المتصل بالله خالق هذا الكون ومدبره. ولهذا كانت الثقافة الإنسانية، إنسانية النزعة والهدف، عالمية الأفق والرسالة تنظر إلى الناس بمقياس واحد لا تفسده القومية أو العنصرية أو الجنس أو اللون.[4]

وقد أفادت الدراسات: أن الثقافة في أي عصر ليست مجرد معارف ومعلومات تلقن، بل هي ثمرة التراث بحيث تظهر آثارها في المجتمع والأسرة والفرد.

وقد يكون واضحا: أن ثقافة الإنسان لا تقدر بمقدار ما قرأ من الكتب، وما تعلم من الفنون والآداب، ولكن بمقدار ما أفاده العلم، وبمقدار ما أوحت إليه الفنون من سمو في النفس، ودقة في الشعور، وتذوق الجمال.

فالثقافة إذن تعني: السجية أو البديهة فيما يتعلق بالفرد.

وفيما يتعلق بالأمة تعني شخصيتها وروحها، بحيث تكون ثقافة كل شعب مميزا له عن سواه.[5]

---

1. المصدر السابق.
2. المصدر السابق.
3. انظر: سيد قطب، المستقبل لهذا الدين، ط/الرياض.
4. د. عبد الكريم عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، ص86، 88، ط/بيروت.
5. د. يعقوب المليجي، المدخل للثقافة الإسلامية، ص34، ط/مؤسسة الثقافة الجامعية بالاسكندرية، 1985م.

ومما يلاحظه الباحث: أن كلمة "الثقافة" في الاصطلاح العرفي في العربية وغيرها تفيد معنى ما يكتبه الإنسان من ضروب المعرفة النظرية، والخبرة العملية، وكذلك المعاني اللغوية التي وردت في اللغة تتصل اتصالا كبيرا بالتسوية والتعهد والتهذيب.

الثقافة الإسلامية:

وكان المفهوم العام للثقافة عند المسلمين يعني: جمع المرء لمجموعة من المعارف وتحصيله اللغة، وإجادته لآدابها. فلم تكن الثقافة تنفصل عن اللغة والأدب من شعر وحكم وأمثال. فضلا عن طرف من التاريخ والأنساب والمعارف العامة.[1]

ومثل هذا التنوع في الثقافة كانت الظاهرة العامة في أغلب الكتاب ورجال الحكم، وموظفي الدولة والشعراء.[2]

ذلك أن الثقافة في حقيقتها هي: الصورة الحية للأمة، فهي التي تحدد ملامح شخصيتها، وقوام وجودها، وهي التي تضبط سيرها في الحياة، وتحدد اتجاهها فيها.

إنها عقيدتها التي تؤمن بها، ومبادئها التي تحرص عليها، ونظمها التي تعمل على التزامها وتراثها الذي تخشى عليه الضياع والاندثار، وفكرها الذي تود له الذيوع والانتشار.[3]

والأمم تقاس رفعة وانخفاضا بمقوماتها الفكرية، وقيمها الخلقية، وإنجازاتها العلمية.

وقد كان للثقافة الإسلامية دورها العظيم في بناء الأمة الإسلامية، وترسيخ عظمتها، وتوطيد سلطانها، واستمرار عطائها.

ولا يكون المرء مبالغا إذا عرف: أن الثقافة الإسلامية هي ثقافة خير أمة أخرجت للناس، تميزت بعقيدتها ومنهجها وقيمها وأهدافها، كانت هذه الثقافة عاملا أساسا في إيجاد الأمة التي احتلت مركز القيادة الفكرية، والزعامة السياسية والصدارة العلمية في العالم مدة أربعة عشر قرنا من التاريخ البشري.

وأمتنا - في الوقت الحاضر - أحوج ما تكون إلى هذه الثقافة، فإنها هي التي تحفظ على الأمة شخصيتها الفريدة، وعن طريقها تربط ماضيها المشرق بحاضر نرجو أن يكون سبيلا إلى مستقبل زاهر وتمهيد للظهور.[4]

ومما لا يحتاج إلى دليل: أن الذين اعتنقوا الإسلام وآمنوا به. رأوا أن حياتهم

---

1. د. محفوظ علي عزام، نظرات في الثقافة الإسلامية، ص12، عمان 1968م.
2. المصدر السابق.
3. المصدر السابق، ص13.
4. عزالدين الخطيب التميمي وآخرون، نظرات في الثقافة الإسلامية، ص3، ط/الفرقان، عمان، الأردن 1984م.

متوقفة على فهم الإسلام، وحمله للناس جميعا.

كما رأوا أن الإسلام وحده أساس وحدتهم، وسبب نهضتهم وعزهم ومجدهم، لذلك أقبلوا عليه يدرسونه ويتفهمونه.

ولما كان فهم الإنسان لا يتأتى بغير اللغة العربية، فقد أقبلوا عليها يدرسونها ويشرحونها ويضعون قواعدها. كما أقبلوا على العلوم الإسلامية يدرسونها ليشرحوا للناس عقيدة الإسلام، ويبينونها بالدليل والبرهان، وتفرعت أنواع المعارف لدى المسلمين، وتناولت أشياء كثيرة.

فتكونت لدى لمسلمين ثقافة إسلامية متعددة النواحي، أقبل الناس على تعلمها جميعا، مع اهتمامهم بما في الكون من علوم وصناعات.

وكان كل عالم - مهما كان نوع الثقافة التي تخصص فيها: أدبا، أو رياضيات أو صناعة - يتثقف بالثقافة الإسلامية أولا، ثم يتثقف بغيرها.

والتثقيف بالثقافة الإسلامية ضرورة حياتية، سواء تعلقت بالنصوص الشرعية أم بالوسائل التي تمكن من فهم هذه النصوص وتطبيقها ولا فرق بين التثقيف بالأحكام الشرعية، أو الأفكار الإسلامية.[1]

وفي حياة كل أمة مفاهيم أساسية تحرص عليها، وتعمل على ترسيخها وتعميق إدراكها في شئونها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، وغير ذلك من أمور الحياة.

وتسعى كل أمة سعيا حقيقيا دائبا، على أن تكون مفاهيمها واضحة الدلالة في ذاتها، مرعية الجانب لدى أبنائها، واسعة الانتشار والتداول لدى غيرها.

فتؤلف الكتب وتعقد المؤتمرات: وتقوم الدراسات، وتصدر النشرات، وتضع مناهج التربية والتعليم، وتستخدم بوجه عام كل وسائل الإعلام والتوجيه، لتوضيح هذه المفاهيم وشرحها وبيان أسسها وخصائصها، وتفصيل وجوه النفع فيها.[2]

وأكثر ما يهتم به قادة الفكر والثقافة المؤمنون بمفاهيم أمتهم، الدائبون لنشرها هو: نقلها من حيز النظر المجرد إلى الواقع البشري الصحي، ووصل حياة الناس بها، بحيث تكون مصدر فكرهم وشعورهم، وطابع سلوكهم وسمة حياتهم العملية.

ومن هنا يخرج مدلول الثقافة عن قصد المعرفة المجردة، إلى المعرفة الهادفة. أو بتعبير آخر: عن المعرفة الساكنة، التي لا تتجاوز حدود العمل الذهني، إلى المعرفة المتحركة التي تحدث تفاعلا، وحوارا وضح التأثير مع

1. سميح عاطف الزين، الثقافة والثقافة الإسلامية، ص41، ط/دار الكتاب اللبناني، بيروت 1403هـ.
2. عمر عودة الخطيب: لمحات في الثقافة الإسلامية، ص11.

تطلعت الفرد والجماعة.[1]

ولا يعرف في تاريخ الأمم - ماضيها وحضرها - أن واحدة منها أهملت في نشر ثقافتها، أو تركتها تذوب في ثقافة غيرها، أو تتلاشى في عقول أبنائها، لتحل محلها ثقافات أخرى طارئة غريبة.

إن للإسلام مفاهيم صحيحة سليمة كاملة في كل شأن من شئون الكون والإنسان والحياة.

وإذا كانت المفاهيم في هذه الشئون لدى كثير من الفلاسفة والمفكرين، وواضعي النظم من البشر، تتسم بالغموض والتعقيد تارة، أو يجانبها الصدق والعمق تارة أخرى، أو تصدر عن الفرض والتخمين حينا، وعلى الأساطير والأوهام حينا آخر.

فإن مفاهيم الإسلام مبرأة من هذه الآفات كلها، لأنها ليست منبعثة عن نظرة بشرية محدودة، لا تستوعب ذاتها، فضلا عن أن تستوعب غيرها، وهي تسفه المنطق السطحي، وتهدم الظن والوهم، وتعده زراية بالعقل، واستهانة بكرامة الإنسان.

أما الأساطير التي تصدر عنها تلك العقائد والتصورات فهي - في مفاهيم الإسلام - أشلاء ممزقة ميتة، لا يصدقها أو يتعلق بها من أوتي حظا من نظر وتفكير، وهي ساذجة ضالة مردية لا تليق بحقيقة هذا الإنسان الذي حباه الله العقل، وأرشده إلى دلائل المعرفة، وزوده بوسائل النظر السديد.

إن مفاهيم الإسلام منبثقة عن عقيدة ربانية شاملة، لا ترتكز إلا على الحقائق الجلية الثابتة، ولا تقوم إلا على اليقين الجازم، وهي متسمة بالوضوح والصدق والعمق.

وتقيم - من حيث الاعتقاد والتفكير - لدى البشر جميعا: التصور الصحيح الدقيق المتكامل للكون والإنسان والحياة.[2]

إن منهج الإسلام في ارتكازه على الحقائق اليقينية الهادية، يربط الحقائق المفردة في الكون والحياة ربطا يصليها بأجل حقيقة وأكبرها، وهي العقيدة، وبذلك لا يدع هذه الحقائق المثبوتة أمام العقل الإنساني والشعور والضمير، ضروبا من المعرفة الجامدة، والمعلومات المجردة، التي لا روح فيها ولا حياة لها، كما تحول خرافة المنهج العلمي أن تصنع.

بل يثبت منهج الإسلام في هذه المعارف والمعلومات والحقائق الظاهرة والمضمرة حياة تفتح البصائر، وروحا توقظ الضمائر، ويزودها بالتأثير

1. المصدر السابق، ص12.
2. المصدر السابق: لمحات في الثقافة الإسلامية، ص53 - 54.

العجيب الذي يعمق أوثق أواصر الصلة بين الحقائق الهادية، والعقول المستنيرة، والقلوب المتفتحة للإيمان والخير.[1]

والثقافة عنصر مهم من عناصر حياة الأمم، تتبين بها صورة كل أمة وتتميز بها صيغته ولونها بين أقرانها، وهي تدل في نفس الوقت على تقدمها، وعلى درجتها في المدنية والحضارة، وهي تكون سبب كرامته وزينتها أيضا.[2]

والثقافة وسيلة لغاية أبعد، وهدف أكبر. وهل ثمة أجل وأسمى من أن تستحيل الثقافة إلى طاقة محركة، وقوة دافعة، نصبغ الواقع الإنساني في إطار الضمير والشعور والسلوك بصبغة هذه المفاهيم النقية الخيرة.

وتتمثل في حياة البشر نظاما وخلقا وجهدا وحكما، وقيادة صالحة تحمل مشاعل الحق والنور لهذه الإنسانية التي وضعتها المفاهيم الضالة المنحرفة على حافة الدمار الرهيب. فينبغي أن تنقلب هذه المفاهيم واقع بشريا حيا، ونماذج إنسانية فاعلة، حتى لا تكون كالماء المسفوح على قيعان لا تمسكه، ولا تنتفع به.[3]

وقد أوضح رسول الله6 العلاقة الوثيقة بين الثقافة ولعمل وضرورة توافر الأمرين معا، ونجد ذلك واضحا فيما جاء عن أبي موسى الأشعري عنه النبي6 قال: مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير، أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير.

وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ. فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني به الله فعلمه وعلمه، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله بالذي أرسلت به".[4]

لقد اشتملت هذه الثقافة على كل المعطيات التي تجعلها صالحة لتكون ثقافة الإنسان، ذلك أنها نظرت إلى فطرته وعالجت غرائزه، واحترمت عقله، وكان لها في حياة الإنسان أهمية ومكانة تجعل الوقوف عليها، والأخذ بها واجبا على المسلم، بل على الإنسان.

ونستطيع أن نقول دون أن نكون بعيدين عن الواقع: إن الثقافة الإسلامية أصبحت في ظل انتشار الإسلام وظهوره ثقافة إنسانية وعالمية، وقد انطوت على طاقة روحية جعلت منها قوة فاعلة وبانية.

---

1. المصدر السابق، ص54.
2. محمد الرابع الحسني الندوي، الثقافة الإسلامية والواقع المعاصر، ص57، ط/دار الصحوة، بالقاهرة، 1410هـ.
3. عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص54.
4. الحديث روه البخاري ومسلم.

يضاف إلى ذلك: أن الثقافة الإسلامية تمتد على مساحة الدنيا والآخرة، وهذا الامتداد الزماني والمكاني الموغل في الأعماق، جعل الثقافة الإسلامية تختلف عن ثقافات بعضها يتوغل في ماديات الحياة، ثم يضفي عليها مسحة من العبادة والفلسفة وبعضها الآخر يسلك طريق الروحية التجريدية.

أما الثقافة الإسلامية في المجتمع والدولة الممهدة: فقد جمعت بين الروح والمادة، ولهذا لاءمت حياة الناس.

ولما كان الإسلام دين قيم وضوابط سلوكية، كانت الثقافة الإسلامية موجهة ومربية، تتصل بحياة الأفراد، وحياة الجماعات،[1] تؤهل الإنسان للعطاء، وتنمي فيه القدرة على الإنتاج والإبداع بما تفتح له من آفاق التفكير والممارسة.

وتجعل الشخصية الإسلامية شخصية متزنة لا يطغى على موقفها الانفعال، ولا
يسيطر عليها التفكير المادي، ولا الانحراف الفكري المتأتي من سيولة العقل وامتداد اللا معقول.

ومن المعروف: أن الإسلام قد وثب بالمسلمين وثبة هائلة، وهذه الوثبة الهائلة كانت على أثر إشعاع القرآن الكريم في جنبات الدنيا والإنسانية، فأنارها بعد ظلمة، وهدى الإنسانية بعد حيرة، ونظمها بعد اضطراب، وفتق أذهان أبنائها بعد ارتقاق، وأزال الأصفاد والقيود التي كانت تقف حجر عثرة أمام الفكر[2]. فانطلق المسلمون يقرأون ويبحثون ويطلبون العلم في مظانه.

واستطاعوا في ظل الثقافة الإسلامية التي دعت الناس إلى معرفة كل ما من شأنه أن يأخذ بالناس إلى طريق الرشاد أن ينتقلوا من أمة إلى أمة العلم والقيادة الفكرية، وأن يصبحوا أساتذة العلم والعالم، وقادة الفكر والرأي، ورود المعرفة والحضارة.

ومما ينبغي أن نشير إليه: أن الأمة المسلمة تحكم علاقاتها وانفتاحاتها على الآخرين قاعدة أساس تتحرك من خلالها وهي صحة كل علاقة وسلامة كل حوار، طالما هناك التزام مبادئ وقيم وتعاليم دين الله، وهذا بين في قول الله تعالى: Γوَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَΦ [3]

وقد يكون واضحا: أن مبدأ المسلمين وهم يعرضون مبادئ وتعاليم الإسلام على الناس، تحكمه قيم وآداب لا ينبغي للمسلمين تجاوزها ومخالفتها ولا يصح معها تجريح وسباب معتقدات الآخرين، وهذا صريح في قوله تعالى: Γوَلَا تَسُبُّوا

1. سميح عطف الزين، الإسلام وثقافة الإنسان، ص38، ط/بيروت 1982م.
2. انظر: الدكتور عبد الفتاح عبد الكريم، المعرفة في الإسلام، ص120، ط/دار الفكر للطباعة، القاهرة، 1964م.
3. مائدة: 49.

الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ Φ [1]

والمجتمعات المسلمة وفق تعاليم الإسلام وقيمه وأموره، بالتزام العدل، وإنصاف الناس مع وجود الاختلاف في العقيدة وقيام الخصومة والشحناء معهم حيث يقول الله سبحانه: Γوَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى Φ [2]

إن منهج القرآن يعلم المسلمين ويؤكد عليهم: أن البشرية مدعوة بأمر ربها جل شأنه، للتعارف والتعايش وفق القيم والمعايير الربانية على اختلاف أجناسهم وأعراقهم وأديانهم وألوانهم.

وإن إتيان الحق ومجانبة الباطل هو أساس التنافس بينهم، وهو أساس معيار القرب والبعد من تقوى الله ومرضاته، وهذا في قوله تعالى: Γيَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ Φ [3]

ومجتمعات الأمة الإسلامية يحدوها وهي تتفتح على غيرها من الناس تعاليم الله، وتوجيهات الرسول التي تطالبها، وتؤكد عليها السعي في تحقيق مصالح العباد، وجلب المنافع لهم، وأن ذلك السعي الصادق هو السبيل لنيل محبة الله تعالى والفوز بمرضاته حيث جاء الأثر:"الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله".

وإن الإسلام يؤكد: أن أساس دين الله تعالى، يقوم على إقامة العدل بين الناس، وشيوع قيم الإحسان بينهم، والعمل على مكافحة الفحشاء والمنكر ومحاربة البغي في حياتهم.

وقد عظم فقهاء الإسلام قيم العدل، حتى جعلوه معيارا لنصرة الله وتأييده وهذا كله في ضوء فهمهم لقول الله تعالى: Γإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ Φ [4]

والمسلمون يعتقدون بمشروعية التدافع الإنساني. ويؤمنون بأن منهجية التدافع بين الناس القائمة على أساس التنافس، في جلب المصالح، ودرء المفاسد، كفيلة بتحقيق الحياة الأفضل لهم جميعا، وتوفير الأمن والاستقرار، وصرف الفساد عن الأرض، وهذا مؤكد في قوله تعالى: Γوَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ Φ. [5]

---

1. انعام: 108.
2. مائده: 8.
3. حجرات: 13.
4. نحل: 90.
5. البقرة: 251.

ومن جهة أخرى: فإن التدافع بين الناس لجدير بحماية حرية الناس في معتقداتهم وأنماط حياتهم، وصيانة معابدهم على اختلاف مللهم، وهذا في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾.[1]

ومن مفاخر المبادئ الإسلامية: أن الشرائع جاءت لتحقيق مصالح العباد حيث أن مبناها يقوم على تحقيق المصالح ودفع المفاسد.

والأمة الإسلامية تعتقد وتؤمن في انفتاحها على الآخرين بأنها شريكة مع غيرها في منهج الاستخلاف لعمارة الأرض وليست محتكرة لهذا المنهج.

وأن غياب المسلمين أو تغيبهم عن لمشاركة في منهج الاستخلاف أو تجريد هذا المنهج من القيم الربانية، سيؤدي لا محالة إلى فساد الأرض ودمار حياة لناس عليها، وهذا مؤكد في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾.[2 و 3]

وإن مبدأ الإسلام وقيمه تعلم المسلمين وتؤكد عليهم في انفتاحهم. ألا يبخسوا النسا أشياءهم وألا يحتقروا كدحهم وجهدهم في كل عمل بناء. يحقق الإعمار والإبداع الحضاري.

وتلزم تعاليم الإسلام المسلمين احترام وتقديم كل عطاء خير في ميادين القيم والسلوكيات وفي ميادين الماديات ولوسائل والمهارات وهذا يلتقي مع قيم وتوجيهات منهج الاستخلاف الرباني في عمارة الأرض.

لأن القرآن الكريم يعد احتقار سعي الناس وبخس دورهم الإيجابي الفاعل المثمر في الأرض، من العبث والإفساد الذي يمقته الإسلام، وينهي عنه وهذا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [4]

إن الإسلام مثلما وضع ثوابت ومنطلقات، وقدم قيما ومبادئ كلية لضبط أدبيات ومقومات التعايش البشري والتعارف الإنساني، فإنه أيضا وضع ثوابت ومنطلقات وقد وضع قواعد وأسسا لضبط حركة مصالح الناس، وقدم قيما وأدبيات لإحكام سيولة تبادل المنافع بين المجتمعات، في إطار التعايش والتعارف بينهم.[5]

---

1. حج: 40.
2. انظر: الدكتور عباس الجراري، الإسلام والنظام العالمي، ص13، ط/المعرب، الرباط 1971م.
3. محمد، 9 و 10.
4. هود: 85.
5. انظر: الدكتور حامد الرفاعي، الإسلام والنظام العالمي الجديد، ص130-131، ط/رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.

ومما هو واضح: أن لمسلمين وفق هذا المنهج الرباني العادل، وموروثه القيمي والتشريعي وفي ضوء قدراتهم المادية والسياسية، ليجدوا أنفسهم مؤهلين كل التأهيل لأداء مهمتهم ومساهمتهم الإيجابية الفاعلة.

في معترك التدافع الإنساني البشري لإقامة نظام عادل ينهي حالة القلق والذعر التي تحيق بالناس، ويصرف أسباب الفساد عن الأرض، ويضع حدا لتدهور العلاقات في أكثر من موقع.

ويزيل عوامل الاضطراب والجشع والصراع السياسي والاقتصادي بين الأمم، ويضبط حركة التدافع الإنساني، ويقيم موازين القسط للتعايش، والتعارف، والتعاون البشري، ويرتقي بمنهج التبادل والتكامل والانفتاح الثقافي، مما يحقق للناس تطلعاتهم لحياة إنسانية آمنة مطمئنة تنعم بالأمن والاستقرار والعدل والسلام.

والمسلمون من أجل هذه المهمة الجليلة النبيلة على استعداد لكل حوار بناء من أي جهة معينة وفاعلة، شعبيا ورسميا، للسير بالإنسانية نحو الخير والفلاح.[1]

وقد لا يخفى على أحد: أن الأمة المسلمة تمتلك رصيدا ضخما من القيم الهادفة يمكن استثماره فيما يفيد الإنسانية.

الانفتاح الثقافي

ونحن نشير إلى المعالم الإسلامية. نؤكد على ما يلي:

أولا: إن الانفتاح الثقافي الذي تدعو إليه البحوث ينبغي أن يجنب المسلمين عمليات فرض التجارب والنماذج الوافدة من بلدان وحضارات معينة، والتي يتم إسقاطها على واقع مغاير للواقع الذي بعثت فيه.

وإن نقل التجارب ونشر المفاهيم التي أفرزتها سياقات تاريخية واجتماعية معينة وتصدير البرامج، لا يمكن أن ينجح إلا في سياق تواصلي، ومناخ تفاعلي، ورؤية تبادلية تحترم خصوصية الآخر وذاتيته الحضارية والثقافية.

وذلك: أن قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان التي تركز عليها الحضارة الغربية اليوم لا تنفك تجد في سياساتنا وبرامجنا الصدى الواسع والإيمان العميق.. لكننا بالقدر ذاته لا ننفتح عليها ولا نطالبها ولا نجسدها إلا في سياق خصوصيات وتجارب الأمة المسلمة، منطلقين من قيم الحضارة الإسلامية وأساليبها في التربية والتنشئة المنبثقة عنها.

وفي هذا الإطار: نحب أن نؤكد على أهمية الترابط الإنساني، ونرفض

1. المصدر السابق، ص130.

عمليات إسقاط المفاهيم على واقع مختلف التضاريس. كما نرفض تعليب القيم، وإملاء التجارب.

ثانيا: كما أن مفهوم المسلمين للانفتاح لا ينفصل في الأبعاد الخلقية للقيم الثقافية والدينية عموما. فثقافة المسلمين الإسلامية انبثقت تاريخيا عبر منظومة القيم التي كانت ولا تزال تمثل جزءا من رصيدنا الحضاري، وهي منظومة تميز نسيج الأمة الاجتماعي بمختلف خلاياه.

وإن إبراز البعد الخلقي في الانفتاح نابع من إحساس المسلمين وقلقهم مما يهدد وجودهم الحضاري من انحرافات تجسدها المنافسة الشرسة التي باتت محكومة بمنطق الربح والخسارة فضلا عن لكثير من الظواهر التي أبرزتها ظروف العصر، وباتت تهدد المجتمع.

ومع هذه المحاذير يتعين كذلك أن نبين طبيعة المعوقات التي تعترض طريق هذا الانفتاح خصوصا الحوار الإسلامي الغربي، وفي مقدمتها ما يشوب الصورة الغربية من سلبيات وتشويهات ليس المسلمون مسئولين عنها.

ثالثا: لقد أصبحت وسائل الإعلام والاتصال في الأيام الراهنة هي المسئول الأول عن عملية نقل صور الشعوب وثقافاتها وصياغة المواقف منها وحولها. ولا يخفى على أحد أهمية هذا الدور وخطورته في آن واحد. فالإعلام يبلور السياسات ويكون الاتجاهات ويوجه القرارات لدى الدول والجماهير في الوقت نفسه، خصوصا مواقف التعاطف أو النفور.

إن صورة المسلمين الحضارية في غالبية وسائل الإعلام لغربية، لا تعكس صورة المسلمين الحضارية، كما أن الأحكام المعيارية حولها لا تستند إلى موضوعية موثوقة.

لقد شكلت صورة الشخصية العربية والإسلامية في سياق سلبي لدى الرأي العام، فغلب على ملامحها الانغلاق والتعصب والجهل والعدوانية.

إنها الصورة القاتمة للأسف في ذهن الإنسان الغربي العادي، الذي يتلقى معلوماته عن العرب والإسلام من وسائل إعلام موجهة في غالبيتها من مراكز وقوى ضغط ليست محايدة.[1]

ويمثل اعتماد مبدأ السماع إلى الآخر. فرصة لإجلاء صورة الثقافة والحضارة الإسلامية لدى لغرب. الذي نطمع إلى تطوير علاقة المسلمين معه

1. المنجي بوسنينة، جريدة الحياة، ص9 يوم 2001/12/2م.

وتدعيمها. لكن المشكل يتجسد في كيفية تبلغ المسلمين الحقيقة ولتعريف بأنفسهم.

لقد آن الأوان للكف عن النظر إلى الانفتاح الثقافي باعتباره وسيلة لتحقيق المنافع، واكتساب الأسواق، كما آن الأوان للكف عن ربطه بالنزعة الأمنية. فنحن لا نمثل مصدر تهديد، ولا منطقة خطر بالنسبة إلى الغرب.

رابعا: لقد بات من الضروري تصحيح صورة الحضارة الإسلامية المشوهة والمنقوصة لدى العالم الغربي، ويجب أن نعترف بوجود جهل بالمسلمين أو تجاهل لهم، على رغم أن المسلمين يعرفون تاريخ الغرب وحضارته ولغته أكثر مما يعرف هو عنهم حتى أبناؤنا المهاجرين، على رغم أهميتهم الحضارية في بعض المجتمعات الغربية، لا يحظون في مجتمعات المهجر بالقدر الكافي من تعليم اللغة العربية.

وكثيرا ما يؤدي التهميش اللغوي والقيود إلى إبعاد الأجيال الجديدة في بعض الجاليات العربية والإسلامية عن جوهر القيم الإسلامية الحقيقية مما يفسح المجال أمام التغرير بالتنظيمات المتطرفة وتضليلها وتشجيع "إسلام الكهوف" كما قبل عوضا عن إسلام النور.

ولا شك كذلك في أن هناك بعض جوانب الخلل في بعض المجتمعات، فيجب أن نعترف بأن المسلمين مقصرون في فهم الغرب أحيانا.. بما سمح بتسرب بعض الأخطاء في مواقفهم وتقديراتهم.. فلابد من الانفتاح على ما حولنا.

ولكننا بحاجة إلى المساعدة على اقتحام القرن الجديد في مجالات التكنولوجيا الحديثة. وفي مجال التعرف على التجارب الرائدة في التنمية، حتى يتم إنشاء شبكة إعلامية دولية باللغات الحية تعرف بثقافتنا، كما بات من الضروري مضاعفة الجهد لدعم حركة التعريف بثقافة المسلمين.[1]

ومما هو واضح أن تحقيق الانفتاح يتطلب استمرار بذل الجهود والمحاولات لأنه مهدد باستمرار ببعض المخاطر والمنزلقات، والانفتاح ليس في مأمن من التوتر والتأزم والتعثر والركود.

والانفتاح عملية تفاعلية لا يمكن أن تعلب أو تفرض، لكن المهم هو الوعي والاقتناع بأن ما يعتري الأمة أحيانا من الانتكاسات، إنا هو أمر مرحلي وعادي. ومن المفروض أن يدفعنا إلى مزيد العمل من أجل صيانته وحمايته عبر قيام منظومة المرتكزات التي أسلفنا ذكرها تسندها في ذلك مؤسسات

1. المصدر السابق.

المجتمع المدني.[1]

إن الانفتاح الحقيقي على الحضارات يشكل أبرز التحديات التي يواجهها العالم اليوم، فهو شرط أساسي من شروط التعايش السلمي بين الشعوب.

1. المصدر السابق.

الحكومة المهدوية

الدكتور خليل خلف بشير العامري

المقدمة

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين،وبعد: فهذا بحث يتناول في صفحاته حكومة إمام معصوم من أئمة أهل البيت يظهر في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما مُلئت ظلماً وجوراً هو الإمام الحجة محمد بن الحسن المنتظر4 ولعل الاعتقاد به من أساسيات العقيدة الإسلامية فأمره مختصٌ بكثير من الفرق الإسلامية،وغير الإسلامية كاليهود والنصارى،ولعل السبب في ذلك يكمن في كون المصدر واحداً إذ إنّ أول من أشار إليه هو الله سبحانه وتعالى ثم بشّر أنبياءه به وبدولته المباركة،وازداد التبليغ لفكرة المهدي الموعود ببزوغ رسالة جده محمد المصطفى6 إذ كَثُرت الروايات الدالة على وجوده المبارك،والوعد بدولته المباركة،وأصبح انتظاره أفضل الأعمال،وأفضل الجهاد على ما وصل إلينا من أحاديث الرسول الكريم وآله الكرام:.

وقد جاء بحثي هذا الموسوم (الحكومة المهدوية) مسلطاً الضوء على الآيات التي أشارت إلى الوعد بدولته الميمونة،وخصائص هذه الدولة من خلال القرآن الكريم،ومعرّجاً على صفاته،وصفات أنصاره فضلاً عن صفات دولته مؤكداً على جوانب مهمة في حياة البشرية تشهد تطوراً ملموساً أبرزها: الجانب الاقتصادي ثم الزراعي،والديني،والقضائي، والإداري،والعلمي،والحربي،ومشيراً إلى الفرق بين العولمة وعالمية الدولة المهدوية،ومدة الدولة المهدوية.

على أنني بذلت جهدي،وأعملت فكري لأضع هذا البحث بالمستوى المطلوب فإن وفقتُ فلله حمدي وشكري وإلّا فلله ولسيدي الحجة اعتذاري سائلاً الله تعالى أن ينفعني به في الدنيا والآخرة،وأن يكون في مصاف أعمالي يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾،[1] والله ولي التوفيق .

الباحث

المهدي في القرآن الكريم

لم تحظ قضية في الفكر الإنساني بمثل ما حظيت به قضية الإمام المهدي4 الذي يمثل الحلقة الأخيرة من سلسلة الإمامة فقد ورد عن الإمام الحسين7 أنه قال: «منا اثنا عشر مهديا أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم التاسع من ولدي، وهو الإمام القائم بالحق، يحيي الله به الأرض بعد موتها، ويظهر به دين الحق على الدين كله ولو كره المشركون|»،[2] وقد بشرت به الأديان السابقة فضلاً عن الإسلام في كتاب الله (القرآن الكريم) في الكثير من آياته من ذلك قوله تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [3] إذ أوّلت هذه الآية بالأئمة من آل محمد انتهاء بالقائم4 وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [5] فقد ذكر العلامة الطباطبائي أن الآية مطلقة ولا موجب لتخصيصها بإحدى الوراثتين (الدنيوية أو الأخروية) بيد أن هناك من يخصها بالوراثة الدنيوية ويحملها على زمان ظهور الإسلام أو ظهور الإمام المهدي7 الذي أخبر به النبي6 في الأخبار المتواترة المروية من طريق الفريقين،[6] وقوله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [7] إذ يذكر العلامة الطباطبائي آراء المفسرين ثم يناقشها متوصلاً في النهاية إلى أنّ «الآية إن أعطيت حق معناها لم تنطبق إلا على المجتمع الموعود الذي سينعقد بظهور

1. الشعراء: 88 و 89.
2. انظر: كمال الدين وتمام النعمة /الصدوق 317.
3. قصص: 5.
4. انظر: الإمام المهدي في القرآن والسنة / سعيد أبو معاش 335- 337.
5. انبياء: 105.
6. انظر: الميزان في تفسير القرآن / السيد محمد حسين الطباطبائي 262/14.
7. نور: 55.

المهدي4 ...»،[1] وقد تضمنت الآية ثلاثة وعود للذين آمنوا وعملوا الصالحات،وهذه الوعود هي:[2]

أ. الاستخلاف في الأرض: وذلك لأجل إقامة حكومة العدل الإلهي .

ب. تمكين الدين: نفوذ المعنويات،وحكومة القوانين الشرعية في جوانب الحياة كافة .

ت. تبديل الخوف بالأمن: إزالة كافة عناصر الخوف،واستبدالها بالأمن التام والاستقرار الكامل .

وتدلنا هذه الآيات الشريفة المفسرة بظهور المهدي «على أنّ مهمته4 ربّانية ضخمة متعددة الجوانب،جليلة الأهداف فهي عملية تغيير شاملة للحياة الإنسانية،وإقامة مرحلة جديدة...».[3]

ومن أراد المزيد من الآيات فليراجع كتاب (المهدي في القرآن والسنة) لسعيد معاش فهذا الكتاب زاخر بالآيات التي فسّرها الأئمة بالإمام المهدي4.[4]

خصائص الدولة المهدوية

من خلال الآيات التي بشّرت بالمهدي الموعود يمكننا أن نبين خصائص الدولة المهدوية بالآتي:[5]

1. استخلاف صالحي المؤمنين

وهذا جلي في ثلاث آيات هي قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[6]، وقوله ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[7]، وقوله ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.[8]

1. انظر: الميزان في تفسير القرآن / السيد محمد حسين الطباطبائي 169/15.
2. انظر: الحكومة العالمية للإمام المهدي / آية ا... العظمى مكارم الشيرازي 100.
3. عصر الظهور / الشيخ علي الكوراني 253.
4. وكذا انظر: الفصل الثالث من كتاب المصطفى والعترة، المهدي المنتظر، القسم الاول 16/87-152.
5. انظر: أعلام الهداية: الإمام المهدي المنتظر خاتم الأوصياء / لجنة التأليف14/208-212.
6. انبياء: 105.
7. نور: 55.
8. حج: 41.

2. إتمام النور الإلهي، وإظهار الإسلام على الدين كله

وهذا ما صرّح به القرآن الكريم في خمس آيات،وذلك في قوله تعالى Γ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ Φ،[1] وقوله Γ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ Φ،[2] وقوله Γ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ Φ،[3] وقوله Γ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً Φ،[4] وقوله Γ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ Φ[5]. فالمؤمنون في ترقب وانتظار لهذا الوعد الإلهي،والله لا يخلف الميعاد،وسيتحقق بيد المهدي مما يدل على أنّ الفتح المبين،والظهور المشرق بيد هذا المهدي من آل محمد،وكما بدأ الإسلام بآل محمد فإنه سيُختَم بآل محمد،ونجد مصداق ذلك في قول الإمام الصادق7: «بكم فتح الله وبكم يختم».[6]

3. إقامة المجتمع التوحيدي الخالص

وهو أن تكون مقاليد المجتمع البشري بيد الصالحين الذين كانوا يستضعفون في الأرض،والذين يمثلون الإسلام المحمدي الأصيل فعند تمكينهم في الأرض يقيمون الصلاة،ويؤتون الزكاة،ويأمرون بالمعروف،وينهون عن المنكر ولعمري تلك دعائم المجتمع التوحيدي الخالص الذي يعبد الله وحده لا شريك له .

4. تحقق الغاية من خلق النوع الإنساني

كما تشير إلى ذلك الآية الكريمة Γ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ Φ[7] إذ حصر الغاية من خلق الإنسان بالعبادة الحقة لله عزّ وجل،وهذا ما يتحقق في ظل دولة الإمام المهدي4 على الصعيدين: الفردي والاجتماعي.

---

1. توبه: 32.
2. صف: 8.
3. توبه: 33.
4. فتح: 28.
5. صف: 9.
6. انظر: بحار الأنوار / العلامة المجلسي 131/99.
7. ذاريات: 56.

5. إنهاء الردة عن الدين الحق

ذهب العلامة الطباطبائي إلى أنّ قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾،[1] تتحدث عن عصر الظهور المهدوي،وأنّ الردة المقصودة فيها عن الدين الحق مع البقاء على الظاهر الإسلامي،وذلك بموالاة اليهود والنصارى وأتباعهم في طريقة الحياة في مختلف شؤونها،وهذه الردة هي التي تنهى عنها الآيات السابقة لهذه الآية التي تتحدث عن الانحراف الذي يصيب العالم الإسلامي قبل الفتح المهدوي.[2]

صفات الإمام

المتصفح لأحاديث أهل البيت: في وصف الإمام المهدي4 يجد وجهه كالكوكب الدري،ولونه لون العربي،والجسم كأجسام أبناء يعقوب7 أي طويل ممتلئ،أبيض مشرب بالحمرة،واسع البطن وعريضه،عريض الفخذين بظهره شامتان: واحدة على لون جلده،وأخرى على شبه شامة النبي6، أفرق الثنايا،أجلى الجبهة،كث اللحية، أكحل العينين،شاب مربوع،حسن الوجه والشعر،يسيل شعره على منكبيه،ويعلو نور وجهه سواد شعر لحيته ورأسه،شيخ السن شاب المنظر حتى أنّ الناظر ليحسبه ابن أربعين سنة أو دونها،ولا يهرم بمرور الأيام والليالي،[3] وهو أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً،وسمتاً وهيبةً برسول الله6، وبعيسى7،ويبدو من الروايات أنه يشبه خمسة من الرسل (يونس، ويوسف، وموسى، وعيسى، ومحمد: فهو يشبه يونس برجوعه من غيبته،وهو شاب بعد كبر السن،ويشبه يوسف بغيبته عن خاصته وعامته،ويشبه موسى بدوام خوفه،وطول غيبته،وخفاء ولادته،وتعب شيعته مما لقوا من الأذى والهوان، أما شبهه بعيسى فاختلاف من اختلف فيه حتى قالت طائفة منهم:ما ولد،وقالت طائفة:مات،وقالت طائفة: قُتل وصُلب،وأما شبهه بجده المصطفى6 فخروجه بالسيف،وقتله أعداء الله وأعداء رسوله والجبّارين والطواغيت،وأنه يُنصَر بالسيف والرعب [4]

---

1. مائده: 54.
2. انظر: الميزان 5/432-440.
3. انظر: كمال الدين 652، وبحار الانوار 51/96،والاربعون حديثاً في المهدي /أبو نعيم الاصفهاني19،20،21،22.
4. انظر: كمال الدين 327،والغيبة / النعماني 146ب10 ح4.

صفات أنصاره

المتتبع لأحاديث النبي6 في وصف أنصار الإمام الحجة يجدهم ثلة مؤمنة صالحة تتولى إدارة الدولة في ظل قيادته،وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً بعدد أهل بدر،وثمة تعبير دقيق يطلقه النبي عليهم،وهو تعبير (إخواني) مؤدياً دلالات كبيرة في شدة ارتباطهم وامتثالهم لتعاليم الرسالة المحمدية فلننظر إلى الرواية الآتية التي رواها أبو بصير عن الإمام الباقر7 «قال: قال رسول الله6 ذات يوم وعنده جماعة من أصحابه: (اللهم لقّني إخواني) مرتين فقال من حوله من أصحابه: أما نحن من إخوانك يا رسول الله ؟ فقال: لا إنكم أصحابي،وإخواني قوم آخر الزمان آمنوا ولم يروني، لقد عرّفنيهم بأسمائهم وأسماء آبائهم،من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم».[1]

وثمة أوصاف أخرى تتلخص بأنهم مؤمنون متقون،ومتفانون مضحون،ومنتظرون صابرون، وصالحون مستضعفون،ويألفون ويؤلفون[2] لا تأخذهم في الله لومة لائم،ليوث بالنهار ورهبان بالليل،أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين،وشباب غير مكتهلين،بسطاء مجهولون متنقلون،زهاد متعففون،مثلهم في الأرض كمثل المسك يسطع ريحه فلا يتغير أبداً، ومثلهم في السماء كمثل القمر المنير الذي لا يُطفأ نوره أبداً.[3]

صفات دولته

من المعروف أنّ المجتمع الإنساني في بداياته الأولى كان يعيش بسيطاً في علاقاته الاجتماعية،والاقتصادية إلا أنه بمرور الزمن،واتساع المجتمع،وتعدد حاجاته،وتعقيد علاقاته أخذ يرتّب نفسه شيئاً فشيئاً من خلال تشكيل ما يسمى حديثاً بـ (الدولة)،وهي ضرورة لا مناص منها؛ لأنّ حياة البشر لا تستقيم بدون دولة تحكمهم،وتدير شؤونهم،وتنظم أمورهم لاسيما في عالمنا المعاصر الذي تعقدت فيه الحياة وتشابكت العلاقات تشابكاً كبيراً،واليوم يتجه العالم نحو الدولة العالمية الموحدة،وإلى الانتماء العالمي بدلاً من الانتماء القومي والوطني،وهذا يذكرنا بكون الناس أمة واحدة يحكمها نظام واحد هو نظام الفطرة الإلهية فطرة الله التي فطر الناس عليها كما يخبرنا بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا

1. بحار الأنوار 52/123-124.
2. انظر: مقال الشيخ محمد العبادي الموسوم (سيماء أنصار الإمام المهدي)،مجلة فكر الكوثر العدد الثاني، السنة الأولى، خريف 1428هـ -2007م،ص 112-119.
3. انظر: في رحاب الإمام المهدي / عبد الرحيم مبارك 259-265.

جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍΦ،[1] وقوله Γوَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَΦ[2] لكنها أمة تختلف في حياتها عن بساطة الأمة الأولى وسذاجة عيشها وأفكارها وطموحاتها بل ستعود أمة متطورة على جميع المستويات، والجوانب،[3] وإليك وصف لهذا التطور الكبير الذي ستشهده الأمة مركّزاً على الجوانب الآتية:

1. الجانب الاقتصادي

ويبدو من الروايات أن الخيرات والبركات تنتشر في أيام دولة الإمام7 فتخرج الأرض كنوزها وخيراتها للناس فقد روي عن رسول الله6 أنه قال: «تنعم أمتي فيه - أي في حكم المهدي – نعمة لم ينعموا مثلها قط، تؤتي الأرض أُكلها لا تدّخر عنهم شيئاً، والمال يومئذٍ كُدُوس يقوم الرجل فيقول: يا مهدي، أعطني،فيقول: خذ»،[4] وفي دولته يرتفع الدخل السنوي للأفراد بحيث لا يبقى في المجتمع فقير،ولا مسكين،و لا محتاج أو متسول؛ لأنّ الثروة تقسم بينهم بالسوية كما روي ذلك عن النبي6 في قوله: «أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض يقسم المال صحاحا، فقال له رجل ما صحاحا ؟ قال بالسوية بين الناس، قال: ويملا الله قلوب أمة محمد6 غنى ويسعهم عدله، حتى يأمر مناديا فينادي فيقول: من له من مال حاجة فما يقوم من الناس إلا رجل، فيقول ائت السدان يعني الخازن فقل له إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالا، فيقول له أحث، حتى إذا جعله في حجره وأحرزه ندم، فيقول كنت أجشع أمة محمد نفسا، أو عجز عني ما وسعهم ؟ قال فيرده فلا يقبل منه، فيقال له إنا لا نأخذ شيئا أعطيناه»،[5] وكذا قول الإمام الصادق7: «إذا قام القائم حكم بالعدل،وارتفع في أيامه الجور،وأمنت به السبل،وأخرجت الأرض بركاتها،وردّ كل حق إلى أهله ... وحكم بين الناس بحكم داود7 وحكم محمد6 فحينئذٍ تظهر الأرض كنوزها،وتبدي بركاتها،ولا يجد الرجل منكم يومئذٍ موضعاً لصدقته ولا لبره لشمول الغنى جميع المؤمنين

1. بقره: 213.
2. يونس: 19.
3. انظر: مقال السيد محمد الشوكي الموسوم (الدولة العالمية: ضرورة أم طموح؟)،مجلة فكر الكوثر العدد الثاني، السنة الأولى، خريف 1428هـ -2007م،ص 44،43.
4. المستدرك على الصحيحين / الحاكم النيسابوري 558/4.
5. انظر: الأربعون حديثاً في المهدي 27، ومعجم أحاديث الإمام المهدي7/ الشيخ علي الكوراني العاملي 92.

...»،[1] والواقع أنه يملأ القلوب بالغنى النفسي والمعنوي فيستأصل منهم جذور الحرص المقيتة،ويزيل عدم الوثوق بالمستقبل في ظل عدالته الاجتماعية فلا يرى شخص في نفسه من حاجة لجمع الثروة؛لأنّ يومه وغده مضمونان[2] فقد ورد عن جده المصطفى6 أنه قال: «... حتى تملأ الأرض جوراً فلا يقدر أحد أن يقول: الله ثم يبعث الله عزّ وجل رجلاً مني ومن عترتي فيملأ الأرض عدلاً كما ملأها من كان قبله جوراً،وتخرج له الأرض أفلاذ كبدها ويحثو المال حثواً ولا يعدّه عدّاً»[3] .

2. الجانب الزراعي

ببزوغ فجره تتضاعف البركات في الأرض لاسيما في مجال الزراعة إذ قال رسول الله6 في وصف القائم «يخرج في أمتي المهدي،يسقيه الله الغيث،وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صِحاحاً، وتكثر الماشية، وتَعظُم الأمة»،[4] وروي عن أمير المؤمنين7 أنه قال في معرض حديثه عن الحجة «... ويذهب الشر ويبقى الخير، ويزرع الإنسان مدا،وتخرج له سبعة أمداد...»،[5] وكذا يروى عن سعيد بن جبير (رضي الله عنه) أنه قال: «إن السنة التي يقوم فيها القائم7 تمطر الأرض أربعاً وعشرين مطرة وترى آثارها وبركاتها»[6] .

وفي هذا الصدد يروى أنه يقضي على نظام الإقطاع في الأراضي الزراعية كما في الحديث الشريف القائل: «إذا قام قائمنا اضمحلت القطائع فلا قطائع»[7]

3. الجانب الديني

تذكر الروايات أنّ الإمام حينما يحكم فإنه يأتي بدين جديد كما ورد ذلك عن الإمام الباقر7 عندما سأله عبد الله بن عطاء قائلاً: «إذا قام القائم7 بأي سيرة يسير في الناس ...؟فقال: يهدم ما قبله كما صنع رسول الله6،ويستأنف الإسلام جديداً»،[8] وفي رواية أخرى أنّه يأتي بأمر جديد فقد روى النعماني حديثاً مفاده

---

1. بحار الأنوار 339/52.
2. انظر: الحكومة العالمية للإمام المهدي 223-224.
3. انظر: بحار الأنوار 18/28.
4. المستدرك على الصحيحين 557/4.
5. حياة الإمام المنتظر، المصلح الأعظم / باقر شريف القرشي 292.
6. كشف الغمة / ابن أبي الفتح الاربلي 258/3.
7. قرب الإسناد / الحميري 39.
8. بحار الأنوار 354/52،وقول الإمام الباقر7: « يهدم ما قبله كما صنع رسول الله6» لا يعني أنه لا يسير

أنّ أبا جعفر7 قال: إنّ قائمنا إذا قام دعا الناس إلى أمر جديد كما دعا إليه رسول الله6...إلى آخر الحديث[1].

ولمناقشة هذه الروايات نتساءل: ما هو الدين الجديد الذي سيأتي به الإمام؟ وهل يختلف عن دين جده؟ كما يدّعي بعض أدعياء البابية والمهدوية في تفسيرهم لهذا الحديث بمعنى النسخ للشريعة الإسلامية،وهي محاولة خبيثة ومنكرة في فهم النبوة والتشريع،وتبرير استهانتهم بالكتاب والسنة،وما جاء فيهما من أحكام وتكاليف.[2]

والجواب على هذا السؤال لا بد من تسليط الضوء على الترابط الكبير بين الإمام،وجده باعتبار أنّ النبي6 كافح الجهل،والظلم،والفساد لتأسيس الدولة العالمية بعد معاناة وجهاد طويلين لكنه رحل إلى المليك الأعلى عاقداً الأمل على ولده المنتظر ليسود الإسلام على وجه الأرض إذ في دولته سيسود العدل ويطبق على جميع الأرض،وعندما نقول: إنّ الإمام الحجة4 سيأتي بدين جديد يجب أن نعلم بأنّ الشريعة السمحاء قد ختمت بالمصطفى،وشاء الله أن يكون خاتم الأنبياء والمرسلين،وأن يكون المهدي خاتم الأوصياء،وهنا يُطرح تساؤل آخر إذا كانت الدين الإسلامي قد خُتِم بصريح القرآن في قوله تعالى Γالْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًاΦ[3] فما هو الدين الجديد الذي سيأتي به الإمام لاسيما أنّ النبي قد عقد عليه آمالاً كبيرة كما أسلفنا ؟ وما هو الأمر الجديد الذي يختلف به عن جده ؟

الجواب هو أنّه سيأتي بأحكام واقعية لا أحكام ظاهرية فنحن الآن نعمل بأحكام ظاهرية اجتهد في استنباطها العلماء الأجلاء بعد معاناة وسهر وصبر ـ وهم في هذا مأجورون على كل حال ـ فإذا ظهر الإمام فإنه سوف يُرجعُنا إلى الأحكام الواقعية الموجودة زمن النبي6 فيتصور الناس أنّ المهدي جاء بدين جديد إذ يعيد كثير من الأحكام التي تناساها الناس وتجاهلوها بعد أن مضى عليها الزمان أي أنّه يطبق الشريعة بكاملها فيظن الناس أنه جاء بأمر جديد فمثلاً صلاة الجمعة ـ هذه الشعيرة المهمة ـ تنوسيتْ،وضُيعتْ يأتي فيوجبها فيتصور الناس أنّه قد أتى بدين جديد، والواقع أنّه يحيي الدين بعد اندراس...[4]

بسيرة جده،وإنما يزيل عن الدنيا كل ما ينطلق ظاهره باسم الإسلام،ويستبطن خلافه كما هدم رسول الله6 من قبل أركان الشرك واليهودية والنصرانية والمجوسية (ينظر: نهج الإمام المهدي في الحكم،من بحوث المرجع الديني آية ا... العظمى السيد صادق الشيرازي19-20).

1. انظر: الغيبة للنعماني 320؛ بحار الانوار366/52.

2. انظر: الإمام المهدي المنتظر وأدعياء البابية والمهدوية بين النظرية والتطبيق / السيد عدنان البكاء1/ 282.

3. مائده: 3.

4. انظر:انتظار الفرج، الشيخ إبراهيم النصيراوي، محاضرات حول الإمام المهدي، الجزء الثاني، إعداد ⁂

4. الجانب القضائي

لاشك أنّ الإمام سيقضي بين الناس بالعدل فهو الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً،وفي الروايات أنه يحكم بحكم داود فلا يسأل عن البينة.عن الإمام الصادق7 أنّه قال: «إذا قام قائم آل محمد حكم بحكم داود وسليمان، لا يسأل الناس بينة ...)،[1] ويبدو أنّه يختلف في هذا مع جده الذي يقضي بالبينة لقوله 6: «إنما أقضي بينكم بالبينات والأيمان ...»[2] في حين لا يحتاج المهدي إلى البيّنات والأيمان،وإنما يقضي بعلمه،وهذا يعني أنّ جده يعلم لكنه لا يقضي بعلمه الذي يأتي عن طريق النبي أو عن طريق تحديث الملائكة أو عن طريق الإلهام .

وأما حكمه بحكم سليمان فنحن نعلم من قوله تعالى Γوَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاΦ[3] أنّ إنساناً عنده مزرعة وجاءت غنم لشخص آخر فدخلت المزرعة،وأكلت منها فأفسدت الزرع فالحكم المترتب على هذه المسألة أنّ الغنم إذا دخلت المزرعة ليلاً فالضمان على صاحب الغنم،أما إذا كان الدخول نهاراً فلا ضمان فكان الحكم بوجوب الضمان؛لأنّ الدخول كان في الليل لكن داود وسليمان اختلفا في قيمة الضمان فداود يرى أنّ الغنم تُعطى لصاحب المزرعة؛لأنّ زرعه فسد فبمقدار زرعه يُعطى من الغنم أما سليمان فحكم بأنّه لا يأخذ نتاج الغنم أي يعطونه من الحليب أو الأولاد أما نفس الغنم فلا يُعطى فحكم سليمان مختلف عن حكم أبيه داود؛لأنّه حكم ولائي بحسب المصلحة العامة فالإمام الحجة سيضع أحكاماً ولائية كثيرة مراعياً بذلك المصلحة العامة كتنظيمه مرور السيارات،ومرور الركاب، ويضع لذلك أحكاماً ولائية على سبيل المثال أنه لا دية للرجل الماشي في وسط الطريق حينما يتضرر من سيارة أو من غيرها،[4] وهذه ـ لعمري ـ أحكام عادلة تنظر إلى المصلحة العامة متجاهلة الكثير من الأحكام الباطلة التي يضعها الناس في أحكامهم العشائرية القاصرة المقصرة التي تنظر إلى المصلحة الخاصة،وتأخذ ما تريد بقوة العشيرة.

ولا بد أن نشير إلى وجود جهاز قضائي يقظ وفاعل،ووسائل مراقبة دقيقة بحيث لا يفلت مجرم من سيطرته،ولا يستطيع انتهاك عدالته،وهو عنصر يحد

وتحقيق: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي،ص 136-139.

1. بحار الانوار86/23.
2. الكافي /الكليني 414/7.
3. انبياء: 78 - 79.
4. انظر:انتظار الفرج 141-146.

من انتشار الفساد،وانتهاك حرمة القانون لاسيما أنه يخرج بعد أن يستشري الفساد. قال تعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1]

ومن الأحاديث الدالة على عدالته،وردّها المظالم قول الرسول6:

«عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقئ الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجئ القاتل فيقول في هذا قتلت، ويجئ القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ويجئ السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا»..[2]

ولما كان العدل يعم ربوع دولته فإنّ المرأة تقضي في بيتها بالقرآن الكريم والسنة المطهرة كما يروى ذلك عن أبي جعفر7 أنه قال: «كأنني بدينكم هذا لا يزال متخضخضاً يفحص بدمه، ثم لا يرده عليكم إلا رجل منا أهل البيت فيعطيكم في السنة عطاءين، ويرزقكم في الشهر رزقين، وتؤتون الحكمة في زمانه حتى أن المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله6»[3].

وتشير بعض الروايات إلى أنّ النبي عيسى7 يقضي في دولة المهدي بالعدل،ويكسر الصليب،ويقتل الخنزير،ويضع الجزية،ويفيض المال حتى لا يقبله أحد. قال رسول الله6: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً يكسر الصليب، ويقتل الخنزير،ويضع الجزية، فيفيض المال حتى لا يقبله أحد»[4]...

5. الجانب الإداري

لا يختلف الإمام المنتظر عن جده في كونه رؤوفاً رحيماً بالناس - ومنهم المساكين - بيد أنه حازم وحسيب على عمّاله لذا نجده يختار للحكم ولاةً هم خيرة أصحابه الذين يتحلون بأعلى كفاءات الوالي الإسلامي من العلم،والفقه،والشجاعة،والنزاهة، والإخلاص[5]. قال ابن كثير: «إذا كان المهدي ثبت على المسيئ من إساءته، وزيد المحسن في إحسانه، سمح بالمال

1. روم: 41.
2. صحيح مسلم / مسلم النيسابوري 84/3.
3. الغيبة للنعماني، 245.
4. بحار الانوار 383/52.
5. انظر: نهج الإمام المهدي في الحكم 33 - 34،اعلام الهداية - الإمام المهدي المنتظر خاتم الأوصياء 224.

شديد على العمال رحيم بالمساكين»،[1] وذكر ابن طاووس رواية أنّ «المهدي كأنما يُلْعِق المساكينَ الزُّبد».[2]

والإمام شديد مع المنافقين الذين يتاجرون بالدين،ويسيئون للمقدسات الإسلامية لاسيما سدنة الكعبة فيفضحهم على مرآى ومسمع من الناس،ويسميهم (سرّاق الله)، ويذكر الشيخ الطوسي هذا المعنى في رواية تقول: إنّ «القائم إذا قام قطع أيدي بني شيبة، وعلّق أيديهم على البيت، ونادى مناديه هؤلاء سرّاق الله».[3]

6. الجانب العلمي

تشهد الأمة الإسلامية إبان الحكومة المهدوية تطوراً هائلاً في مختلف العلوم،لأنّ العلم سيعادل اثني عشر ضعفاً بالنسبة للعلوم والمعارف التي كانت سائدة زمن الأنبياء إلى يومنا هذا،والدليل على ذلك الرواية الآتية: «عن أبي عبد الله7 قال: العلم سبعة وعشرون حرفا فجميع ما جاءت به الرسل حرفان فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفا فبثها في الناس، وضم إليها الحرفين، حتى يبثها سبعة وعشرين حرفا».[4]

ويفتح هذا العلم أمام الإنسان جميع أبواب التكامل الفكري،والرقي المعنوي، والتكامل الروحي فيشهد عصره تطوراً فكرياً وروحياً عالياً كما يلمع إلى ذلك الإمام الباقر7 في وصف الإمام وأصحابه: «فيه آية المتوسمين وهي السبيل المستقيم وإن الله ينزع الخوف من قلوب شيعته ويسكنه قلوب أعدائه، فواحدهم أمضى من سنان، وأجرى من ليث يطعن عدوه برمحه ويضربه بسيفه ويدوسه بقدمه، وحد الله للشيعة في أسماعهم وأبصارهم حتى يكون بينهم وبين القائم بريد كلمهم، ويسمعون، وينظرون إليه وهو في مكانه ...»،[5] وهذا دليل على تطور وسائل الاتصال لاسيما ما نرى بوادره اليوم طبقاً للقوانين العلمية،أي أنّ كافة الناس سيتمتعون بوسائل نقل الصوت والصورة بيسر وسهولة بحيث لم تعد هنالك من حاجة إلى وجود دائرة باسم البريد في حكومته ودولته،وتحل أغلب القضايا دون الحاجة إلى الأوراق فهنالك أجهزة شهود،وأجهزة حضور تدير شؤون المجتمع[6]. روي أنه7 ينصب له عمود من

1. البداية والنهاية / ابن كثير 225/9.
2. الملاحم والفتن / السيد ابن طاووس144.
3. الخلاف / الشيخ الطوسي 430/5.
4. بحار الانوار 336/52.
5. شجرة طوبى / الشيخ محمد مهدي الحائري 178/1.
6. انظر: الحكومة العالمية للإمام المهدي 219.

نور من الأرض إلى السماء فيرى فيه أعمال العباد، وأن له علوما مذخورة تحت بلاطة في أهرام مصر،[1] قال أبو عبدالله7: «إنه إذا تناهت الأمور إلى صاحب هذا الأمر رفع الله تبارك وتعالى كل منخفض من الأرض، وخفض له كل مرتفع منها حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته، فأيكم لو كانت في راحته شعرة لم يبصرها»[2] عن ابن مسكان، قال: «سمعت أبا عبد الله7 يقول: إن المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق»،[3] ومصداق ذلك موجود في ما تقدمه شبكات الإنترنيت من خدمة جليلة في الاتصال بين الدول العربية والغربية.

7. الجانب الحربي

يخوض الإمام عدة حروب يستخدم فيها سلاحاً جديداً يقضي على غير المؤمن،ويترك المؤمن،ليس سيفاً وإنما نوع آخر من السلاح غير موجود حالياً وإنما ورد بتعبير السيف؛ لأنه كان أبرز سلاح يُقاتَل به في فترة صدور الأحاديث،ولو كان الأئمة المعصومون: يستخدمون غير الأسماء المعروفة لكان الرواة يمتنعون من نقلها خشية أن تقابل بالسخرية والاستخفاف،ومن الأحاديث التي ذكرت أسلحة الإمام بلفظ السيف ولا يراد به السيف[4] كما ورد في وصف سيوف أنصاره: «ولهم سيوف من حديد غير هذا الحديد، لو ضرب أحدهم بسيفه جبلا لقده حتى يفصله، يغزو بهم الإمام الهند والديلم والكرك والترك والروم وبربر و ما بين جابرسا إلى جابلقا، وهما مدينتان واحدة بالمشرق، وأخرى بالمغرب، لا يأتون على أهل دين إلا دعوهم إلى الله وإلى الإسلام، وإلى الإقرار بمحمد6، ومن لم يقر بالإسلام ولم يسلم قتلوه حتى لا يبقى بين المشرق والمغرب وما دون الجبل أحد إلا أقر».[5]

ويمكن تفسير النصوص التي ورد فيها (السيف) بالآتي:[6]

1. لما كان السيف رمزاً للسلاح أو القوة لذا فيكون معنى الأحاديث أنه يظهر بالسلاح أو أنه يظهر بالقوة.

2. أما معنى حمله السيف ـ كما ورد في بعض الأحاديث ـ فهو اختياره شعاراً بيد أنّ اختيار السيف شعاراً يختلف عن اختياره سلاحاً وحيداً في

1. انظر: كمال الدين 565.
2. المصدر نفسه، 674.
3. بحار الأنوار 52/ 391.
4. انظر: الإمام المهدي - نظرة وجيزة شاملة / الشهيد آية ا... السيد حسن الشيرازي (قدس سره) 50-49.
5. بحار الأنوار 43/27.
6. انظر: الإمام المهدي - نظرة وجيزة شاملة 51.

معاركه إذ إنّ اختيار النسر أو المنجل والمطرقة أو النخلة أو سنبلة القمح وكذا السيف لا يعني أنها الوسائل الوحيدة التي تعتمد عليها الدولة،وإنما ترمز إلى بعض المنطلقات الفكرية أو الحيوية للدولة.

3. لعل المقصود من ظهوره بالسيف أنه إذا أراد إعدام شخص أمر بضرب عنقه انطلاقاً من أمر الشريعة بإراحة الضحية،وعدم تعذيبه بالوسائل المختلفة للإعدام فيكون السيف السلاح الوحيد الذي يخيف المجرمين داخل دولته،لا أنه سلاحه في معاركه وفتوحاته .

وفي بعض الروايات تصريح لحمله سلاح رسول الله6، وسيفه،ودرعه،ومغفره كما ورد عن جابر الجعفي، قال: قال لي محمد بن علي7: «يا جابر ! إن لبني العباس راية ولغيرهم رايات، فإياك ثم إياك ثم إياك ـ ثلاثا حتى ترى رجلا من ولد الحسين يبايع له بين الركن والمقام، معه سلاح رسول الله ومغفر رسول الله6 ودرع رسول الله6 وسيف رسول الله6»،[1] ولعل تفسير ذلك يعود إلى انتسابه إلى رسول الله6 رداً للتهم التي تقول: بأنه ليس من ذرية رسول الله،نظراً لقتله أعداداً كبيرة من المجرمين زعماً منهم أنّ ذرية رسول الله يحاولون الابتعاد عن الخوض في الدماء حتى دماء المحرمين،وربما يحمله في جملة ما يحمله من مواريث الأنبياء منها خاتم سليمان،وعصا موسى،وتابوت بني إسرائيل كما ورد ذلك في الحديث الشريف:

«فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، ورضاضة اللوح،وعصا موسى،وقبا هارون، وعشرة أوصاع من المن، وشرائح السلوى التي ادخرها بنو إسرائيل لمن بعدهم فيستفتح بالتابوت المدن كما استفتح به من كان قبله، وينشر الإسلام في المشرق والمغرب والجنوب والقبلة».[2]

ومما يؤيد كون السيف رمزاً للقوة والقدرة العسكرية السبب العقلائي الذي يتلخص بكون العودة إلى الوراء ليس أمراً ممكناً ولا منطقياً،وهو خلاف سنة الخلق وأصل تكامل الحياة،وليس هناك من دليل على جمود المجتمع،وإيقاف عجلة تطوره بغية تحقيق الحرية، والعدل، والمساواة،وإنّ قيام المصلح والمنقذ العالمي الكبير بهدف بسط الحرية، والعدل، والمساواة لا يؤدي بأي شكل من الأشكال إلى ركود أو إزالة الحركة الصناعية وما عليها من تطور،[3] وأما السلاح فالسيف الوارد في الروايات رمز للشجاعة والاقتدار العسكري كما بشير القلم للعلم والثقافة،ويحتمل أن تكون أسلحة الإمام متطورة جداً تفوق ما

1. الأصول الستة عشر / تحقيق ضياء الدين المحمودي 248.
2. معجم أحاديث الإمام المهدي4 1/531.
3. انظر: الحكومة العالمية للإمام المهدي 203.

تملكه قوى الاستكبار العالمي من أسلحة،وتشير الروايات إلى أنّ جنود الإمام المهدي الملائكة،والرعب،والمؤمنون كما يخبرنا بذلك أبو جعفر الباقر7 بقوله: «القائم منا منصور بالرعب، مؤيد بالنصر تطوي له الأرض، وتظهر له الكنوز، يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله عز وجل به دينه على الدين كله ولو كره المشركون»،[1] وكذا قول أبو عبد الله7: «إذا قام القائم صلوات الله عليه نزلت ملائكة بدر وهم خمسة آلاف، ثلث على خيول شهب، وثلث على خيول بلق، وثلث على خيول حو . قلت: وما الحو ؟ قال: هي الحمر»،[2] ومثل ذلك مرو عن أبي عبد الله7 أنه قال: في قول الله عز وجل: (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) (النحل /1)، فقال:«هو أمرنا أمر الله عز وجل ألا تستعجل به حتى يؤيده بثلاثة أجناد: الملائكة، والمؤمنين، والرعب)،[3] وأنّ جبرائيل أول من يبايع الإمام المهدي كما في رواية عن الإمام الصادق7، قال: أول من يبايع القائم7 جبرئيل ينزل في صورة طير أبيض فيبايعه، ثم يضع رجلا على بيت الله الحرام ورجلا على بيت المقدس ثم ينادي بصوت طلق تسمعه الخلائق " أتى أمر الله فلا تستعجلوه "»[4] . وبعد ذلك يدعو جبرائيل إلى بيعة الإمام كما في الحديث النبوي: «قال رسول الله6 يخرج المهدي وعلى رأسه ملك ينادي: إن هذا المهدي فاتبعوه»[5] وفي حديث آخر مروٍ عن رسول الله6، قال: «يخرج المهدي وعلى رأسه غمامة فيها مناد ينادي هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه»،[6] وفي رواية «عن عبد الله بن عمرو، قال: يخرج رجل من ولد الحسين من قبل المشرق لو استقبلته الجبال لهدها، واتخذ فيها طرقاً»،[7] ويبدو أنّ كل شيء مسخّر له ففي رواية عن الإمام الباقر7 أنه قال: «ذخر لصاحبكم الصعب . قال: قلت: وما الصعب ؟ قال: ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة أو برق فصاحبكم يركبه، أما إنه سيركب السحاب ويرقي في الأسباب أسباب السماوات السبع والأرضين السبع»،[8] وهنا لا يقصد السحاب العادي؛ لأنّ السحاب ليست من الوسائل التي يمكن السفر بواسطتها إلى الفضاء إذ هي تتحرك في جو قريب من الأرض،ولا تبعد مسافة تذكر عنها،ولا يمكنها الارتفاع كثيراً عن الأرض بل هي إشارة إلى وسيلة غاية في

1. كمال الدين، 331.
2. الغيبة للنعماني، 251.
3. المصدر نفسه، 251.
4. كمال الدين 671، وقوله (أتى أمر الله فلا تستعجلوه)هي الآية 1من سورة النحل.
5. الأربعون حديثاً في المهدي26، وينظر: بحار الانوار 369/36.
6. انظر: الاربعون حديثاً في المهدي25، وبحار الانوار 81/51.
7. الملاحم والمتن 179، و انظر: معجم أحاديث الإمام المهدي4 39إذ ذكر (لهدمها) بدلاً من (لهدها).
8. بحار الأنوار 344/54.

السرعة لها صوت كالرعد،وقدرة وشدة كالصاعقة والبرق،ولعلها أكثر شبهاً بالصحون الطائرة وأسرع منها،والوسائل الفضائية ذات السرعة المذهلة،وهذا يعني أنّ الإمام يظهر بتكنولوجيا تفوق التكنولوجيا الموجودة فليس هنالك من تخلف صناعي في زمنه.[1]

العولمة وعالمية الدولة المهدوية

من المعروف لدينا بأن الإسلام يقف موقفاً متحفظاً من مسألة العولمة؛ لأنها تهدف إلى فرض هوية ثقافية واحدة هي الهوية الغربية،وتمارس عملية استلاب حضاري وتنميط لثقافة الشعوب بما ينسجم مع الثقافة الغربية من خلال وسائل الإعلام الجبارة،وتقنيات المعلومات المحتكرة بيد الشركات الغربية الكبرى التي تسلب من الآخرين فرصة المنافسة،وتحول دون التثاقف المتوازن بين الشعوب والأمم المختلفة[2] إذ إنّ العالم بأسره سيكون قريةً كبيرةً واحدةً ترفض وجود الحواجز بين أحيائها،وأطرافها المتعددة، على أنّ الشركات الاقتصادية الغربية العملاقة قد تمكنت من خلال المنافسة الحرة بينها،وبين مراكزنا الاقتصادية والصناعية الداخلية أن تعزل مراكز الإنتاج الصناعي الداخلي،وتضعفها،وتكتسح الأسواق في العالم الإسلامي،[3] وبهذا فالعولمة لا تنتج دولة عالمية منسجمة،يسودها نظام وقانون واحد؛لأنها تمارس أنواعاً مختلفة من القسر والفرض مما يؤدي إلى نشوء حالة من الممانعة عند الشعوب المختلفة تدعوها إلى التمرد على ما تنتجه العولمة من قوانين،وأنظمة لإدارة العالم فلا بد من بديل للشعوب المحرومة والمستضعفة،ولا بديل لها سوى دولة الإمام العالمية التي سوف تحقق التقارب والتواصل الحقيقي بين الشعوب عبر قنوات الاختيار والقناعة[4] إذ كثير من الأطروحات الأرضية سوف تفشل في قيادة العالم إلى ساحل النجاة،وتحقيق الأهداف الكبرى سوى هذه الدولة الإلهية المباركة التي سوف تكون عالمية من خلال بسط نفوذها،وسيادتها على جميع المعمورة،وتكون الدولة الوحيدة في العالم التي لا تقوم بإزائها دولة أخرى،والروايات على سعة ملكه وسلطانه كثيرة منها قول

1. انظر: الحكومة العالمية للإمام المهدي 207-208.
2. انظر: الدولة العالمية: ضرورة أم طموح؟ 52.
3. انظر: التحديات المعاصرة ومشروع المواجهة الإسلامية / الشيخ محمدمهدي الآصفي 64-65.
4. انظر: الدولة العالمية: ضرورة أم طموح؟ 52-53.

الإمام الباقر7: «يفتح الله له الروم والصين والترك والديلم والسند والهند وكابل شاه والخزر».[1]

وقول أمير المؤمنين7: «إذا بعث السفياني إلى المهدي جيشا فخسف بهم بالبيداء، وبلغ ذلك أهل الشام، قالوا لخليفتهم: قد خرج المهدي فبايعه وادخل في طاعته وإلا قتلناك، فيرسل إليه بالبيعة، ويسير المهدي حتى ينزل بيت المقدس، وتنقل إليه الخزائن، وتدخل العرب والعجم وأهل الحرب والروم وغيرهم في طاعته من غير قتال حتى تبنى المساجد بالقسطنطينية وما دونها».[2]

وقال الإمام الصادق7 في الإمام المنتظر4: «هو الخامس من ولد ابني موسى، ذلك ابن سيدة الإماء، يغيب غيبة يرتاب فيها المبطلون، ثم يظهره الله عز وجل فيفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها، وينزل روح الله عيسى بن مريم7 فيصلي خلفه، فتشرق الأرض بنور ربها، ولا تبقى في الأرض قطعة عبد فيها غير الله عز وجل إلا عبد الله عز وجل فيها، ويكون الدين لله ولو كره المشركون».[3]

وترضى جميع الخلائق بدولته كما تفصح لنا بذلك الروايات فعن حذيفة عن النبي6 قال: «المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدري، فاللون لون عربي، والجسم جسم إسرائيلي، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، يرضى بخلافته أهل السماء والطير في الجو،...»،[4] و«تفرخ الطيور في أوكارها، والحيتان في بحارها، وتمد الأنهار، وتفيض العيون، وتنبت الأرض ضعف أكلها، ثم يسير مقدمته جبرائيل، وساقته إسرافيل فيملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما».[5]

مدة الدولة المهدوية

اختلفت الروايات في مدة حكم الإمام المهدي4 لاسيما الأخبار الواردة من طريق إخواننا أهل السنة والجماعة فقد ورد في سنن أبي داود حديث مروٍ عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله6: «المهدى منى أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، يملك سبع سنين»،[6] وكذا حديث آخر مروٍ عن أبي سعيد الخدري يقول:«إن في أمتي المهدي

1. بحار الأنوار 348/52.
2. الملاحم والفتن 139.
3. مجموعة الرسائل / الشيخ لطف الله الصافي 302/2.
4. نوادر المعجزات / محمد بن جرير الطبري الشيعي 196.
5. بحار الأنوار 304/52.
6. سنن أبي داود / ابن الأشعث السجستاني 310/2.

يخرج يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا زيد الشاك . قال: قلنا وما ذاك ؟ قال: سنين . قال: فيجئ إليه الرجل فيقول: يا مهدي أعطني قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله»،[1] ولعل المرجح عند الشيخ الكوراني في الأحاديث التي تذكر مدة حكم الإمام المهدي4 أن أصلها الحديث الذي يذكر أن النبي6 أجاب على السؤال عن مدة حكمه بأن عقد بيده الشريفة أصابعها الخمس، ثم عقد من الثانية إصبعين، ففسره الرواة بسبع، ثم صحفت الكلمة في النسخ بتسع . ولكنها قد تكون سبع مراحل أو عقود مثلا ولا دليل على حصرها بالسنين.[2]

وكذا يرجح السيد صدر الدين الصدر1 المدة بسبع سنين،[3] والواقع أنّ مدة حكمه تمتد زمناً طويلاً من 5سنوات أو 7سنوات إلى 309،وهي مدة مكث أصحاب الكهف إذ يستغرق تبلورها،وتشكيلها مدة 5أو 7 سنين،وعصر تكاملها:40 سنة،وعصرها الأخير أكثر من ثلاثمائة سنة.[4]

الخاتمة

Γقل الحمدُ للّهِ وسلامٌ علَى عبادِهِ الّذينَ اصطَفى Φ،[5] وبعد:

فقد تبين لي من خلال البحث جملة من النتائج أوجزها على النحو الآتي:

1. الدولة المهدوية أمر إلهي،وعقيدة راسخة آمن بها الناس على مختلف عقائدهم ومشاربهم،وقد وعدت بها جميع الأديان، والكتب السماوية - ومنها القرآن الكريم -،وهو نتيجة حتمية لما تعانيه البشرية من ظلم،واضطهاد،وجور،وفساد فحري بها أن تتطلع إلى اليوم الموعود، والقائد المنتظر لينشر العدل،والسلام،والخير،والأمن،والأمان فيتم النور الإلهي ولو كره المشركون .

2. لما كان المهدي يخرج في آخر الزمان،وولايته امتداد لرسالة جده،وجده خاتم الأنبياء والمرسلين فلا غرابة أن يكون جامعاً لصفات مجموعة من الأنبياء فهو أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً،وسمتاً وهيبةً برسول الله6، وبعيسى7، ويبدو من الروايات أنه يشبه خمسة من الرسل (يونس،ويوسف،وموسى،وعيسى،ومحمد: فهو يشبه يونس برجوعه من غيبته،وهو شاب بعد كبر السن،ويشبه يوسف بغيبته عن خاصته وعامته،ويشبه موسى بدوام خوفه،وطول غيبته،وخفاء ولادته،وتعب

1. بحار الأنوار 51 /88.
2. معجم أحاديث الإمام المهدي4، 305/1.
3. المهدي / آية ا...العظمى السيد صدر الدين الصدر (قدس سره) 266.
4. الحكومة العالمية للإمام المهدي، 231.
5. نمل: 59.

شيعته مما لقوا من الأذى والهوان،أما شبهه بعيسى فاختلاف من اختلف فيه حتى قالت طائفة منهم:ما ولد،وقالت طائفة:مات،وقالت طائفة: قُتل وصُلب،وأما شبهه بجده المصطفى6 فخروجه بالسيف،وقتله أعداء الله وأعداء رسوله والجبَّارين والطواغيت،وأنه يُنصَر بالسيف والرعب.

3. من المعلوم أنّ حياة البشر لا تستقيم بدون دولة تحكمهم،وتدير شؤونهم،وتنظم أمورهم لاسيما في عالمنا المعاصر الذي تعقدت فيه الحياة وتشابكت العلاقات تشابكاً كبيراً،واليوم يتجه العالم نحو الدولة العالمية الموحدة،وإلى الانتماء العالمي بدلاً من الانتماء القومي والوطني،وهذا يذكرنا بكون الناس أمة واحدة يحكمها نظام واحد هو نظام الفطرة الإلهية فطرة الله التي فطر الناس عليها كما يخبرنا بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى Γكَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍΦ،[1] وقوله Γوَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَΦ [2] لكنها أمة تختلف في حياتها عن بساطة الأمة الأولى وسذاجة عيشها وأفكارها وطموحاتها بل ستعود أمة متطورة على جميع المستويات،والجوانب: فالتطور على الصعيد الاقتصادي - كما يبدو من الروايات - أن الخيرات والبركات تنتشر في أيام دولة الإمام7 فتخرج الأرض كنوزها وخيراتها للناس،وتبدي بركاتها،ولا يجد الرجل منكم يومئذٍ موضعاً لصدقته ولا لبره؛ لشمول الغنى جميع المؤمنين، وتتضاعف البركات في الأرض لاسيما في مجال الزراعة إذ ورد عن رسول الله6 في وصف القائم أنه يخرج في أمتي المهدي،يسقيه الله الغيث،وتخرج الأرض نباتها، وتكثر الماشية، وتَعظُم الأمة،ويزرع الإنسان مدّاً وتخرج له سبعة أمداد، وأنه يقضي على نظام الإقطاع في الأراضي الزراعية وعندما نقول: إنّ الإمام الحجة4 سيأتي بدين جديد يجب أن نعلم بأنّ الشريعة السمحاء قد ختمت بالمصطفى،وشاء الله له أن يكون خاتم الأنبياء والمرسلين،وأن يكون المهدي خاتم الأوصياء بوصف النبي6 قد كافح الجهل،والظلم،والفساد لتأسيس الدولة العالمية بعد معاناة وجهاد طويلين لكنه رحل إلى المليك الأعلى عاقداً الأمل على ولده المنتظر ليسود الإسلام على وجه الأرض إذ في دولته سيسود العدل ويطبق على جميع الأرض،أما تأويل مجيئه بدين جديد هو أنّه سيأتي بأحكام واقعية لا أحكام ظاهرية فنحن الآن نعمل بأحكام ظاهرية اجتهد في استنباطها

1. بقره: 213.
2. يونس: 19.

العلماء الأجلاء بعد معاناة وسهر وصبر فإذا ظهر الإمام فإنه سوف يرجعنا إلى الأحكام الواقعية الموجودة زمن النبي6 فيتصور الناس أنّ المهدي جاء بدين جديد إذ يعيد كثير من الأحكام التي تناساها الناس وتجاهلوها بعد أن مضى عليها الزمان أي أنّه يطبق الشريعة بكاملها فيظن الناس أنه جاء بأمر جديد فمثلاً صلاة الجمعة ـ هذه الشعيرة المهمة ـ تنوسيتْ،وضُيعتْ يأتي فيوجبها فيتصور الناس أنّه قد أتى بدين جديد، والواقع أنّه يحيي الدين بعد اضمحلال، أما على صعيد القضاء فيوجد جهاز قضائي يقظ وفاعل،ووسائل مراقبة دقيقة بحيث لا يفلت مجرم من سيطرته،ولا يستطيع انتهاك عدالته،وهو عنصر يحد من انتشار الفساد،وانتهاك حرمة القانون لاسيما أنه يخرج بعد أن يستشري الفساد، ولما كان العدل يعم ربوع دولته فإنّ المرأة تقضي في بيتها بالقرآن الكريم والسنة المطهرة. وفي الروايات أنه يحكم بحكم داود فلا يسأل عن البينة،وكذا يحكم بحكم سليمان، وتشير بعض الروايات إلى أنّ النبي عيسى7 يقضي في دولة المهدي بالعدل،ويكسر الصليب،ويقتل الخنزير ،ويضع الجزية .

وأما على الصعيد الإداري فلا يختلف الإمام المنتظر عن جده في كونه رؤوفاً رحيماً بالناس ـ ومنهم المساكين ـ بيد أنه حازم وحسيب على عمّاله لذا نجده يختار للحكم ولاةً هم خيرة أصحابه الذين يتحلون بأعلى كفاءات الوالي الإسلامي من العلم،والفقه،والشجاعة،والنزاهة، والإخلاص،

وأما على الصعيد العلمي تشهد الأمة الإسلامية إبان الحكومة المهدوية تطوراً هائلاً في مختلف العلوم،لأنّ العلم سيعادل اثني عشر ضعفاً بالنسبة للعلوم والمعارف التي كانت سائدة زمن الأنبياء إلى يومنا هذا،ويفتح هذا العلم أمام الإنسان جميع أبواب التكامل الفكري،والرقي المعنوي، والتكامل الروحي فيشهد عصره تطوراً فكرياً وروحياً عالياً[8].

وأما على الصعيد الحربي فإنّ الإمام يخوض عدة حروب يستخدم فيها سلاحاً جديداً يقضي على غير المؤمن،ويترك المؤمن،ليس سيفاً وإنما نوع آخر من السلاح غير موجود حالياً وإنما ورد بتعبير السيف؛ لأنه كان أبرز سلاح يُقاتَل به في فترة صدور الأحاديث،ولما كان السيف رمزاً للسلاح أو القوة فإنه يظهر بالسلاح أو أنه يظهر بالقوة.

أما معنى حمله السيف ـ كما ورد في بعض الأحاديث ـ فهو اختياره شعاراً بيد أنّ اختيار السيف شعاراً يختلف عن اختياره سلاحاً وحيداً في معاركه إذ إنّ اختيار النسر أو المنجل والمطرقة أو النخلة أو سنبلة القمح وكذا السيف لا يعني أنها الوسائل الوحيدة التي تعتمد عليها الدولة،وإنما ترمز إلى بعض المنطلقات الفكرية أو الحيوية للدولة، فالسيف الوارد في الروايات رمز للشجاعة والاقتدار العسكري كما بشير القلم للعلم والثقافة، ومما يؤيد كون

السيف رمزاً للقوة والقدرة العسكرية السبب العقلائي الذي يتلخص بكون العودة إلى الوراء ليس أمراً ممكناً ولا منطقياً،وهو خلاف سنة الخلق وأصل تكامل الحياة،وليس هناك من دليل على جمود المجتمع،وإيقاف عجلة تطوره بغية تحقيق الحرية، والعدل، والمساواة،وإنّ قيام المصلح والمنقذ العالمي الكبير بهدف بسط الحرية،والعدل،والمساواة لا يؤدي بأي شكل من الأشكال إلى ركود أو إزالة الحركة الصناعية وما عليها من تطور،،ويحتمل أن تكون أسلحة الإمام متطورة جداً تفوق ما تملكه قوى الاستكبار العالمي من أسلحة،وتشير الروايات إلى أنّ جنود الإمام المهدي الملائكة،والرعب،والمؤمنون .

4. العولمة لا تنتج دولة عالمية منسجمة،يسودها نظام وقانون واحد؛لأنها تمارس أنواعاً مختلفة من القسر والفرض مما يؤدي إلى نشوء حالة من الممانعة عند الشعوب المختلفة تدعوها إلى التمرد على ما تنتجه العولمة من قوانين،وأنظمة لإدارة العالم فلا بد من بديل للشعوب المحرومة والمستضعفة،ولا بديل لها سوى دولة الإمام العالمية التي سوف تحقق التقارب والتواصل الحقيقي بين الشعوب عبر قنوات الاختيار والقناعة إذ كثير من الأطروحات الأرضية سوف تفشل في قيادة العالم إلى ساحل النجاة،وتحقيق الأهداف الكبرى سوى هذه الدولة الإلهية المباركة التي سوف تكون عالمية من خلال بسط نفوذها،وسيادتها على جميع المعمورة،وتكون الدولة الوحيدة في العالم التي لا تقوم بإزائها دولة أخرى،وما مجيء الولايات المتحدة إلى العراق إلا مسلسل الهدف منه القضاء على قاعدة الإمام،وانتظار خروجه لإفشال نهضته؛ لأنهم يعلمون أنّ نهايتهم ستكون على يده لذا تراهم يبحثون عن شخصيات علمائية مؤثرة في المجتمع العراقي فيغتالونها وما اغتيالهم لآية الله العظمى السيد محمدباقر الحكيم1 وقبله آية الله العظمى السيد محمدباقر الصدر،و آية الله العظمى السيد محمد الصدر آية الله العظمى الشيخ علي الغروي،و آية الله العظمى الشيخ مرتضى البروجردي من قبل صدام المجرم وجلاوزته إلا دليل واضح على بحثهم الدؤوب عن أنصاره،وأعوانه،ومازالوا يمارسون أبشع الأساليب للنيل من عقيدة المهدي،ومن ذلك تجنيدهم شخصيات متلبسة بالدين والعلم،ومن ذلك تضليلهم ثلة من الشباب بشخصية تلبست دور اليماني حتى شوهوا للناس صورة اليماني

المصادر والمراجع

1. الأربعون حديثاً في المهدي، أبو نعيم الأصفهاني تح/ علاء الزبيدي الكوفي،ط1،محرم الحرام،1428ق -2007م.
2. الأصول الستة عشر من الأصول الأولية،تحقيق ضياء الدين المحمودي بمساعدة نعمة الله الجليلي، ط1، مهدي غلام علي، دار الحديث للطباعة والنشر، 1423 - 1381ش.
3. أضواء على دولة الإمام المهدي4،السيد ياسين (دامت بركاته)، أعداد وتحقيق: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي،ط1،مط: نقارش،جمادي الآخرة 1425هـ .
4. أعلام الهداية: الإمام المهدي المنتظر خاتم الأوصياء (ج14)، لجنة التأليف،ط3،المجمع العالمي لأهل البيت،قم المقدسة، (د.ت).
5. الإمام المهدي المنتظر وأدعياء البابية والمهدوية بين النظرية والتطبيق، السيد عدنان البكاء، ط1،مركز الغدير للدراسات الإسلامية،بيروت، لبنان،1419هـ -1999م .
6. الإمام المهدي في الأحاديث المشتركة بين السنة والشيعة،محمد أمير الناصري، إشراف الشيخ محمد علي التسخيري، ط2،المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية،المعاونية الثقافية،1428هـ .ق- 2007م .
7. الإمام المهدي في القرآن والسنة،سعيد أبو معاش، ط2، مجمع البحوث الإسلامية،مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأستانة الرضوية المقدسة،إيران،1425ق- 1383ش.
8. الإمام المهدي ـ نظرة وجيزة شاملة،الشهيد آية الله السيد حسن الشيرازي، ط1426ق،1383ش .
9. بحار الأنوار،محمد باقر المجلسي، تح/ محمدباقر البهبودي،ط3، دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان، (د.ت).
10. البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري،ط1، دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان، 1408 - 1988 م.
11. التحديات المعاصرة ومشروع المواجهة الإسلامية،الشيخ محمد مهدي الآصفي،ط1، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية،المعاونية الثقافية،مركز التحقيقات والدراسات العلمية،الجمهورية الإسلامية في إيران،1427هـ .ق .
12. الحكومة العالمية للإمام المهدي،آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي،ط1،مدرسة الإمام علي بن أبي طالب7، 1384ش، 1426هـ .
13. حياة الإمام المنتظر، المصلح الأعظم / باقر شريف القرشي،ط1،مجمع الذخائر الإسلامية، مط/ شريعت،1427ق، 1385ش.
14. الخلاف، الشيخ الطوسي، تح/ السيد علي الخراساني،والسيد جواد الشهرستاني،والشيخ مهدي نجف / المشرف: الشيخ مجتبى العراقي، ط2، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة،1420 هـ .

15. سنن أبي داود، ابن الأشعث السجستاني، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،1410، 1990 م .
16. شجرة طوبى، الشيخ محمد مهدي الحائري، ط5، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف، محرم الحرام 1385.
17. صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ت).
18. عصر الظهور،الشيخ علي الكوراني العاملي ط12،دار الهدى،1425ق، 2004م.
19. الغيبة (كتاب)، محمد بن إبراهيم النعماني، تح / فارس حسون كريم،ط1، مهر ، قم،1422هـ .
20. فكر الكوثر،مجلة تصدر عن مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية، ع2، س1، خريف1428ق، 2007م.
21. في رحاب الإمام المهدي،عبد الرحيم مبارك،ط1، مجمع البحوث الإسلامية،مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأستانة الرضوية المقدسة،1426ق، 1383ش.
22. قرب الإسناد، الحميري القمي،ط1، تح / مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مط /مهر، قم، 1413 هـ .
23. الكافي، الشيخ الكليني،تحقيق وتعليق: علي أكبر الغفاري،ط3،دار الكتب الإسلامية،طهران، 1367ش .
24. كشف الغمة، ابن أبي الفتح الإربلي، دار الأضواء، بيروت، لبنان، (د.ت) .
كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، تحقيق و تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، محرم الحرام 1405، 1363 ش .
25. مجموعة الرسائل،الشيخ لطف الله الصافي، (د.ت).
26. محاضرات حول المهدي،الجزء الثاني،إعداد وتحقيق:مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي،ط1،النجف الأشرف، 1425هـ .
27. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري،تحقيق وإشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، (د.ت).
28. معجم أحاديث الإمام المهدي4، الشيخ علي الكوراني العاملي،ط1،مط: بهمن،مؤسسة المعارف الإسلامية،قم،1411.
29. الملاحم والفتن، السيد ابن طاووس، ط1، مؤسسة صاحب الأمر4، أصفهان،15 شعبان 1416 هـ .
30. المهدي،العلامة السيد صدر الدين الصدر،ط2،دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، 1422ق، 2001م .
31. المهدي المنتظر (ق1) - موسوعة المصطفى والعترة،حسين الشاكري،ط1،نشر الهادي،1420هـ .ق .
32. الميزان في تفسير القرآن،العلامة السيد محمدحسين الطباطبائي،دار الكتب الإسلامية،طهران، (د.ت).

33. نهج الإمام المهدي في الحكم،من بحوث المرجع الديني السيد صادق الشيرازي، ط1،مطبعة نينوى، قم المقدسة، مؤسسة دار المهدي والقرآن الكريم، (د.ت).
34. نوادر المعجزات، محمد بن جرير الطبري الشيعي،تح / مؤسسة الإمام المهدي4، ط1، مؤسسة الإمام المهدي4، قم المقدسة،1410هـ .

ولاية الفقيه والأبعاد الفلسفية والسياسية للتمهيد

الدكتور محمد عبداللاوي[1]

مدخل

إن هذه المرحلة التاريخية هي مرحلة الوقاحة السياسية التي هيمن الغرب عن طريقها على العالم،[2] إلى درجة أن نظرية نهاية التاريخ أقفلت التاريخ و كأن محور طنجة- جاكارتا لا وجود له، لأن البشرية بالنسبة للغرب أصبحت تعيش في عصر بديهيات فصل الدين عن السياسة و نسبية القيم الأخلاقية. في هذا العصر تأسست دولة الثورة الإسلامية على ثوابت العقيدة و الأخلاق و أصبح الشعب الإيراني لا يحمل أسئلته الخاصة به فحسب بل يحمل أسئلة كونية و يتطلع نحو مصير كوني: إيران القضية و الرؤية تجاوزت إيران الجغرافية،[3] فالأمة الإسلامية أصبحت منذ الثورة الإسلامية تفكر الحاضر بالمستقبل، وأصبح هذا التفكير بالمستقبل متجسدا في مؤسسات الجمهورية الإسلامية و في دستورها، أي أصبح تمهيدا و تحولت الحالة الانتظارية إلى حالة تمهيدية لتحقيق مشروع.

1. ولاية الفقيه و حقيقة التمهيد

و هنا تتجلى حقيقة ولاية الفقيه و حقيقة دورها و حقيقة مفهوم التمهيد الملازم لمفهوم الولاية.

لقد حولت ولاية الفقيه محاولة توحيد الأمة و تقدمها من طوباويات المدن

1. قسم الفلسفة، جامعة وهران، الجزائر.
2. الإمام الخميني أتى برؤية جديدة إلى السياسة فتحت آفاقا واسعة في مجال البحث: «السياسة عبادة».هذه الرؤية تحرر الفكر السياسي المعاصر من الأزمة القاتلة.
3. وهذه حقيقة من حقائق أحاديث الرسول6 حول الفرس: «سلمان منا أهل البيت»، يمكن القول بأن الشعب الإيراني شعب نبوي، أي رسالي.

الفاضلة[1] إلى " تمهيد "، فولاية الفقيه حررت الأمة من الطرح المزيف: الخيار بين التفاؤل الطوباوي والتشاؤم الأعمى، فالشعوب يئست من الأنظمة السياسية الحاكمة، ومن هنا التناقض بين " الانتظار " والأنظمة السياسية، فالانتظار كتطلع عقائدي لا يضاهيه أي تطلع، فهو يقتضي نظاما سياسيا قائما على التفاعل بين المجتمع و الدولة تفاعلا انتمائيا ينبع من ذات الفرد عن اقتناع داخلي، وهذه هي حقيقة العلاقة بين الدين والسياسة والمجتمع والدولة التي تتمحور حول ولاية الفقيه، أي حقيقة الديمقراطية الدينية التي تربط عصر الغيبة بالإمامة عن طريق ولاية الفقيه، إن التساؤل عن علاقة الأمة بالامامة و عن علاقة الأمة بالمستقبل الموعود: هذان السؤالان متلازمان و خطيران لأن على أساس الإجابة عليهما يتعلق مصير المسلمين، بل مصير كل البشرية.

لقد جاءت الثورة الإسلامية كإجابة على هذه الأسئلة. فالثورة بقيادة ولاية الفقيه، والدولة بتمحورها حول ولاية الفقيه: هذه هي الحقيقة العقائدية والعقلية والعملية والسياسية والتاريخية لصورة علاقة الأمة بالإمامة و بالواقع و بالمستقبل الموعود، فخارج هذه الصورة يفتح الباب على مصراعيه للتخلي عن ثوابت خط أهل البيت:: التخلي عن مفهوم الغيبة ومفهوم الانتظار ومفهوم ولاية الفقيه كنيابة عن الإمامة، فالنيابة تقتضي القيادة ورسم الآفاق لا مجرد النصيحة للمسؤولين والدعاء لهم فيتحول الولي، لا سمح الله، إلى واعظ للسلاطين! فهذه الرؤية تحول ولاية الفقيه إلى مجرد حالة تفكر اليوم لليوم ولا تفكر الحاضر بالمستقبل، فالمساس بصلاحيات ولاية الفقيه هو بمثابة قتل لمستقبل المسلمين والبشرية، فلا دولة ممهدة بدون قيادة ولاية الفقيه ولا إستراتيجية للتمهيد بدون ولاية الفقيه، لأن ولاية الفقيه هي " النيابة ". فدورها بحجم المشروع الكوني، فالتركيبة العقائدية والتاريخية لولاية الفقيه تحمل قيما ومفاهيم تؤسس لنظام سياسي إعجازي وتؤسس لإستراتجية في مستوى وحجم هذا النظام السياسي، إن ولاية الفقيه لا تحملها الأحداث، ليست مجرد منتوج تاريخي[2] بل هي " اجتهاد " و" نيابة " أي فكرا ينشط في إطار معنى عقائدي وعقلي للتاريخ والسياسة، لذلك فالولاية توجه التاريخ، هي قوة فاعلة وليست منفعلة. إن الولي الفقيه يستوعب بعمق معنى التاريخ: عقائديا وتاريخيا، فالولي الفقيه يقوم بدوره كنائب عن الإمام. هذه هي حقيقة ولاية الفقيه، فالمسألة ليست مسألة شخص زعيم أو حزب أو منتوج صراع سياسي. فالولي يتجاوز مرحلة الحكومة ويتجاوز حالة ومرحلة الحزب، بل يتجاوز حتى المرحلة التاريخية.

1. مفهوم المدينة الفاضلة في الفلسفة الإسلامية وعجزه عن تعبئة الشعوب الإسلامية. وعلى العكس من ذلك فإن فكر ولاية الفقيه يعبر عن الطاقة التغييرية الكامنة في عمق ذهنية الشعوب.
2. لذلك لا يمكن فهم حقيقة ولاية الفقيه عن طريق إستمولوجية العقل الوضعي الذي يفسر الظواهر عن طريق النزعة التاريخية. فولاية الفقيه تستمد حقيقتها من التاريخ ومن ما يتجاوز التاريخ.

فالولاية مسؤولة عن العصر وعن المستقبل: مستقبل إيران و العالم الإسلامي و البشرية كلها. لذلك تفكر دولة الولي الفقيه بمنطق التفكير الاستراتيجي المتفاعل مع منطق القيم الأخلاقية، فولاية الفقيه هي وحدها القادرة والمؤهلة لتوجيه حركة التاريخ نحو المستقبل الموعود.[1]

يمكن القول في هذا السياق بان فصل الدين عن السياسة أنتج في العالم الإسلامي التخلف و التبعية و الاستبداد، لكن عدم الفصل بين الدين و السياسة بصورة غير اجتهادية بالمعنى العقائدي و المعرفي، أنتج ثيوقراطية مقنعة بالمؤسسات، هذا الطرح لعلاقة الدين بالسياسة هو من المصادر الأساسية لمآسي المسلمين. الثورة الإسلامية فتحت المجال لتحرير المسلمين من هذه الأزمة القاتلة عندما ربطت السياسة بالدين عن طريق الاجتهاد كما يتجلى اليوم في قيادة ولاية الفقيه. إن الصورة الاجتهادية لعلاقة الدين بالسياسة تنفي الثيوقراطية بصورة جذرية و تنفي كذلك السياسة التي تكفي نفسها بنفسها عن طريق الأغلبية كمرجعية مطلقة[2]. و هذا ما يتجلى في تبني النظام السياسي في إيران الديمقراطية الدينية كأداة للتمهيد و ليس للديمقراطية بإطلاق. و معنى هذا أنه لا يمكن لأي نظام سياسي اليوم أن يتمتع بالطاقة المستقبلية مثل ما يتمتع به النظام السياسي الإيراني.

لقد أصبحت كل النظريات السياسية نظريات تابعة للمجتمع و حركته عبر التاريخ، في حين أن ما يجري في إيران، خاصة منذ قيام الثورة الإسلامية، أن الفكر السياسي (نظرية ولاية الفقيه) هو الذي يقود المجتمع لأن النظرية السياسية التي تتمحور حول ولاية الفقيه تتمتع بالطاقة القيمية والمفاهيمية التي تجعل دورها دورا قياديا يرسم الآفاق للدولة، فمن التناقض تصور ولاية الفقيه من حيث هي نيابة تابعة للمجتمع و للتاريخ، أي مجرد انعكاس للواقع. لأن الواقع هو دائما ما يجب تغييره ولأن التاريخ اليوم (أي التاريخ القائم و المهيمن) هو المصير الذي تريد أن تفرضه أمريكا على العالم.

و هكذا فولاية الفقيه تتجاوز حدود القيادة السياسية و تتجاوز الدور الاستراتيجي لهذه القيادة. فالولاية عصر. هي عصر الغيبة، فولاية الفقيه تقود عصرا إلى عصر آخر، أي تقود عصر الغيبة إلى عصر الظهور، فالمستقبل المهدوي يبقى دائما هو مصير الأمة و العالم، و لا يمكن لأي نظام سياسي أن

1. هذه القدرة تستمدها ولاية الفقيه من مرجعيتها (النص الموحى) الذي يقوم على أساسه الاجتهاد.يمكن الرجوع إلى منشورات المعارف الإسلامية الثقافية:
   1. ولاية الفقيه في عصر الغيبة. (بدون ذكر المكان والتاريخ وبدون ذكر المؤلف)
   2. أو بحوث في ولاية الفقيه (نفس الامر)
   ويمكن الرجوع الى د . فرح موسى: مبدأ الشورى بين ولاية الفقيه والامة .بيروت. دار الهدى 2000
2. ينتقد الفكر العربي اليوم الديمقراطية ومرجعيتها (أي الاغلبية) وينظر لنهاية الديمقراطية - أنظر:
   J.M.Guehenno : La fin de la democratie – Paris, Flammarion, 1993

يقود الأمة نحو هذا المستقبل العقائدي إذا لم يكن متفاعلا عقائديا و معرفيا مع هذا المستقبل، إذا لم يكن جزءا منه. وولاية الفقيه هي وحدها التي تحقق هذه الشروط .فولاية الفقيه لايمكن فهم حقيقتها ودورها بدون عصر الغيبة،ودولة عصر الغيبة لايمكن فهم حقيقة دورها وقيادتها بدون ولاية الفقيه التي تتميز علاقتها بالزمان السياسي و الزمان التاريخي عن طريق الزمان المهدوي و ما يقتضيه من إستراتيجية المسافات البعيدة. هذه الإستراتيجية ليست حالة انتخابية أو مجرد تنظير، بل هي حالة عقائدية واجتهادية تقتضي المعرفة والانتماء العقائدي لا مجرد الانتماء السياسي. لذلك يؤكد دستور الجمهورية الإسلامية على الدور المحوري والقيادي لولاية الفقيه في مجال رسم إستراتيجية الدولة في المجالات الأساسية والمصيرية. هذه الإستراتيجية ذات طاقة قيمية ومستقبلية تجعل الجمهورية الإسلامية تسير أحيانا في مسار معاكس لمصالح إيران في حدودها الوطنية، مثلا مجابهتها لإسرائيل ولأمريكا والعقوبات بل والحروب المترتبة عن ذلك، بل والعداء الشديد للأنظمة العربية لإيران في حين أن موقف الجمهورية الإسلامية هو ما تريده الشعوب العربية والإسلامية.

إن التركيبة العقائدية و التاريخية لولاية الفقيه هي التي تهيؤها لتصور آفاق مستقبلية و دورا استراتيجيا للجمهورية الإسلامية في القرن الحادي و العشرين من موقع رؤية بديلة إلى حركة التاريخ تتجاوز التاريخ المهيمن الذي جعل مصيرالبشرية مصيرا أمريكيا عن طريق نظرية نهاية التاريخ[1]. فإستراتيجية الجمهورية الإسلامية هي النقيض لروح العصر بالمعنى الهيجلي و الأمريكي: هي إستراتيجية التأسيس لما يجب أن يكون عليه العصر لأن الجمهورية الإسلامية هي دولة التمهيد أي دولة التطلع.

2. التمهيد وإستراتيجية إعادة البناء[2]

فالاجتهاد يحرر ولاية الفقيه من الأسر الفكري لروح العصر ويفتحها على الإبداع و إدراك آفاق دولة التمهيد عن طريق تصور المستقبل و تحديد توجهاته. فالاجتهاد الذي يقوم على أساس علاقة النص الموحي بالتاريخ و الثابت بالمتغير، يتمتع بالطاقة المعرفية التي تسمح له بترجيح التوجهات المستقبلية التي تجعل الدولة في وضعية تمهيد أي في وضعية إعادة البناء. وهذا عكس الأنظمة السياسية السائدة في العالم الإسلامي التي لا تتجاوز حدود التابع للغرب والمستجيب لمصالحه. فإذا كانت الجمهورية الإسلامية دولة ممهدة. أي دولة تسير في مسار الثورة وإعادة البناء فإن دول الأنظمة السياسية

1. بدأ الفكر الغربي ينظر اليوم للرعب من المستقبل بدلا من التنظير للتقدم.
2. مفهوم إعادة البناء مفهوم إ بستمولوجي يمكن تحليل مفهوم الثورة من خلاله.

في العالم الإسلامي تسير في اتجاه معاكس: مسار التراجع والهدم لمستقبل الشعوب، فولاية الفقيه فتحت الطريق للمأسسة لنظام عالمي جديد من خلال نقدها لمنظمة الأمم المتحدة ولحقوق الإنسان ولمنظمة العدل الدولية. الولاية انتقدت هذه المؤسسات من حيث هي مؤسسات تغلق الآفاق أمام الشعوب المستضعفة وتوظف للحفاظ على مصالح الأقوياء. وهذا يدل على أن الجمهورية الإسلامية ليست نظاما سياسيا لمشاريع صغيرة قومية أو إقليمية بل هي نظام سياسي لدولة ممهدة تؤسس لكونية جديدة غير الكونية الغربية وتؤسس لحداثة جديدة غير الحداثة الغربية. فالدولة الممهدة تدرك بعمق عقائدي أن هذا التاريخ ليس هو التاريخ الصحيح، ليس هو تاريخ الحقيقة،[1] فهو لا يتخذ موقعه في مسار استمرارية مرجعية الرسالة والإمامة، لذلك فهو ليس تاريخ تحقق الأمة وتطورها، ففي هذا السياق تستمد إستراتيجية إعادة البناء كل معانيها العقائدية والأخلاقية والسياسية.

إن وجود الإمام المهدي4 في عصر الغيبة عن طريق النيابة (ولاية الفقيه) يعني وجود 'النفي' [2] أي رفض الواقع كأمر واقع. وهذا يؤدي وقد أدى بالفعل إلى إستراتيجية معيارية السياسة ومعيارية توجيه الدولة في خط الثورة، أي إستراتيجية تحرير الممارسة السياسية من السير في مسار الخضوع للواقع أو التكيف معه كأمر واقع. وهكذا فالرفض المهدوي هو رفض إبداعي فجر الثورة وأسس الدولة، فهو ليس مجرد رفض ظرفي ينتج الهروب التعويضي من الواقع القاسي، فالرفض المهدوي أنتج إستراتيجية التجاوز، لكن هذا التجاوز له خصوصيته لأنه يختلف عن كل أنواع التجاوز التي أنجزت التغيير وأنتجت الثورات على غرار الثورة الفرنسية والثورة البلشوفية والثورة الصينية لأن التجاوز الملازم للمهدوية والمتجسد اليوم في إيران في الدولة الممهدة وإستراتيجيتها هو تجاوز يستمد مصدره من ما يتجاوز التاريخ لامن التاريخ. ويمكن القول في هذا السياق بأن إستراتيجية الدولة الممهدة متحررة من العوامل التاريخية من موقع توجيهها لامن موقع الخضوع لها. فإستراتيجية التمهيد تستوعب الآفاق بصورة استباقية منقطعة النظير بفضل ربطها للعوامل التاريخية بالعلامات[3]: علامات الظهور، وهذا ما يجعل من إستراتيجية التمهيد إستراتيجية البديل الكوني الذي لا يخضع للتركيب بين الليبرالية والماركسية

1. ويعتبر هذا الموقف تأسيسا لاسنمولوجيا جديدة خارج الاسنمولوجيا المؤسسة للنزعة التاريخية كمرجعية مطلقة.

2. مفهوم النفي أو السلب نظره هربارت ماركوز. هذا المفهوم يؤسس للثورة. أنظر:
H. Marcuse : Raison et Révolution, Paris, Minuit 1968, P 165.

3. هنا يمكن فتح مجال واسع للبحث للتنظير لقراءة عرفانية للتاريخ ولحركة الامة عبر التاريخ وآفاق هذه الحركة. وفي هذا السياق يمكن ربط مفهوم العوامل التاريخية أو الشروط بمفهوم العلامات (علامات الظهور).

بل يتجاوز كل البدائل، فإذا كان الواقع القائم اليوم يثبت أن حقيقة التاريخ المهين تستمد مصدرها من القوة والعنف وان السياسة الملازمة لهذا التاريخ هي سياسة مبنية على القوة والمعايير المزدوجة وقهر الآخر، فإن إستراتيجية الجمهورية الإسلامية تؤسس لتاريخ آخر ولحقيقة أخرى مبنية على القيم وعلى القانون وعلى العدالة في مجال العلاقة بين الدولة والمجتمع وفي مجال العلاقات الدولية.

لذلك يمكن القول بأن المهدوية تتجاوز المثالية. فإيران تقدم في هذا العصر حالة استثنائية في مجال علاقة السياسة بالمستقبل وعلاقة الواقعي بالمثالي، فعادة يصعب، إن لم يستحيل تصور مؤسسات تسعى إلى تجسيد نموذج سياسي وحضاري مثالي على غرار دولة الإمام المهدي4 من موقع التمهيد، فإدخال المؤسسات في قيم ومقولات نموذج مثالي عملية توصف عادة بأنها مثالية مجردة أو طوباوية وخيال، لكن الواقع يثبت منذ قيام الثورة الإسلامية أن هذا ما تحاوله التجربة السياسية في إيران، وهذا ما تحاوله الإستراتيجية الموجهة لهذه التجربة، ففي هذا السياق هناك تفاعل بين الواقعي والمثالي وليست هناك قطيعة بينهما، وترجع أسباب هذه الظاهرة الاستثنائية إلى الطموح التاريخي للشعب الإيراني وإلى حقيقة وتركيبة القيادة (ولاية الفقيه) ودولتها، إضافة إلى ما تقدم فإن هذه المثالية التي هي في تحقق مستمر عن طريق المؤسسات تقوم على أساس علاقة انتمائية وتفاعلية بين المجتمع والدولة، أي على أساس الديمقراطية الدينية،[1] في حين أن التجربة تثبت أنه كلما كانت القيادة مثالية كلما كانت أكثر استبدادا، فالمستبد هو المثالي بلا منازع والمثالية مثالية قاتلة[2]. مثلا الثورة الفرنسية ودولتها ونفس الأمر بالنسبة للثورة الاشتراكية. وهكذا فالنظام السياسي الإسلامي في إيران هو نظام سياسي إعجازي يتحقق عن طريق إستراتيجية منقطعة النظير لأنها إستراتيجية تسعى إلى تحقيق السياسة بمعناها الحقيقي، أي السياسة التي تلتزم بالقيم العقائدية والأخلاقية. سياسة تعيد بناء تاريخ معاكس لروح العصر، أي للعصر الأمريكي، ولكن رغم ذلك فإن هذه الممارسة السياسية (التمهيد) ليست طوباوية أو حلما. أي ليست رفضا لحركة التاريخ بل هي نقد ورفض لحركة التاريخ بالمعنى الغربي الهيجلي. أي هي رفض جذري لروح العصر بالمعنى الهيجلي،[3] فالممارسة السياسية والإستراتيجية للجمهورية الإسلامية تسعى إلى اتخاذ موقعها في حركة الأمة

1. الفكر السياسي العربي ينظر الآن لأزمة الديمقراطية:
J.M.Guehenno : La fin de la democratie – Paris, Flammarion, 1993.
2 .J.Y – Lacroix : Utopie et philosophie – Paris, Bordas, 2004, P 284-285.
3. التاريخ عند هيجل يجسد الله، هو الله، أنظر:
Hegel : La Raison dans l'histoire. Paris, UGE 1965.

عبر التاريخ انطلاقا من الخط الرسالي الذي جسده أهل البيت:. فليس هناك رفض مطلق ولا مشروط للتاريخ، بل هناك رفض للتاريخ المهيمن باسم التاريخ البديل الذي يجسد حقيقة الأمة الإسلامية كأمة في تحقق مستمر.

في هذا السياق تتجلى حقيقة علاقة الدولة بالثورة الإسلامية. لقد أسست ولاية الفقيه لديمقراطية تجسد القيم الروحية والأخلاقية والسياسية للتوحيد ولم تتركها للأغلبية فحسب، لأن الأغلبية إذا كانت شرطا ضروريا للديمقراطية فإنها ليست شرطا كافيا،[1] وإذا كان المجتمع اليوناني قد صاغ مقولات العقل، والثورة الفرنسية قد أسست حكما جمهوريا وحاولت أن تكون ثورة كونية أكثر منها ثورة فرنسية أو أوربية، وهذا ما جعل هيجل يرى بأن أوربا هي نهاية للتاريخ. غير أن الثورة الفرنسية أنتجت القومية والاستعمار.

ومن هنا فهي ثورة لا مستقبل لها، ونفس الأمر بالنسبة للثورة الماركسية. فكل هذه الثورات رغم كثير من إيجابياتها هي ثورات محدودة الأفق ولا مستقبل لها بسبب غياب المرجعية الضرورية والكافية. إذا كان الأمر كذلك فإن الثورة الإسلامية أسست لرؤية جديدة إلى السياسة وإلى الدولة والديمقراطية والعلاقات الدولية، فالجمهورية الاسلامية إسلامية ولا صفة أخرى لها كما اكد الإمام الخميني1، وهذه هي الحقيقة الكونية لدولة ما بعد الثورة الاسلامية، فهي دولة المعنى: معنى السياسة ومعنى التاريخ ومن هنا كونية قيادتها (ولاية الفقيه) وكونية آفاقها المستقبلية، لذلك فالثورة الإسلامية لن تقف عند إيران[2].

هي ثورة تعيد صنع التاريخ وتعيد بناء الأمة الإسلامية كمجتمع مفتوح نحو كل الشعوب والثقافات، وهذه هي الكونية الحقيقية الملازمة للدولة الممهدة بقيادة ولاية الفقيه. فإعادة بناء الأمة الإسلامية هي إعادة بناء منفتحة على البشرية كلها لأن الأمة الإسلامية مجتمع كوني وليست شعب الله المختار أو الأرض الموعودة.

إيران تساءلت: طرحت السؤال المنتج للفكر وللممارسة في عصر موت السؤال وإقفال التاريخ، لقد انتهى القرن العشرون ولم يحسم الفكر الغربي

1 .J.M.Guehenno : La fin de la democratie – Paris, Flammarion, 1993.

2. يمكن القول بأن إيران بأعراقها وقومياتها وثقافتها الإسلامية هي «أمة» أي نوعا داخل الوحدة الكونية على غرار الأمة الإسلامية.

موقفه حول معنى التاريخ وموقع السياسة في هذا المعنى للتاريخ،[1] لقد تأرجح هذا الموقف بين نظرية نهاية التاريخ لفوكوياما ونظرية صدام الحضارات لساموبل هنتنجتون، فالبشرية بالنسبة لفوكوياما بدأت تعيش نهاية التاريخ بعد سقوط جدار برلين،[2] في حين يتوقع هنتنجتون صراعا حضاريا يتخذ موقعه بديلا للصراع الإيديولوجي والاقتصادي بين الشرق والغرب، فما هو موقع العالم الإسلامي من هذه الصيغة الجديدة للعالم؟ لا وجود لدولة في العالم الإسلامي تطرح هذا السؤال بصورة جدية وبناءة باستثناء النظام السياسي في إيران. أي لا وجود في العالم الإسلامي، وفي العالم على العموم، لرؤية أخرى غير الرؤية الغربية لنهاية التاريخ وصدام الحضارات، لرؤية تتم ممارستها سياسيا وثقافيا باستثناء إيران، فإيران أسست لرؤية جديدة إلى التاريخ غير الرؤية الغربية أي غير الرؤية الهيجلية والماركسية.

إن القرن الواحد والعشرين هو قرن إيران والأمة الإسلامية، لأن إيران نظرت ومارست عن طريق الدولة الممهدة المتمحورة حول ولاية الفقيه لعلاقة الدين بالسياسة والواقع بالمثال والفرد بالمجتمع وعلاقة الدولة بالمجتمع والديمقراطية بالدين والأمة بالآخر، وحقيقة الحرية. فكل هذه القضايا لم يستطع الفكر الغربي أن يجد حلا لها، بل اصطدم بالانسداد بسبب اعتماده على العقل الوضعي المنقطع عن الله. لقد أعطت إيران موقعا للشعوب الإسلامية على الصعيد العالمي الذي يسيطر عليه الغرب، فإيران أعطت للعالم الإسلامي وجودا سياسيا وثقافيا، العالم الإسلامي بدأ يعود إلى التاريخ عن طريق الثورة الإسلامية ودولتها، عاد إلى التاريخ بعد أن خرج منه بسبب تأرجحه في المجال السياسي بين واشنطن وموسكو. أي بين الرأسمالية والاشتراكية الماركسية. ففي زمان موت الطوباوية والرعب من المستقبل أعادت ولاية الفقيه الأمل والطموح إلى الأمة بتأسيسها للدولة الممهدة، دولة تحقق المستقبل الموعود.

وهكذا أجابت ولاية الفقيه، نظريا وعمليا، عن أكبر وأعقد سؤال عجزت عن الإجابة عنه كل الأنظمة السياسية وكل الثورات: ماذا بعد الثورة؟

كان التحدي الذي ينتظر الثورة الإسلامية إعطاء دولة في حجم هذه الثورة، فجاءت الجمهورية الإسلامية بقيادة ولاية الفقيه كاستمرار للثورة، أي كدولة ممهدة، فحجم الثورة الإسلامية بمبادئها وأهدافها لا يمكن أن تجسده إلا سياسة التمهيد: التمهيد لمشروع كوني بقيادة كونية، كونية ولاية الفقيه كنيابة.

1. J.Y . Calvez : Peut- on se passer de «sens de l'histoire?» Etudes, Paris, Janvier 2002, P 17-28.

2. توقع الإمام الخميني: سقوط الإتحاد السوفياتي وسقوط النظام الرأسمالي - رسالة الإمام إلى غورباتشوف.

لقد أنهى الفكر الغربي التنظير للسياسة والاقتصاد بعد أن أنهى الميتافيزيقيا عن طريق العقل الوضعي. فالفكر الغربي حسم الأمر بإنهائه للتاريخ أي إنهائه لكل تطلع نحو نموذج خارج النموذج الليبيرالي الأمريكي وخارج العقل المنفصل عن الغيب، في هذا الجو العدمي الذي قتل الإنسان بعد أن قتل الألوهية جاءت الثورة الإسلامية وأسست دولة تضع الإنسان الذي صاغه الفكر السياسي في القرن العشرين والذي حوله الغرب إلى مجرد أداة اقتصادية، لتضع هذا الإنسان موضوع سؤال، هذا السؤال أتى بالإجابة عن تطلع الإنسانية اليوم إلى 'المعنى': معنى الإنسان ومعنى التاريخ ومعنى السياسة.

3. التمهيد نقيض للتحديث

لا يمكن تأسيس دولة وصياغة إستراتيجية محررة للشعوب الإسلامية بدون نقد جذري للحداثة. فالتمهيد الذي يغير التاريخ هو التمهيد الذي يقوم على عقل غير عقل الأنوار، أي عقل الحداثة جملة وتفصيلة.

لقد قدمت ولاية الفقيه مشروعا سياسيا وحضاريا جديدا، مشروعا نقديا وإنقاذيا، كل النظريات استهلكت رغم أنها وصلت إلى مستوى القداسة، هذا العصر في حالة انتظار كوني لنظرية جديدة في المجال السياسي والاجتماعي والثقافي. فالمشروع البديل الذي يتمتع وحده في هذا العصر بالقدرة على تجاوز أزمة الفكر المعاصر وتجاوز انسداد الأفق هو مشروع ولاية الفقيه.[1]

لذلك يمكن القول بأن تحديث إيران هو قتل للأمة الإسلامية ولمستقبل البشرية كلها، فالفكر الملازم لولاية الفقيه هو الفكر الوحيد اليوم الذي يتمتع بالقدرة على فتح الطريق لحل مشاكل وقضايا العصر. فولاية الفقيه بنقدها لعقل الأنوار واعتمادها على العقل المنفتح على الله قد كسرت الانسداد الذي اصطدمت به الحداثة وما بعد الحداثة وفتحت الأفق لإنقاذ البشرية.

إن الفكر الغربي لم يع بعد بأن انفتاحه على إيران ضروري لمصير العالم، فإيران اليوم هي ما بعد بعد الحداثة. أي ما بعد عقل الأنوار وما بعد فلسفة كانط[2] وهيجل[3] وماركس[4] وفوكوياما[5].

فمن هذا المنظور أن النظام السياسي الإيراني " بنيان مرصوص " وأن

1. أنظر في هذا السياق إلى كتابات السيد محمد باقر الصدر حول التغيير والمشروع من خلال مفهوم المثل الأعلى. خاصة في كتابه التفسير الموضوعي - نشر أهل البيت: لندن 1982.
2. Kant
3. Hegel
4. Marx
5. Fukuyama

إيران هي نور الله الذي لا يمكن إطفاؤه.

وهكذا فهناك أزمة قاتلة تقتضي حلا جذريا، فالأفق مسدود ولا يمكن تجاوزه إلا عن طريق ما يتجاوز التاريخ. وهذه هي حقيقة الفكر الاجتهادي الذي تقوم على أساسه عملية التمهيد، ودولة التمهيد. فالزمان السياسي في إيران ليس زمان التاريخ الذي أسست له فلسفات التاريخ في الغرب، بل هو زمان سياسي مهدوي بقيادة ولاية الفقيه، أي بقيادة فكر تتجاوز مرجعيته التاريخ. فلو كان العقل المنظر للجمهورية الإسلامية مجرد عقل ينتج المعرفة نتيجة للعلاقة بين الذات والموضوع، لو كان الأمر كذلك لما أمكن تصور أية محاولة لإعادة بناء الدولة والمجتمع خارج الحداثة، ولتحولت إيران إلى تابع للغرب ومستغرقا في التاريخ المهيمن، ولكن الجمهورية الإسلامية هي دولة ولاية الفقيه، أي دولة الفكر الاجتهادي الذي يتجاوز ثنائية الذات والموضوع أو الفكر والموضوع. ففكر ولاية الفقيه هو فكر "نيابة اجتهادية"، فهذا المفهوم لا يستمد مرجعيته من التاريخ فحسب بل من ما يتجاوز التاريخ أي من النص الموحى ومن عصمة النبوة وعصمة الإمامة[1]. ومن هنا عمق النقد الذي توجهه ولاية الفقيه للعقل الوضعي وللحداثة على العموم. فالنقد أسس للقطيعة مع التحديث وفتح المجال للتغيير والتجديد، لذلك لا يمكن أن يكون التمهيد مجرد تكيف، أي لا يمكن أن يكون تحديثا فيصطدم بالعدمية و الرعب من المستقبل و مآسي نظرية نهاية التاريخ،[2] لقد تسرع العقل الغربي فأنهى التاريخ موازاة بسقوط جدار برلين: فكل شيء يجب أن يكون بالمنظور الغربي في صورته الأمريكية. في حين أن ولاية الفقيه رأت في سقوط جدار برلين نهاية للتاريخ الهيجلي و الماركسي و فتح المجال لتجاوز التحديث عن طريق التمهيد،[3] فمن منظور ولاية الفقيه إن البشرية دخلت، بعد سقوط جدار برلين، في مرحلة تحتاج إلى رؤية جديدة في مجال القيم و الثقافة و السياسة . فالنموذجية لا تكمن في الديمقراطية اللبرالية و لا تكمن في الوحدة الأوربية. فهذان النموذجان هما مجرد استمرار للاستعمار و استغلال الشعوب. فالنموذجية بدأت تتأسس في إيران عن طريق دولة الثورة، أي الدولة التي أدخلت الأمة في مرحلة التمهيد. أي مرحلة التغيير و التجديد و ليس التحديث. فهناك في إيران اليوم رؤية خارج الحداثة إلى الثقافة و السياسة و التقدم و الدين و التاريخ والعلم والتكنولوجيا والعمل والإنتاج والاستهلاك وحقيقة الفرد والمجتمع.

---

1. الفكر الاجتهادي يقوم على أساس علاقة الذات بالموضوع أي الفكر بالواقع وبالتاريخ من خلال متطلبات النص الموحى ومن خلال عصمة النبوة وعصمة الإمامة.
2. كل هذه المفاهيم يدرسها اليوم الفكر الغربي.
3. أنظر: رسالة الإمام إلى غورباتشوف.

فالجمهورية الإسلامية دولة " أخرجت " لتبقى، إستراتيجيتها ليست إستراتيجية حزب أو دولة قطرية بل هي إستراتيجية دولة تؤسس لتاريخ جديد.

4. التمهيد و آفاق استحقاق الإمداد الغيبي:

إن هذا التأسيس لتاريخ جديد يتخذ موقعه في مسار التطلع نحو استحقاق الإمداد الغيبي،[1] مسؤولية الأمة حاضرة في عصر الغيبة المهيء للظهور لأن العوامل التاريخية حاضرة و هي ضرورية لدفع الأمة في مسار الظهور ولكنها غير كافية . إن تدخل الإنسان لاستحقاق الإمداد الغيبي يخرج الظهور من التسلسل الحتمي للأحداث ليجعل منه " انبثاقا " على غرار النبوءة[2]. إذن هناك إستراتيجية في التعامل مع المسار الحتمي للتاريخ و هناك إستراتيجية مسار الاستحقاق. وهذه الإستراتيجية الأخيرة هي التي تلازم التمهيد بقيادة ولاية الفقيه. فعلاقة الواقعي بالمثالي، أي علاقة الأمة بالمستقبل الموعود تتم من خلال ممارسة الأمة في التاريخ ومع التعامل مع عوامل التاريخ لتصل إلى مرحلة استحقاق الإمداد الغيبي، فتغيير العالم ليس هو الهدف الأسمى والنهائي على غرار المهدويات الوضعية من ليبرالية واشتراكية. في المهدوية الإسلامية تغيير العالم مرحلة في المسار نحو هدف كوني لا يمكن أن تحققه كل المحاولات البشرية عبر التاريخ إذا كانت مرجعيتها في حدود التاريخ والمجتمع دون البعد المتعالي. أي دون البعد الغيبي. فتغيير العالم في هذا السياق (سياق التمهيد) يفتح المجال للاستحقاق أي للإمداد الغيبي الضروري والكافي لإحداث التغيير الكوني (الظهور) الذي لا تستطيع الحتمية التاريخية أن تحققه و تصل إليه.

وهكذا فالهدف من إعادة البناء (دولة الثورة أو دولة التمهيد) ليس هدفا طوباويا على غرار المدن الفاضلة، و ليس هدفا تنتجه الحتمية التاريخية بل هو هدف « منتظر» انتظارا عقائديا يقتضي حضور مسؤولية الإنسان و التزامه، أي يقتضي التمهيد و قيادة التمهيد.

هذه الرؤية تضع العلوم الاجتماعية موضوع سؤال، فالمهدوية تتجاوز إمكانيات المنهج العلمي الذي تعتمد عليه العلوم الاجتماعية، هذه العلوم عاجزة عن فهم حقيقة المهدوية التي تتضمن تدخل العوامل التاريخية في أفق استحقاق الإمداد الغيبي الذي يخرج الظهور من حتمية التاريخ، أي من التلازم الحتمي بين المراحل التاريخية. أي من التلازم بين المقدمات والنتائج لأن الظهور

1. أنظر: مرتضى مطهري. الإمداد الغيبي والإيمان. بيروت. أهل البيت. 1983.
2. فيما يخص مفهوم الانبثاق انظر - الصدر: الرسول والرسالة والمرسل. بيروت. أهل البيت 1982.

انبثاق، لكنه انبثاق يقتضي حضور مسؤولية الإنسان وتدخله في مجرى الأحداث. هذا التدخل يتخذ معنى الانتظار الايجابي. أي التمهيد، مفهوم التمهيد يعني أن التاريخ منفتح على ما يتجاوزه، فالتمهيد ظاهر باطنه الظهور كانبثاق يتجاوز حتمية حركة التاريخ. لذلك تعتمد الأمة على الفعل وعلى الدعاء في نفس الوقت. وهذا هو التمهيد: الفعل المنفتح على الغيب، فالأمة " لا تعجل " بل الله تعالى هو الذي " يعجل " الظهور لما تصل الأمة إلى مستوى الاستحقاق. لذلك فليس هناك توقع أو تنبؤ بالمعنى العلمي على غرار ما يجري في علوم الطبيعة أو بعض العلوم في مجال العلوم الإنسانية بل هناك انتظار: انتظار الفرج . فهنا يجب التمييز بين التنبؤ العلمي و بين الانتظار. فالانتظار يجسد حقيقة ابستمولوجية الى جانب الحقيقة العقائدية و الروحية ذات الأبعاد السياسية و الحضارية . فالانتظار هو وعي بقدرة العقل وبنسبيته في نفس الوقت ووعي بنسبية التاريخ. فالتاريخ مرجعية ضرورية ولكنها ليست كافية. في هذا السياق يمكن القول بأن ولاية الفقيه تجاوزت فلسفة هيجل التي يدعي الفكر الغربي بأنه لا يمكن تجاوزها. ويكمن القول بأن التمهيد بقيادة ولاية الفقيه يتجاوز من حيث الطاقة ومن حيث كونية الهدف، كل الممارسات التي تسعى إلى تغيير التاريخ من فلسفة ماركسية ولبيرالية وغيرهما. مرجعية هذه الفلسفات لا تتجاوز التاريخ، فالتاريخ مطلق من منظور هذه الفلسفات، لذلك لم تجد هذه الفلسفات حلا لمشكلة حرية الإنسان ومسؤوليته في تغيير التاريخ، فالحتمية مطلقة، هذه النزعة التاريخية أو ميتافيزيقا التاريخ (تأليه التاريخ) تتناقض مع تدخل الإنسان ومسؤوليته على مجرى التاريخ و تتناقض مع الثورة والتغيير، فللتمكن من التغيير يجب القيام بالقطيعة في مجرى التاريخ، وللتمكن من ذلك يجب النظر إلى الإنسان في بعده الروحي والغيبي (كما جاء في دستور الجمهورية الإسلامية) و ليس الإنسان كمجرد مجموع للعلاقات الاجتماعية. أي الإنسان كمجرد كائن اجتماعي يستمد كل حقيقته من المجتمع أو من التاريخ.

و هذا ما جعل كل النظريات الفلسفية التي تؤسس للأنظمة السياسية الماركسية و اللبرالية تستنزف طاقتها و تسير في مسار التنظر لموت الايديولوجيا ونهاية التاريخ بدلا من التنظير لحركة التاريخ وانفتاحه على ما يتجاوزه. فالإنسان في هذه الفلسفات والأنظمة لا يملك مصيره بيده لأن اختزال الإنسان في دائرة المنتوج الاجتماعي والمنتوج التاريخي يحوله إلى مجرد ضحية للتاريخ و ليس فاعلا في التاريخ.

هذه الرؤية تتناقض مع حقيقة ولاية الفقيه و دولتها و مجتمعها، فولاية الفقيه هي التي توجه الصيرورة التاريخية عن طريق التمهيد وعن طريقة إستراتيجية التمهيد القائمة على التبصر بالأحداث وعلى القيم العقائدية

والأخلاقية الموجهة للتاريخ: توجيه الصيرورة نحو مرحلة استحقاق الإمداد الغيبي. ومعنى هذا أنه يجب إعادة النظر بصورة جذرية في كل النظريات الاجتماعية والسياسية وفي كل فلسفات التاريخ ونظريات التقدم المؤسسة والموجهة لهذه النظريات الاجتماعية.

يرى جان إيف لاكوست في هذا السياق أن هناك فرق بين الطوباوية و المهدوية.ظهور المهدي هو ظهور فجائي وانبثاقي. فالانتظار حسب هذه الرؤية يتم خارج أي تمهيد أو تنبؤ. في حين أن الطوباوية هي من صنع الإنسان. لذلك فلا وجود للانتظار في العلاقة الطوباوية للإنسان بالمستقبل.[1]

إن مفهوم الانتظار كما تنظره وتمارسه ولاية الفقه يختلف عن هذا الطرح. لا شك أن الظهور كما أشرنا فيما سبق ليس مجرد نتيجة حتمية لعوامل تاريخية واجتماعية وسياسية سابقة عليه. فالظهور انبثاق، لكن علاقة الامة بعصر الظهور علاقة مسؤولية وفعل لان الظهور امداد غيبي لا يتحقق بدون استحقاق الانسان لهذا الامداد الغيبي، ففي هذا السياق حولت ولاية الفقيه الحالة الانتظارية (بمعناها المنفعل والسلبي) إلى حالة تمهيدية.

وهنا تتجلى عطاءات ولاية الفقيه وحقيقة التمهيد وحقيقة النظام السياسي الذي تقوم على أساسه عملية التمهيد، فإذا كانت الأنظمة السياسية القائمة على النزعة التاريخية أي ما يسمى بميتافيزيقيا النزعة التاريخية، لا تتمتع بزمام المبادرة والمسؤولية ولا تتجاوز حدود نوع من الانتظار يمكن أن نسميه بالانتظار السلبي. أي المجتمع ينتظر كل شيء من التاريخ، إذا كان الأمر كذلك، فإن الرؤية التي تنظرها وتمارسها ولاية الفقيه في إيران من خلال دولة التمهيد، هي رؤية سياسية وثقافية تقوم على أساس تاريخ منفتح على ما يتجاوزه. فالتاريخ، في منظور ولاية الفقيه، ليس مطلقا (لأن المطلق هو الله تعالى) وليس حتمية قاهرة. فالإنسان يتمتع بالقدرة على تغيير التاريخ بدلا من الخضوع له أو الذوبان فيه كتاريخ محايث ينفي الغيب.

فإنسان التمهيد هو إنسان مسؤول وملتزم عن اقتناع ذاتي عقائدي بمتطلبات التمهيد. هذه الحالة العقائدية والأخلاقية والنفسية تقتضي نظاما سياسيا نوعيا لا يقوم على مرجعية 'كل مبهم' أصم كالتاريخ أو المجتمع بل يقوم على مسؤولية الإنسان على المجتمع وعلى التاريخ بفضل علاقته «أي الإنسان» بالله تعالى. فالتمهيد نتيجة لذات تتفاعل عقائديا وسياسيا مع المجتمع ومع التاريخ ومع القيم الملازمة لدولة الانتظار دولة التمهيد.

لذالك فالنظام السياسي الذي يقود دولة التمهيد ليس نظاما سياسيا قائما على الأغلبية كمرجعية مطلقة على غرار كل أنواع الديمقراطية في الأنظمة

1 .J-Y. Lacroix : Utopie et philosophie P 145.

الغربية،[1] بل هو نظام يقوم على الديمقراطية الدينية التي لا تنفي مفهوم الأغلبية بل تضعه في سياق المرجعية الضرورية والكافية: الدين الموحى. فالتمهيد مسؤولية كونية لا يؤسس لتغيير جزئي بل يؤسس لتغييرات كونية كبرى أسس لها كل الأنبياء. لذالك يقتضي التمهيد علاقة انتمائية والتزامية عميقة بين المجتمع والدولة على غرار الديمقراطية الدينية بقيادة ولاية الفقيه. وهذا ماجعل دولة التمهيد قوة تقف في حالة التزامية صارمة، في طريق مشروع الغرب في العالم الإسلامي.

فدولة ولاية الفقيه قد جسدت المهدوية من زاوية أنها لم تخضع للتاريخ المهيمن بل تتمتع الدولة بالطاقة المهدوية التي«تجتثها» من محايثة التاريخ وتفتحها على آفاق استحقاق الإمداد الغيبي. فولاية الفقيه تتغلب باستمرار على التاريخ المهيمن، تاريخ القوة والهدم والفوضى والعنف بفضل« الاجتثاث المهدوي ».

لقد حولت ولاية الفقيه الزمان السياسي والزمان التاريخي إلى زمان مهدوي عن طريق الثورة ودولة الثورة. أي عن طريق التمهيد فالزمان التاريخي أصبح في إيران زمان الفعل والحركة بفضل الرفض والنقد النابعان من القيم المهدوية. كما أن الزمان التاريخي أصبح زمان الآفاق لا زمان النهايات والرعب من المستقبل: زمان الآفاق بفضل طموح الشعب الإيراني إلى مستوى الاستحقاق. ذالك الطموح الذي تصدق عليه صفة «الاجتثاث» المهدوي. أي اجتثاث الأمة من الحتمية التاريخية القاهرة ومن المحايثة القاهرة للواقع والتاريخ.

وما بعد هذا الطرح لعلاقة الأمة بالتاريخ وبالإمام المهدي4 ما أبعد هذا الطرح عن موقف الفلاسفة المنظرين للمهدوية اليهودية الذين يرون بأن الخلاص هو انبثاق للتعالي (أي الغيب) فوق التاريخ، وهو انبثاق يهدم التاريخ[2]. يقول جرسوم شوليم «في النصوص التوراتية مجيء (ظهور؟) المهدي ليس نتيجة لأفعال الإنسان و أعماله... فكل ما يجب أن يأتي يجب أن يأتي من الله»[3] ويعلق م.بوبر (M.Buber) على هذه الرؤية بقوله « ... يجب التمييز بين المهدوية والطوباوية، حيث أن المهدوية متعلقة بالإرادة الإلهية والطوباوية متعلقة بالإرادة الإنسانية...».[4]

وهذا عكس المهدوية الإسلامية حيث تنظر ولاية الفقيه وتمارس علاقة الأمة بالإمام المهدي على أنها علاقة انتظار وتطلع وجذب. أي علاقة تعطي

1 .J.M.Guehenno : La fin de la democratie – Paris, Flammarion, 1993.

2 .G.Scholem. Le Messianisme juif. Paris, Seuil, 1992, P 35.

3. نفس المصدر ص 39 - 40.

4 .M.Buber Utopie et socialisme.Aubier 1945 Paris P5.

للإنسان روح المبادرة والمسؤولية والفعل أي التمهيد.

إن المفكرين الذين يجردون علاقة الإنسان بالمهدوية من المسؤولية والفعل لا يميزون بين المهدوية والطوباوية. فإذا كانت الطوباوية تستخدم الإنسان كوسيلة في عالم مجرد لا علاقة له بحرارة الأحداث والعوامل التاريخية فإن المهدوية كما صاغتها ولاية الفقيه وكما تمارسها من خلال الدولة تقتضي حضور إرادة الإنسان ومسؤوليته بعمق عقائدي وسياسي يجب أن يصل إلى تفجير الثورة وتأسيس دولة الثورة. وهكذا تتجلى اللاهوتية بالمعنى المبتذل في المهدوية اليهودية. في حين أن المهدوية الإسلامية إذا كانت خاضعة خضوعا مطلقا لإرادة الله، فإنها تفتح المجال واسعا لتدخل الإنسان ليصل إلى مستوى استحقاق الإمداد الغيبي. فمن هذا المنظور إن التمهيد الذي تنظره وتمارسه ولاية الفقيه يتجاوز كل أنواع المثالية ويتجاوز الطوباوية من حيث أن الظهور كإمداد غيبي يحقق الكونية التي لم تحلم بها كل نظريات المدن الفاضلة. فالتمهيد الذي تمارسه الجمهورية الإسلامية يرفض الوعود التاريخية التي تحتجز المستقبل في حتمية قاهرة. التمهيد يتجاوز هذه الوعود ليمهد لوعد أوسع تستبطن الأمة متطلباته بصورة عقائدية عن اقتناع داخلي.

الخاتمة

وهكذا قد تجاوزت ولاية الفقيه في المجال السياسي والرؤية الفلسفية إلى التاريخ، تجاوزت فلسفة أفلاطون و هيجل وماركس. لقد انتقدت ولاية الفقيه الرؤية الفلسفية التي تنظر إلى التاريخ على أنه يخضع لقوانين تحدد مجرى الأحداث. هذه الرؤية تنفي مسؤولية الإنسان وتشل التقدم بإخضاع الإنسان فردا ومجتمعا إلى حتمية التاريخ القاهرة. هذه الرؤية جعلت فلسفة أفلاطون تخضع قيادة المدينة إلى الخاصة. الخاصة التي تنفي ذات الإنسان و تذيبه في المجتمع. أما هيجل فقد أسس للاستبداد عندما جعل الدولة تجسيدا للمطلق. في حين أن ماركس حول فرضياته إلى نسق مغلق ولم يستطع أن يبرر فلسفيا قدرة الإنسان على التغيير.

فولاية الفقيه تؤكد من خلال التمهيد أن الإنسان مصيره بيده وأنه قادر على إحداث التغيرات الكبرى، لأن الإنسان ليس مجرد حقيقة اجتماعية أو تاريخية بل هو ذو بعد روحي، والتاريخ لا يكفي نفسه بنفسه فمعنى التاريخ مرتبط بما يتجاوزه. فلم يحول التمهيد إيران إلى قوة محلية وإقليمية تسير في مسار الكونية إلا على أساس هذه الرؤية التي تفتح أمام الإنسان الطريق والآفاق لاستحقاق الإمداد الغيبي. هذه الرؤية زلزلت فلسفة هيجل في قم، فأثينا رمز

مرجعية الفكر الغربي وينا Iena[1] رمز فلسفة هيجل التي يدعي الغرب بأنه لا يمكن تجاوزها، هاتان المدينتان انهارتا في قم رمز الحقيقة العقلية والعرفانية والسياسية.ومعنى هدا انه لا مجال اليوم للاختيار بين قم ووشنطن لان قم هي النقيض الكوني الذي لايعرف التركيب فقم هي البديل الكوني.

1. رأى هيجل أن دخول نابليون مدينة ينا هو تجسيد للمطلق ومن هنا عبارته الشهيرة «الروح على جواد» ويقصد نابليون. ومعنى هذا أن نابليون كان يجسد الله في تلك المرحلة.